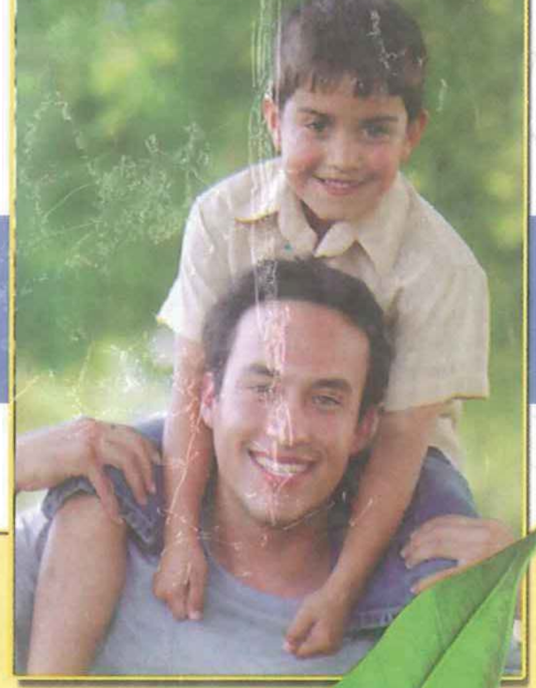
كيف تكون

أحسن مربى في العالم

أحدث
الأساليب التربوية الفعالة





تأليف
محمد سعيد مرسى

كيف تكون:

أحسن مربِّي في العالم

أحدث الأساليب التربوية الفعالة للآباء والأمهات

تأليف

محمد سعيد مرسى



الطبعة الأولى
١٤٣٣/٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٤٦٤٦/ ٢٠١٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-903-4

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٠٦٩٦٢٦٤٧

دار التوزيع والنشر
ش. ذ. م. م.
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٣٩١٢٧٤٠ - فاكس: ٢٣٩١٧٩٥٦
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٣٩١٧٩٥٠
www.eldaawa bookshop.com
Email:d.eltwzea@gmail.com



الإهداء

إلى

زوجتي الحبيبة وداد

وإلى

قرة العين وبهجة القلب

ابني أحمد

وابنتاي حبيبة ورحمة

تمهيد

إن ما يميز أفراد مجتمع ما عن أفراد مجتمع آخر هو ثقافة ذلك المجتمع ونوع التربية السائدة فيه، إذ لا يميزهم غناهم أو فقرهم، ولا يتميزون بألوان أعينهم أو أشكال أجسادهم وإنما يتميزون بالتربية التي يتلقونها والتي تجعل منهم أشخاصا ذوي هوية محددة وواضحة.. ولذا كان هذا الكتاب..

وهو يشتمل على ثمانية أبواب جاءت بعد جهد في إعدادها دام أكثر من ثلاث سنوات نهديها للمربين في كل مكان على اختلافهم؛ آباء أو أمهات أو معلمين أو مشرفين، في البيوت والحضانات والمدارس والمعاهد والكتاتيب والمعسكرات ودور التربية والمصحات.

اعتمدنا فيها بفضل الله على خبرتنا التي اكتسبناها من ممارساتنا التربوية ومن تدريب المربين وممارساتهم ومن خلاصة الكتب العالمية والمواقع الالكترونية.

وقمنا بترتيب الأبواب بشكل منطقي حسب تعاملاتنا مع الأبناء حيث يبدأ ذلك بـ [تشكيل الطفل] فكان عنوان الباب الأول.

ويتم هذا من خلال [التوجيه والتعليم] فكان عنوان الباب الثاني.

ويكون لهذا أسلوب خاص في [التخاطب مع الأطفال] ليأتي بثمرته فكان هذا عنوان الباب الثالث.

وأثناء التطبيق تظهر الأخطاء السلوكية التي تحتاج إلى [فن تعديل السلوك] فكان عنوان الباب الرابع.

ولا يتأتى ذلك كله إلا بمعرفتك أخي المربي [كيف تسعد أبناءك] فكان هذا عنوان الباب الخامس.

وكأي شيء نتعامل معه لابد أن نعرف كنهه أو الكتالوج الذي يحمل مفاتيحه فكان [كتالوج الطفل] هو عنوان الباب السادس.

ولا تتم الاستفادة بهذا الكتالوج إلا من خلال المربي المتميز فكان [الطريق نحو التميز] هو عنوان الباب السابع.

وتقف بعض العقبات عائقاً أمام نجاح العملية التربوية، ولذا فكان [معوقات يجب التخلص منها] عنوان الباب الأخير من هذا الكتاب.

وستجد أخي المربي المادة في هذا الكتاب مدعومة [بالقصص الواقعية] في حياتنا وبالأمثلة والنماذج التي قابلناها عياناً ليكون ذلك أدعى للقبول والتحقيق بعيداً عن المثالية والجوانب النظرية التي لا تمت للواقع بصلة.

وفي كتابنا أخي المربي ستجد لكل باب [تمهيداً] في افتتاحيته يهيئك للدخول إليه [وخلاصة] في نهايته توجز محتواه.

وأما [التقويم] في نهاية الباب فهو مرآتك تختبر من خلاله درجة استيعابك للمادة وما قد يكون فاتك أثناءها دون شعور منك.

والله تعالى الموفق والمستعان

محمد سعيد

تقديم الكتاب

بقلم الخبير التربوي: أحمد عباس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وبعد:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

بين يدي الكتاب مشاعر وأحاسيس ورغبات قد تبدو متناقضة ولكنها بفضل الله صادقة.

مشاعر بالفرحة وإحساس بالفخر أن تضاف إلى المكتبة وأن يظهر للنور مثل هذه الرسالة الرشيدة الواعية النافعة والتي أقل ما توصف به أنها مكتبة في كتاب.

وإنني أعتقد أن ما تحتويه كان توفيقًا إلهيًا اختص الله تبارك وتعالى به الأخ الكريم محمد سعيد وهو أهل لذلك، حتى إنك لا تكاد ترى في حياته - مع تعدد ميوله ومواهبه- غير الحديث حول الإنسان وبخاصة في مراحله الأولى حيث النشأة والطفولة. كيف يكون الفرد النافع الصالح المصلح، صاحب العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق المتينة.

قرأت الكتاب وعشت معه وكنت أظن أن في عنوانه مبالغة؛ إذ كيف تكون الأحسن والأفضل؟!!

ولكن بفضل الله لما انتهيت من قراءة الكتاب أيقنت أن النتيجة حتمًا

ستكون طيبة إذا تم تطبيق ما في الكتاب من قواعد وأصول. بعد توفير الإرادة والرغبة القوية في التغيير.

وانتابتني مشاعر بالحزن والحسرة على ما فاتني من خير لعدم وصول هذه النصائح والإرشادات قبل ذلك.

وقديمًا قالوا عن المعلم أنه «**من يعلمك بقليل العلم لا بكثيره ويرشدك بلحظه لا بلفظه**». وهذا شعور يسيطر عليك بين دفتي هذا الكتاب.

ولولا أن منَّ الله عليَّ بزوجة أراها نموذجًا حيًا لما في الكتاب لأصابني حزن شديد فلله الفضل والمنة.

وقد جاء هذا الكتاب في وقت نرى ونسمع فيه عن أخطاء وجرائم تُرتكب في حق الأبناء لا يُرى أثرها إلا بعد فوات الأوان حيث تكون الفأس قد وقعت في الرأس كما يقولون.

لذلك أرغب أن يقرأ هذا الكتاب ويعلم ما فيه الأخ الأكبر والأخت الكبرى والأب والأم والمعلم وكل فرد يمارس العملية التربوية بأي شكل من الأشكال.

وختامًا: الله أسأل لنا جميعًا عيشة هنية وميتة سوية ومردًا غير مُخزٍ ولا فاضح ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾.

الفقير إلى عفو ربه

أحمد عباس



قد رأيت من اللازم التذكير ببعض المفاهيم والوصايا قبل قراءة هذا الكتاب:

وصايا مهمة

١) إن للعملية التربوية خمسة عناصر وهي المربِّي والمربَّى والمنهج والزمن والمناخ، وعنصر واحد منها وهو المربِّي يحمل عبء نجاح العملية التربوية بنسبة ٦٠ بالمائة، ولذا فإليه نوجه خطابنا في هذا الكتاب.

٢) إن وضع القواعد ليس بالأمر السهل، ولكن إذا وضعت قواعد واضحة ومتناسقة، وعومل الطفل باحترام وصبر، فستجد أنه كلما كبر أصبح أكثر تعاوناً وأشد براً.

٣) تذكر عزيزي المربي أن الأطفال هم عنوان الفطرة والبراءة وأنه يمكننا إخراج أحسن ما فيهم إذا أخرجنا أحسن ما فينا.

٤) لا تتعامل بردود الأفعال، فالتوجيه والإرشاد

أمر لازم لأبنائنا فمن المهم أن نعلمهم الآداب والأخلاق والمعاملات ونوطنهم على ذلك حتى يحسنوا التصرف في أمور حياتهم المتباينة. أما أن ننتظر توجيههم فقط عندما يفعلون شيئاً أو يتفوهون بكلمة فهذا من الأخطاء الشائعة التي ينتج عنها كثير من المشكلات التربوية.

٥) الحياة صعبة -أخي المربي- فلا تنغصها بسوء العلاقة مع أبنائك، فإن الأبناء وهم زينة الحياة الدنيا قد يكونون فاتحة الخير لك ومصدر سعادتك إن جعلت لهم من وقتك وفكرك وجهدك ومالك، وإن أحسنت التصرف معهم في الجوانب المختلفة من حياتك وحياتهم فستسعد أيما سعادة.

٦) الأطفال الذين لا يؤدبهم آباؤهم وأمهاتهم وهم صغار، سوف تؤدبهم الأيام والليالي وبدون رأفة عندما يخرجون للعالم، يبحثون فيه عن عمل أو يكوِّنون علاقات اجتماعية.

٧) لا يقصد الأبناء إيذاء آبائهم إطلاقاً لذلك لا تأخذ ما يفعلونه بشكل شخصي. قد يكون تفكيرهم في احتياجاتهم هم لا احتياجات آبائهم..ربما كانوا أنانيين في ذلك أو ربما كان هذا طبيعة مرحلتهم السنية أو ربما لم يتعلموا حقوق آبائهم ولكنه في جميع الحالات مختلف تماماً عن الإيذاء العدواني المتعمد لآبائهم.

٨) تربية الأبناء مهمة ليست بالعسيرة إن عرفنا مفاتيحها وأحسنا التعامل مع تلك المفاتيح.

٩) ينبغي عدم الاعتماد على المدرسة بشكل أساسي في تربية الطفل رغم أهمية التنسيق الواجب والذي ننصح به دوماً بين البيت والمدرسة، فإن المعلم ليست لديه الرغبة ولا الوقت لتربية الأبناء، إنه يسعى لتعليم الطفل فقط وليس لتربيته.. وفرق كبير بين التعليم والتربية. كما أن هناك فرقاً كبيراً أيضاً بين الرعاية والتربية، فالتعليم جزء من التربية ورعاية الطفل كذلك، ولكن السعي الدءوب لتوجيه الطفل وملاحظته وتقويمه وتعديل سلوكه وممارسة الأنشطة معه وغرس القيم في نفسه والصبر عليه وغير ذلك من لوازم العملية التربوية يختلف عن تغطيته في برد الشتاء، وعلاجه عندما يمرض، وإطعامه وإلباسه ومساعدته في استذكار دروسه، وهي جميعاً من لوازم الرعاية.

***

الباب الأول



تشكيل الطفل

- تمهيد
- البرمجة الإيجابية
- إياك والقولبة
- احذر البذر قبل أن تصاب بالعطش
- إذا أردت العسل فلا تحطم خلية النحل
- علّمه الديمقراطية
- أوقف التدهور الحضاري
- $\frac{1}{3}$ زوجة
- علمه احترام الآخرين
- القيادي والانقيادي
- التربية السهلة والتربية الشاقة
- علّمه تحمل المسئولية
- مَنْ يربي مَنْ؟
- علّمه طرق التفكير السليم
- الحماية الواجبة
- فكر معنا
- الخلاصة



يهـدف المربـون إلى تنشـئة أبنـائهم وتلامذتهم تنشئة سليمة سوية فيغرسون فيهم القيم والفضائل ويتجنبون مسخهم صوراً مكررة منهم بما فيها من عيوب وسلبيات، ويبذلون قصارى جهدهم في تعليمهم وتوجيههم، وهم يوقنون بأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وأن الطفل ينغرس فيه ٩٠٪ من القيم والسلوكيات في الأعوام الثمانية الأولى ومن هنا فقد جاءت أهمية الحديث عن تشكيل الطفل وبرمجته وحمايته وهذا ما سنتناوله في هذا الباب.

***

البرمجة الإيجابية

من الأمور المهمة في العملية التربوية برمجة الأبناء على المعتقدات والقيم والعادات والسلوكيات الصحيحة التي يجب أن يتحلى بها كل منهم، وتكون عادة في حياته وأصيلة في نفسه بل ويؤثر بها فيمن حوله.

وإن برمجة الطفل لتحتاج من المربي إلى مهارة ويقظة وحلمًا وحزمًا وأشياء أخرى تجدها في كتابنا هذا وفي غيره من كتبنا التربوية.

وأهم نصيحة يمكن أن ننصح بها المربي هي أن يعي جيداً مهمته وأن يعرف أنه لن يستطيع تشكيل ولده وبرمجته بشكل سليم ليكون رجلاً محترماً أينما كان إلا بالتزام القدوة أمامه وبالاستعداد الجيد لكي يغير من عاداته السلبية وصفاته السيئة إن وجدت، وعلمه اليقيني بأنه المسئول الأول عن تربية ابنه لا المعلم ولا الحضانة أو المدرسة أو حتى المسجد ولا غير ذلك.

أهم مراحل تشكيل الإنسان:

وفي سني الطفل الأولى -وأعني بها السنوات الثمانية الأولى- يتشكل (٩٠٪) من القيم أي يتأسس الإنسان في هذه السنوات، وغالب المشاكل السلوكية يكون سببها الأول غياب التوجيه في هذه المرحلة، وكثير من المشاكل السلوكية التي نسمع عنها تكون نتيجة غياب عامل الوقاية في تلك المرحلة، فكل سلوك خطأ هو نتيجة طبيعة الإهمال في الغرس والتأسيس والوقاية من الوقوع فيه، وقد يصعب علاج بعض المشكلات السلوكية

عندما تُكتشف، لأن كثيراً منها قد ترسخت في النفس ومارسها الأبناء بعيداً عن أعين الآباء حتى اعتادوها وبالتالي يصعب العلاج عندئذ.

وسائل البرمجة

هناك وسائل كثيرة نستطيع من خلالها برمجة الطفل كي ينغرس فيه السلوك الذي نحب، والقيمة التي نريدها ومن تلك الوسائل:

التكرار:

أثبتت الدراسات أن الإنسان يتذكر ١٠٪ من الشيء إذا تكرر أمامه مرة واحدة بينما يتذكر ٩٠٪ منه إذا تكرر ٦ مرات.

وهكذا يكون التكرار من العوامل الأساسية في عملية البرمجة حيث يجب على من يربي أن يكرر للطفل - وبصور شتى - ما يريد غرسه فيه من قيم وسلوكيات حتى تكون له عادة.

والمختصون يقولون بأنك إذا أردت أن تكون مبتهجاً وسعيداً فتصرف كذلك وستجد نفسك كما تريد، فنحن إن اتهمنا أبناءنا بالجبن مرة تلو المرة فسوف يكونون جبناء لا محالة، أما إن قلنا للطفل: أنت شجاع وكررنا له ذلك في مناسبات مختلفة وبصيغ متعددة حتى تستقر في عقله الباطن فستكون برمجة إيجابية حيث تساعده ألا يخاف أحداً وألا يتهم نفسه بالجبن. وعلينا كذلك ألا نسمح لأحد باتهامه بالجبن بل نكثر أمامه من ذكر كلمة

الشجاعة وأنه شجاع، ومن السهل تعود الشجاعة وأن الشجعان أبطال وليس هو بأقل منهم.

القصة:

كانت القصة -ولا تزال- تلعب دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل ويقظته الفكرية والعقلية لما لها من لذة ومتعة حتى غدت واحدة من أهم الأساليب التربوية، وسواء أكانت القصة مقروءة أو مسموعة أو مرئية فهي تساهم بشكل كبير في برمجة الطفل وتعليمه.

وقد استقرّ رأي رجال التربية وعلماء النفس على أن: «الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدّم عن طريقها ما نريد تعليمه للأطفال سواءٌ أكان قيماً دينية أم أخلاقية أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية».

ولقد أثبتت معظم الدراسات أن **القصة هي الأكثر انتشاراً بين الأطفال**، وأن لها القدرة على جذب انتباههم، فهم يقرءونها أو يستمعون إليها بشغف، ويتابعون أحداثها بمتعة وتركيز، ويتفاعلون مع أبطالها، ويتعاطفون معهم، ويبقى أثرها في نفوسهم لمدة طويلة.

ويقول علماء البرمجة اللغوية العصبية بأن أفضل وقت يكون فيه العقل الباطن متهيئًا للبرمجة هو ما بين حالة اليقظة واستسلام الشخص للنوم. في هذه الحالة نستطيع برمجة الطفل من خلال **حكاية قبل النوم**

التعليم الابتكاري:

من المهم في تعاملنا مع الطفل أن نخرج من حيز التقليد الروتيني إلى حيز الإبداع والابتكار لينجذب الصغار إلى ما نقوله ونفعله، وبالتالي نستطيع تعليمهم بشكل متميز، ومن الأمثلة على ذلك:



١) أراد أحد المربين أن يعلم الأبناء قيمة **احترام وجهة النظر الأخرى** وأن الاختلاف بين البشر شيء عادي لاختلاف طباعهم وحصائصهم وحاجاتهم، فرسم رقم ٨ وأوقف ولداً عند رأس الرقم وأوقف آخر عند قاعدته وسأل الأول: ما هذا الرقم ؟ فقال: رقم ٧ وسأل الآخر نفس السؤال فقال: رقم ٨. وكرر السؤال عليهما فأجاب كل منهما نفس الإجابة وكلاهما متأكد بأنه على حق وصواب، ولكن هذا المربي طلب من الثاني أن يأخذ بيد الأول ويوقفه بجواره فرأى الرقم ٨، وكذلك فعل الأول مع الثاني، فتأكد لهما أن كل إنسان ينظر إلى الشيء من وجهة نظره فيجب إزاء ذلك احترام وجهة النظر الأخرى.

٢) يمكن تعليم الطفل **النظر إلى الأشياء بروح الأمل والتفاؤل** وليس النظر بروح اليأس والتشاؤم، وذلك بإعطاء الولد نصف كوب من الماء

وسؤاله عنه فإن قال: نصفه فارغ نقول له: بل نصفه مملوء.

٣) يمكن تعليم الطفل **الحلم وسعة الصدر** عن طريق لعب إحدى مباريات كرة القدم في صمت دون كلام على الإطلاق، ومن يتكلم بحرف واحد يخرج من الملعب فوراً ويعود بعد دقيقتين ويسمى هذا باللعب الصامت.

٤) يمكن تعليم الأبناء أننا يمكن أن نأخذ ما نريد من الآخرين **بالحب** وليس بالعنف، وذلك عن طريق إيقاف كل اثنين معاً ويقوم أحدهما بقبض يده بقوة ويحاول الآخر فتحها، ثم يأتي المربي فيقول لمن كان يقبض يده بقوة: أنا أحبك وأريد أن أسلم عليك ويمد يده بالمصافحة، وعند ذلك يعلمهما أنه فتح يده غير مرغم وهكذا يجب أن نفعل مع كل الناس.

الأغنية والأنشودة:

الأطفال يميلون بفطرتهم إلى الصوت الجميل والأغاني العذبة فهي تمتعهم وتثير البهجة في نفوسهم وتنمي ذوقهم وحسهم الفني والأدبي.

ولذلك فإن الأغنية مهمة للطفل ومهمة للمربي كي يبرمجه من خلالها على ما أراد من قيم ومعتقدات من خلال الاستماع إلى شريط الكاسيت أو تحفيظ الأنشودة للصغير وتعويده على التغني بها.

خطاب العقل الباطن:

وذلك عن طريق ترديد عبارات إيجابية في أذن الطفل أثناء نومه العميق لبرمجتها في عقله الباطن مثل: «ماما تحب خالد» أو «خالد يحب

الرياضيات» أو « هند فتاة صادقة » أو أي صفة إيجابية بشرط اتباع الآتي:

- عدم استخدام النفي فلا تقل «هند لا تخاف».
- عدم استخدام صيغة «أنا» بل ذكر اسم الطفل كما سبق بالأمثلة.
- استخدم صيغة الحاضر فلا تقل «هند سوف تفعل كذا».
- تكرار العبارة في أذن الطفل.
- في حالة الرغبة في برمجة الطفل على سلوك أو صفه جديدة فيفضل تكرار التمرين لمدة ١٤ يوماً متتالية.

التعويد:

لما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر كان لزاماً على المربين من آباء وأمهات ومعلمين أن يركزوا على تلقين الولد الخير وتعويده عليه منذ نشأته.

ولقد كانت نصيحة الإمام الغزالي خير دليل على ذلك عندما قال: «والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ».

وصدق الشاعر حين قال:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا   على ما كان عوده أبوه

ولذلك قالوا: **«العلم في الصغر كالنقش على الحجر»**.

يقول الشيخ ناصح علوان في كتابه القيم «تربية الأولاد في الإسلام»:

إن التربية بالعادة والتأديب هي من أقوم دعائم التربية ، ومن أمتن وسائلها في تنشئة الولد إيمانياً وتقويمه خلقياً ، ذلك لأنها تعتمد على الملاحظة والملاحقة، وتقوم على الترغيب والترهيب.. ولاشك أن تأديب الولد وملاحقته منذ الصغر هي التي تعطي أفضل النتائج وأطيب الثمرات ، بينما التأديب في الكبر من المشقة لمن يريد الكمال والأثر ، ورحم الله من قال:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدَّلتها اعتدلت ولا يلين ولو لينته الخشب

وإذا فتشت في نفسك - عزيزي المربي - ستجد أنك قد تعودت منذ صغرك كما تعودنا جميعاً على خصالٍ يصعب علينا الآن تركها، فمن تعود أكل ثلاث وجبات في اليوم لا يسوغ له أن يأكل الرابعة، ومن تعود الصلاة لا يمكن أن يتخلى عنها ويتركها أبداً مهما كنت الظروف والأحوال.

التمثيل:

يقول علماء التربية: الطفل بطبيعته يمر بأحلام اليقظة فتراه يحب أن يطير مثل الفراشة، ويسبح مثل السمك فإن وجد منا كبتاً أو سوء معاملة فإن هذا يحبطه ويخلق منه شخصية انطوائية غير واثقة في نفسها، وأفضل توظيف لأحلام اليقظة هذه يكون من خلال تقمص الطفل للشخصيات

الجيدة من خلال التمثيل فيعبر عن رغبته في المغامرة من خلال شخصيات الأبطال، ويفصح عن أمله في البذل والعطاء من خلال شخصيات الكرماء والباذلين، وبهذا يصبح التمثيل خير وسيلة للربط بين أحلام الطفل وواقعه وذلك لأن التقمص والتقليد يعطيانه الفرصة ليعبر عن خياله ومهاراته في صورة واقع نفسي يعيشه الطفل من خلال الشخصية الجيدة التي يمثل دورها.

ولذا فإن التمثيل وسيلة فعالة لغرس القيم وبرمجة الطفل، فالطفل الذي يكذب ويمثل مشهداً عن الكذب يعرف بطريقة مباشرة واضحة قبح هذا السلوك وسوء عاقبة الكذاب فيبتعد تلقائياً عن الكذب.

وتؤكد الدراسات أن التخيل لدى الطفل لا يؤدي إلى تقليل العدوانية فقط بل يمنعها أيضًا.



مما يبرمج الطفل أن يجد مثالاً حياً يقلده فترى الطفل يستمع إلى أبيه وهو يتحدث مع الناس بصوت خفيض ويجلس مع الناس باحترام وأدب ويبتسم لهم، والطفل يرى هذا ويلحظه ويخزنه في عقله، ومن ثم تراه صورة مماثلة لما رأى وسمع، ويحذو حذو مربيه بكل دقة ومهارة.

إن قدرة الطفل على تشرب ومحاكاة كل ما يراه من حوله يعني أن الوالدين والإخوة الكبار والمعلمين والقائمين على رعاية الطفل لهم أثر هائل على سلوكه. فالقدوة أحد أقوى الأدوات التعليمية

ومن اللازم أيضًا أن يقوم الوالدان بإبراز النماذج المثلى من الفنانين واللاعبين ورجال الدين والمعلمين وغيرهم للطفل ونذكر كيف أن هذا اللاعب ماهر في لعبه ومعروف بحسن الخلق بين الناس فهو لا يشيح بيده للحكم ولا يعتدي على أحد من زملائه ولا يحتفظ كثيراً بالكرة ولا يهمه إن بقى في الملعب أو تم استبداله فمصلحة الفريق واحترام المدرب عنده هو الأصل..وهكذا مع النماذج الأخرى.

وهكذا فالقدوة وسيلة مهمة في برمجة الطفل.

اللعب:



على الرغم من أن اللعب هو بالنسبة للكبار لملء وقت الفراغ إلا أنه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل مهم جداً فمن خلال انغماسه في اللعب يطور عقله وجسده ويحقق التكامل بين وظائفه الاجتماعية والانفعالية والعقلية؛ ولذا فإن اللعب وسيلة من أهم وسائل برمجة الطفل.

واللعب يساعد على التوازن النفسي للطفل، وينمي مهاراته الاجتماعية والسلوكية، ويجدد نشاطه ويفرغ طاقته ويشغل وقت فراغه، ويسعد الطفل ويبهجه ويزيد من قدرته العقلية وينمي ذكاءه، كما أنه يساعده على اكتشاف العالم من حوله وبناء علاقات اجتماعية مع الآخرين.

ويجب أن يترك الطفل على سجيته وتلقائيته أثناء اللعب فقد يكلم نفسه أو دميته وكذلك يختار لعبته بنفسه، ولا يجب فرض القيود على الطفل أثناء اللعب، كما أن كثرة الأوامر والنواهي أمر غير مرغوب فيه. ولا يليق بالمربي المتميز أن يمنع أبناءه عن اللعب طوال العام الدراسي، فاللعب ينشط الذهن وينمي الذكاء ومن المهم كذلك ألا نبالغ في حماية الطفل أثناء اللعب.

الروابط:

ارتباط الخُلق أو القيم بمدح وثناء أو ذكرى سعيدة أو هدية أو تصفيق أو كلمة طيبة أو رفع عقاب أو شهادة تقدير أو اتصال هاتفي أو نزهة أو حفلة عائلية أو قصة تحكى.. كل ذلك يسهم في برمجة السلوك أو المعتقد في عقل الطفل. وقد نجحت أم مع ابنها في جعله يدخل الغرفة وهي مظلمة بعد أن كان يخاف من دخولها إلا بعد إضاءة المصباح وذلك بالثناء عليه بأنه شجاع والشجعان لا يخافون من دخول الغرفة قبل إضاءتها، بل ظلت الشجاعة مرتبطة في ذهنه بعد ذلك حتى عندما كان يسقط من فوق دراجته فكان يقوم مسرعاً ويقول: أنا شجاع وكثيراً ما كان يردد هذه الكلمة.

وهكذا يجب أن نستفيد بالروابط حيث يتذكر الطفل أن الفيلم الذي يحبه قد جعلته أمه يشاهده عندما لم يضرب أخته، وأن النزهة التي استمتع فيها كثيراً قد كانت بسبب تفوقه فيظل التفوق والاستذكار مرتبطاً بهذا الحدث الجميل في حياته.

الوسائل التعليمية:

إن استخدام الوسائل التعليمية ليسهم بشكل كبير في إمتاع الطفل أثناء التعليم ووصول المعلومة له بشكل أكثر تشويقاً خاصة عند مراعاة التنويع في استخدام هذه الوسائل، والابتكار فيها قدر المستطاع، وبذل المال والجهد في إخراجها بأفضل صورة ممكنة، وعدم التكاسل في استخدامها ولو كانت توضح معلومة صغيرة في الدرس المشروح فإن هذا الجزء الذي استخدمت فيه الوسيلة التعليمية يعلق في الذهن دون أي شيء آخر تم شرحه بالطرق التقليدية المباشرة.

والوسيلة التعليمية هي الأداة أو الجهاز أو المواد التي تساعد المعلم في إيصال المعلومة إلى ذهن التلميذ وتزوده بخبرة أو أكثر دون عناء أو تعب من أجل تحسين عملية التعليم والتعلم.



نماذج من الوسائل التعليمية

١) الخريطة التاريخية والجغرافية.

٢) المجسمات للحيوانات والأرقام والحروف والكرة الأرضية وغيرها.

٣) المشهد التمثيلي يقوم به الصغار أو يشهدونه من خلال التلفاز.

٤) التخطيط اليدوي.

٥) الرسم الكاريكاتيري.

٦) الصور الفوتوغرافية المختلفة.

٧) الفيلم التسجيلي للمعارك والبحار والأنهار والحيوانات...

٨) الزيارة الميدانية لمواقع الحدث أو الحدائق أو المزارع أو المتاحف أو المصانع.

٩) الماكيت.

١٠) البرجكتور وأجهزة العرض (داتا شو).

١١) التلسكوب لرؤية الفضاء والأشياء البعيدة وكذلك الميكرسكوب لرؤية الأشياء الدقيقة.

١٢) زيارة المختصين والاستماع إليهم.

١٣) البرامج التعليمية بالتلفاز.

١٤) الأسطوانات المدمجة (CD).

١٥) السبورة بأنواعها (الخشبية-الوبرية-الضوئية-المعدنية).

١٦) الحيوانات والطيور والحشرات الحية.

١٧) الزروع والفواكه والخضراوات الطازجة.

١٨) شريط الكاسيت والفيديو كاسيت.

١٩) وثائق ومخطوطات.

٢٠) الورق المقوَّى.

٢١) الفانوس السحري (يقوم بتكبير الصور).

إياك والقولبة

نقصد بالقولبة هنا «وضع الأبناء في قالب معين وإطار محدد لا يمكن تجاوزه أو التخلي عنه». وهذا خطأ فادح يقع فيه كثير من الآباء والأمهات.



فالأب الطبيب يريد أن يصير ابنه طبيباً مثله فهو يمنعه من اللعب ويظل طوال الليل والنهار يحدث ابنه عن التفوق ويجلسه على المقعد ليذاكر دروسه - عنوة طبعاً - ولا يسمح له بأي متنفس آخر، وليس له ممارسة أي هواية أخرى. فهو يعتبر ذلك تضييعاً للأوقات بلا فائدة. وعندما يكبر الصغير ويتهيأ لدخول الجامعة لا يسمح له سوى بدخول كلية الطب ليصير طبيباً مثله.. بل يعتبر الطفل أحياناً وسيلة الوالدين لتحقيق ما لم يستطيعوا أن يحققوه لأنفسهم وهم في نفس عمر ابنهم في مختلف النواحي العلمية أو المهنية والفكرية، فالأب الذي كان يطمح أن يكون طبيباً يوماً ما ولم تمكنه قدراته من ذلك وانتهي به الأمر إلى أي عمل آخر، يعوّض عن ذلك بضغطه على الابن لتحقيق ما لم يستطع تحقيقه، ويزج بالطفل إلى مجالات لا يصلح لها بالمرّة لأنها لا تتناسب مع ميوله واتجاهاته، وهذا ناتج لضآلة الثقافة التربوية والنفسية.

ونجد بعض الآباء ممن حفظ القرآن الكريم لا يريد ابنه أو ابنته إلا من

حفاظ القرآن الكريم، ولو كانت إمكانات الصغير وقدراته العقلية والمهارية لا تتحمل ذلك. فيظل يضربه ويقسو عليه ويرسله لكتاتيب التحفيظ ويمنعه من اللعب والمرح حتى يصير مثله من حفاظ القرآن الكريم. وغير ذلك من أمثلة لآباء يضعون أبناءهم في قالب معين محدد لا يسمح لهم بتجاوزه. وهنا أمور لابد من معرفتها:

أولاً: ليعلم الآباء أن **لكل إنسان شخصيته المستقلة** التي تختلف عن الآخرين وقد تتفق معهم في بعض الصفات. وعلينا تقبل ذلك المبدأ أولاً فليس بالضروري أن يصير ابني مثلي؛ لأن له شخصيته المستقلة كما أن لي شخصيتي كذلك.

ثانياً: لابد من معرفة شيء مهم وهو **اختلاف الفروق الفردية** بين البشر عموماً، فقد يتفوق الابن دراسياً بينما الأب لم يكن كذلك، وقد لا يهوى الابن العمل الحرفي بينما يكون الأب متميزاً في حرفة ما أو مهارة من المهارات، وقد يتميز أحد الأبناء رياضياً وقد يكره شقيقه وربما توأمه ممارسة الرياضة أصلاً فالاختلاف بين البشر شيء طبيعي.

ثالثاً: ليس بالضروري أيها الأب، وأيتها الأم، أن يكون ما تحبه أو تمارسه صحيحاً، وبمعنى آخر (**ليس بالضرورة أن تكون كما ترى نفسك**) فكثير منا لا يرى عيوبه وقد نظن أن ما نفعله أو نعتقده هو الصحيح مائة بالمائة، فهذا الأب الذي يريد أن يضع أبناءه في قالب من أفكاره وعاداته ينسى أنه كما يرى نفسه صواباً وفي الطريق الصحيح فإن آخرين يختلفون معه وربما كانوا الأصوب منه. وقد رأينا رجالاً عندما يتعاملون مع

الآخرين لا تعرف الابتسامة طريقاً إلى وجوههم بحجة الوقار والهيبة وهم مقتنعون بذلك تمام الاقتناع رغم أنه مخالف لجميع المبادئ التربوية والأعراف الإنسانية؛ حتى إن نبي الله محمداً ﷺ قال: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»،[1] فهذا الأب لا يسمح لابنه كذلك بالتبسم أو الضحك إلا قليلاً حتى يُكسب ابنه الوقار والهيبة- كما يزعم- فهذه قولبة خاطئة فنكرر ما سبق: [**ليس بالضرورة أن تكون كما ترى نفسك**].

رابعاً: عدم التعجل في صناعة شخصية متميزة؛ لأن التعجل هذا يضطرنا لوضع الصغار في قالب يبتعد بهم عن عالمهم الخاص بهم، وبالتالي يفتقدون لمقومات التنشئة السوية نفسياً وسلوكياً، فنحرمهم من اللعب مطلقاً بدافع المذاكرة ونحرمهم من التنزه لأنه تضييع للمال والوقت أو لأننا كنا كذلك ونحن صغار.

الآثار السلبية للقولبة:

١) **قتل الابتكار**: وذلك لأن القولبة - كما سبق وأوضحنا - هي إملاء واضح من الآباء.. إملاء للأفكار والمعتقدات، وإملاء للأفعال، والنيابة عن الصغير في التفكير والتخطيط وعدم السماح له بشكل مباشر أو غير مباشر بغير ما نضعه فيه من قالب.

٢) **تكرار الشخصية المعيبة والمشوهة**: فالأب الذي يريد أن يقلده بنوه ويسيروا على نهجه ربما يكون مخطئاً وهو لا يدري كالذي

---

(١) رواه الترمذي.

يحبس أبناءه أو يضربهم بعنف وقسوة عندما يخطئون ليصيروا رجالاً أقوياء -كما يزعم- وهو لا يدري مدى التشويه الذي يحدثه فيهم من جراء ذلك. فهو قد تربي تربية قاسية ووضع في هذا القالب ويريد لأبنائه أن يكونوا كذلك. وفي هذا أيضاً استسلام للأعراف الخاطئة والمعتقدات السائدة وعدم تصويبها بل وقولبة الصغار في إطارها.

٣) **صناعة شخصيات تابعة ليس لها دور في المجتمع** : وهذه نتيجة طبيعية للقولبة حيث يعتمد الصغير على أن آباءه يخططون حياته ولا يسمعون له رأياً أو يناقشون معه أمراً؛ فهو يكبر على هذا وينتظر من الآخرين كل شيء ولا يفرق بين ديمقراطية وديكتاتورية كما لا يفرق بين الحسن والقبيح، وقد وجدنا من يقول: (المهم بالنسبة لي هو لقمة العيش فقط) رغم أن جميع حقوقه كإنسان مسلوبة.

٤) **اختيار الطريق السهل في العملية التربوية** وعدم الابتكار أو القراءة في هذا المجال وكيف يقرأ أو يبتكر أو يقتدي وهو يضع ابنه في قالب معين غالباً ما يكون هذا القالب هو عبارة عن أفكار ومعتقدات لهذا الأب.

٥) **الأنانية:** قولبة الصغير نوع من الأنانية فالصغير يهوى شيئاً والأب يهوى شيئاً آخر فما يكون من الأب إلا أن يفرض ما يريده هو على صغيره.

علاج القولبة:

١) تعليم الأبناء الاعتماد على النفس وذلك من خلال سؤالهم دائماً: ما رأيك أنت في هذا؟ ولماذا لا تفكر أنت في حل لهذه المشكلة؟ ونصحهم دائماً: حاول وإن فشلت حاول وإن فشلت حاول مرات ومرات ومرات.

٢) تعويد الصغير الاقتراحات والابتكارات وتشجيعه عندما يبتكر فكرة جديدة أو يقترح شيئاً ومناقشته في كلامه بلا إحباط أو تبكيت أو سخرية من رأي يراه أو كلمة يقولها أو فعل يفعله حتى يتعود النقد البنَّاء ولا ييأس من التفكير والابتكار ولا يسمح لغيره بأن يفكر له.

٣) تقبل الآباء لخطورة القولبة وفك القيود التي يضعونها حول أبنائهم في إطار محدد، ومعرفة أن لكل إنسان شخصيته المستقلة وكذلك معرفة أن هناك فروقاً فردية بين البشر جميعاً.

٤) تقبل شخصية الصغير كما هي فلا يحاول الآباء طمس معالم شخصيات أبنائهم.

٥) لابد أن يتحلى الآباء بعشق التغيير إلى كل ما هو جميل، فليس القديم أو ما نحن عليه هو فقط وليس شيئاً غيره هو المطلوب ولكن التغيير للأفضل لابد أن يكون حاضراً في أذهان المربين.

احفر البئر قبل أن تصاب بالعطش

يقولون: [التعليم في الصغر كالنقش على الحجر] هذه مقولة أثبتت صحتها حيث يرسخ في عقل الطفل ما يتعلمه وهو صغير مهما تقدم به السن، ونحن نستفيد منه في تعليم أبنائنا المبادئ والسلوكيات والعادات الاجتماعية قبل أن يفوت الأوان، وحتى لا نكون كمن يسير في الصحراء وينتظر حتى يعطش ثم يفكر في البحث عن بئر أو حفره ولربما مات من العطش قبل أن يسعفه جهده في حفر البئر، وما نقصده هنا أن:

- تعليم الصغير الديمقراطية واحترام آراء الآخرين قبل أن يصبح ملكاً أو رئيساً ديكتاتوراً تتلطخ يده بدماء المعارضين ويتشبث بكرسي الحكم ولو اضطر للتضحية بنصف شعبه ويكون ذلك من خلال مشاو ته في نوع الطعام والملبس والأماكن التي تذهب العائلة إليها للتنزه وفي نوع الكتب والقصص التي يحبها ومع هذا وذاك يكون احترام رأيه وتقديره.
- تعليم الصغير ألا يأخذ ممتلكات الغير دون إذنهم قبل أن يصبح لصاً، ومن ذلك ألا يأخذ لعبة شقيقه دون إذنه، وألا يضع يده في حقيبة أمه ليأخذ منها شيئاً ومثلها حقائب أصدقائه، وكذلك لا يأخذ من البائع شيئاً دون إذنه ومن غير أن يدفع الثمن.
- تعليم الصغير بر الوالدين قبل أن يرفع صوته عليهما وربما سبهما وضربهما أو يحجر عليهما أو يضعهما في دار المسنين وذلك من

خلال تربيته على تقبيل أيديهما، فمن يفعل ذلك كل يوم مرة أو مرتين لن يجرؤ على عقوقهما عندما يكبر. ومن ذلك تعويده الإسراع في تلبية حاجتهما دائماً.



- تعليم الصغير الرحمة بإخوته الصغار والرحمة بالحيوان قبل أن يعذب الناس عندما تكون لديه سلطة، ويمكن ذلك من خلال تعويده اللعب مع أخيه الصغير وعدم ضربه ولا يرد له الضربة بالضربة فهو يقصد المزاح معك، ونعوده الخروج مع أخيه الصغير. «وتعلُّمه الرحمة بالحيوان يجعله يقدم الطعام للقطط وكلاب الحراسة والطيور المنزلية كالعصافير والحمام ونحو ذلك.

- تعليم الصغير أن التدخين أمر سيئ وهو ضار بالإنسان قبل أن يدمن التدخين ويسرق من أمه ثمن سيجارة وقبل أن يدمن مع التدخين المخدرات فيقتل أمه من أجل شمة هيروين، ونعلمه أن المدخن شخص ضعيف الإرادة ونعلمه أن يحافظ على صحته ويمارس الرياضة ونشجعه في ذلك، ونلاحظ أصدقاءه جيداً.

ولنعلم جيداً أن الحب يجلب الحب والزاد الذي نعلمه لأبنائنا صغاراً نجد آثاره وهم كبار؛ فلكل مجتهد نصيب.. **فهيا بنا نحفر البئر قبل أن نصاب بالعطش**

إذا أردت العسل فلا تحطم خلية النحل

إن الأب يريد لابنه أن يكون أفضل منه وأحسن حظاً في الحياة، ويريده أن يعيش سعيداً غير محروم مما قد حرم هو منه عندما كان صغيراً. وهذا أمر جيد ولا غبار عليه ولكن السؤال هو: كيف؟

بعض الآباء يظنون أن ابنهم يجب أن يريد ما يريدون هم، ولا يهوى إلا ما يهواه والداه.. وهذا غير صحيح إلا إذا كان الصغير دمية لا إنساناً من لحم ودم يشعر ويحب ويسعد ويحزن وله إرادة وطموح وآمال وأهواء.

ومن هنا يلزم على كل أب أن يعرف هذا جيداً، فالابن قد لا يحب الارتقاء في المستوى التعليمي كما يريده أبواه، وهو يريد أن يصير مدرساً لا مهندساً أو يريد أن يصبح ضابطاً لا طبيباً، وهنا نجد الصدام بين الرغبتين والغلبة تكون للأبوين في غالب الأحوال.

نعم سيكون ابنك طبيباً ولكن عن غير حب لمهنته وسيكون تابعاً ضعيف الإرادة، فبالقسوة ستحقق مع ابنك ما تريد ولكن ستخلق شخصية ضعيفة كالبالون كبيرة الحجم ولكنها مفرغة إلا من الهواء. قد أصابه اليأس والإحباط وضعف الهمة كالمحكوم من رئيس أو ملك ظالم مستبد وهو يقول: لا يهم مادمت أحيا سالماً. تجده شخصية سلبية في المجتمع ينتظر من يقرر له ويخطط.

***

علِّمه الديمقراطية

من الأمور اللازمة للطفل احترام الآخرين له ولآرائه واحترام ما يحب وما يكره، فلا يسعد الطفل بقدر قولنا له: ما رأيك في هذا؟ وهل نذهب إلى ملاهي كذا أو كذا؟ ويسعد الطفل عندما ندعه يشتري ملابسه وألعابه وقصصه بنفسه بعد أن نضع له القواعد التي يشتري على أساسها؛ فمثلاً نعلمه أن الولد لا يلبس ملابس البنت، والبنت كذلك لا تلبس ملابس الولد؛ والألعاب والقصص يجب أن تكون مفيدة ونافعة وليست للتسلية فقط ثم بعد ذلك نتركه يختار ما يشاء.

وإن مما يوقف عقول الصغار عن العمل أن يوجد في البيت الأم أو الأب الديكتاتور الذي يحول الحياة إلى مجموعة أوامر صارمة وتعليمات حازمة يلقيها ولا يسمح بنقاشها أو بخلافها.

انتبه لقاموسك اللفظي

فألفاظ مثل: يجب عليك أن تأكل الآن.

يمكن أن تستبدل بـ: هيا نأكل معًا هذا الطعام اللذيذ.

وألفاظ مثل: ممنوع السهر بعد الساعة العاشرة مساءً.

يمكن أن تستبدل بـ: رجاء يا أولاد عدم السهر بعد الساعة العاشرة مساءً.

والمربي الذي ينتبه لقاموس ألفاظه التي يخاطب بها أولاده سيجد البدائل الكثيرة للألفاظ التي توحي بالديمقراطية واحترام الرأي الآخر، وقد نجد بعض الصعوبة في البداية أو نجد بعض التهاون من الصغار الذين تعودوا على التعليمات والأوامر القاطعة المباشرة ولكن سترى - أخي المربي - مع الوقت والصبر أثراً كبيراً لاستخدام أسلوب الأمر بغير أفعال الأمر.

الشورى سلاح ضد الديكتاتورية:

ويجب على المربين مراعاة تعليم الأبناء مبدأ الشورى من أصغر شيء لأكبر شيء؛ فمثلاً عندما نخرج للتنزه نسأل الصغار عن رأيهم في:

- المكان: (أين ولماذا هذا المكان وما سلبياته وما إيجابياته؟).
- الزمان: (متى ننطلق من المنزل ومتى سنعود؟).
- التكلفة المادية: (تذكرة الدخول والمواصلات والألعاب الداخلية والطعام).
- حقيبة الرحلة: (علام تحتوي ومن سيحملها ومتى سنقوم بتجهيزها؟).

فأخذ رأي الصغار في كل هذا سيسهم في تعليمهم الديمقراطية والتي من أهم عناصرها المشاورة واحترام الرأي الآخر.

البرلمان الصغير نموذج للديمقراطية:

ومن خلال نشاط مصاحب مثل إقامة [البرلمان الصغير] في البيت أو

المدرسة حيث يجلس الأولاد مع المدرس في المدرسة أو الأب والأم في البيت فيتحدثون دون ضغط وبكل حرية وهدوء وبكل أدب ولباقة عن سلبيات الأسبوع أو الشهر الماضي في البيت فمثلاً:

يجب التركيز على الجانبين الإيجابي والسلبي عند التوجيه

يقول أحدهم: لقد عاقبتني يا أمي عندما اشتكي أخي دون أن تسمعي مني.

ويقول الثاني: لقد منعتني يا أبي من اللعب لمدة شهر لمجرد أنني لم أذاكر لأخي الأصغر.

وتقول ثالثة: أنا يا أمي أقوم بمساعدتك في المطبخ وفي إعداد الطعام وتجهيزه وإخوتي لا يساعدون في ذلك. فهل هذا عقاب لأني بنت وهم أولاد؟

ولا يلزم أن يكون هناك رد قطعي على كل متحدث بل يمكن أن تقول الأم: معك حق يا أحمد ولكنني لم أكن أقصد إهانتك وأنا أمك وأحبك أكثر من أي شيء في هذه الدنيا وسأراعي ذلك فيما بعد.

كما يسمح أيضاً بالحديث عن الجوانب الإيجابية حيث يتعلم الأبناء عدم التركيز على الجوانب السلبية فقط فمثلاً:

يقول أحدهم: لقد كان جميلاً منك يا أبي أن خرجت للنزهة رغم مشاغلك الكثيرة.

ويقول الثاني: كان الطعام لذيذاً طوال الشهر الماضي يا أمي.

وتقول الثالثة: كان شيئاً طيباً يا أمي عندما أعطيتني مكافأة بعد أن ساعدتك في المطبخ والضيوف عندنا.

وهكذا ينعقد هذا [البرلمان الصغير] كل شهر أو أكثر بشكل دوري بمبدأ [**نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه**] فلا جدال ولا انفعال ولا ديكتاتورية. وإلا فكيف تعلمهم الديمقراطية وأنت لا ترى غير رأيك فقط، فالتوجيهات التربوية إن لم تكن مقنعة لهم، والوسائل إن لم تكن مناسبة لميولهم فلن تجد عندهم صدى وتجاوباً.

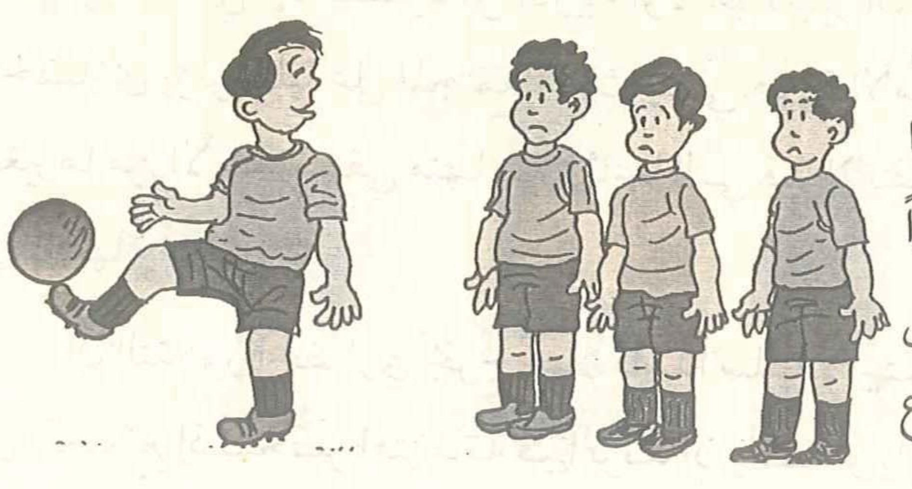
ويحسن كذلك أن نسلط الضوء على كل ما هو ديموقراطي سواء أكان قصة أو برنامجاً تليفزيونياً أو فيلماً أو دولة تمت فيها انتخابات نزيهة أو غير ذلك؛ مما ينمي في الصغير دائماً هذا السلوك كما يجب أن ننفره من الديكتاتورية وأصحابها والتزوير في الانتخابات وتمسك بعض الحكام بمناصبهم وتوريثها لأبنائهم، ونرشدهم مع كل هذا إلى خطأ مثل هذه السلوكيات وأنها تنافي الديمقراطية.

ولنعلم أبناءنا أن الديمقراطية لا تعني الحرية المطلقة لكل الأفراد يفعلون ما يشاءون، وفي أي وقت يريدون، وبالكيفية التي يختارون.. فقد لاحظ أحد مربي الأسماك أن الأسماك في الحوض لا تتحرك من مكانها سوى حركات ضئيلة جداً تدل على أنها لا زالت على قيد الحياة ولكن

عندما وضع لها بعض الصخور والحواجز والرمال أخذت تتحرك بنشاط وباستمرار وكأنها لا تريد الحرية المطلقة بل الحرية المقننة. وهذه القوانين في دنيا الناس هي المبادئ والقيم وتقاليد المجتمع والتي يجب أن تحترم ولا تنتهك بحجة الديمقراطية.

تحذير واجب:

الأنانية خلق سيئ نحذر أبناءنا منه وهم صغار، فالأناني في مباراة الكرة سيكون أنانياً عندما يكبر ويتولى المناصب الكبيرة في الدولة. والمتعاون الذي عاش في جو اجتماعي سيكون حريصاً على الديمقراطية واحترام آراء الآخرين عندما يتولى منصباً كبيراً فيما بعد ومثل ذلك الطماع والبخيل وهكذا.



***

أوقف التدهور الحضاري

الحضارة هي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والخلقي في المجتمع. وتكتسب الحضارة قيمتها باعتبارها الهدف الأسمى في تطور المجتمعات الإنسانية، وبناء على ذلك فإن توقف التقدم والرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والخلقي يكون تدهوراً حضارياً. أو على الأقل تأخراً حضارياً. وما يهمنا بشكل كبير في حديثنا التربوي هنا هو التدهور الخلقي، إذ المقصود من التربية أولاً هو تغيير السلوك، والتدهور الحضاري يؤثر سلباً على المجتمع حيث يلغي هوية الأمة ويجعلها تابعة لغيرها من الأمم تستقي منها موروثاتها التي قد لا تتفق مع معتقداتها ومبادئها وأخلاقياتها.

إن التدهور الحضاري يخرج جيلاً فاسداً سلبياً لا يهتم بمظاهر الرقي في المجتمع إذ تنحصر اهتماماته فيما يريد أن يأكله أو يلبسه وفي وسائل الترفيه والمتعة فقط لا غير.

مظاهر التدهور الحضاري:

وقد رأينا في الأعوام الماضية كثيراً من مظاهر التدهور الحضاري من عادات وألفاظ وأفعال ومعتقدات، فوجدنا من يعبد الشيطان عبادة مباشرة وهي سابقة لم يكن لها في التاريخ مثيل حتى بين الوثنيين الذين عبدوا الأحجار والأصنام والبشر. ووجدنا من يحلق نصف شعره ويترك النصف الآخر بشكل مقزز، ووجدنا من يقتل أمه من أجل شمة هيروين.

ووجدنا من يتلذذ بتعذيب الناس في السجون والمعتقلات. وانتشرت حوادث الاغتصاب ورأينا القيم تنحدر فلا الأمانة محفوظة ولا العهود مصونة، ناهيك عن إعلانات تلفازية وأفلام ومسلسلات تنشر الرذيلة والعري حتى أصبح الزواج العرفي تقام له الحفلات الرسمية، وظهور ما يُعرف بالزواج السري، ووجدنا من مظاهر ضرب الوالدين وسبهما والحجر عليهما والقذف بهما في دور المسنين ووجدنا من يسير في الطرقات يبصق على الأرض ويلقي القمامة في الطريق العام ومن نوافذ المنازل والسيارات، ووجدنا من يفرح إذا رسب في امتحانات آخر العام وكأنه حصل على جائزة كبيرة.



كل هذه وغيرها مظاهر للتدهور الحضاري نذكرها دائماً ونضعها نصب أعيننا فتكون لنا حافزاً في تربيتنا لأبنائنا والرقي بهم نحو بناء حضارة جديدة وترسيخ للقيم في المجتمع.

⅓ زوجة

انتابني العجب عندما كنت أرى هذه الزوجة وهي أم لخمسة أطفال - أحدهم رضيع - وهي طبيبة وتستعد للحصول على الماجيستير والدكتوراه بما يسبق ذلك من دراسات عليا وليس عندها خادمة أو طباخ أو غسالة أتوماتيكية..كل ذلك بجانب مهمتها التطوعية في تعليم الإسلام للنساء والتي تمارسها بنشاط واهتمام.. ومع ذلك فهي ناجحة على كل المستويات الدعوية والتربوية والحياتية والزوجية، وكثيرًا ما يثني عليها زوجها خيرًا..وعندما سألته يومًا عن السر وراء ذلك أخبرني أن أباها كان يدربها على شئون البيت ومسئولياته وشراء احتياجاته عشرة أيام كل شهر، وكذلك كانت أختها وأمها أى أنها منذ صغرها كانت تتدرب على تلك التبعات ⅓ شهر، وأدركت أثر التربية في ذلك إذ علمت أنها كانت ⅓ زوجة وربة منزل منذ كانت صغيرة.. وهذا ما ننصح به إخواننا المربين آباء وأمهات، فإن تجهيز البنت لتكون زوجة ناجحة في بيتها يكون منذ الصغر عندما ترى أمها نشيطة في بيتها تستيقظ مبكرًا فتشترى ما يحتاج إليه البيت، وتقوم بأعمال غسل الملابس وكيها وطبخ الطعام وتنظيف البيت على أكمل وجه؛ فهي بذلك تجد القدوة أمامها، كما أن بعض الأمهات لا تشرك بناتها في أعمال البيت كي لا يتعبن ولا يدرين أنهن بذلك لا يؤهلن بناتهن ليكن زوجات ناجحات في بيوتهن، فقد تتزوج البنت رجلاً لا يتحمل إهمالها أو كسلها وسوء تنظيمها لشئون البيت وعدم تدبير الإنفاق فيه على الوجه الأمثل فلتحذر الأمهات ذلك وليؤهلن بناتهن

للزواج منذ الصغر.

ومما يجب أن تلاحظه الأم أيضًا:

١) احترام الزوج في حضوره وغيابه والإسراع في قضاء حاجاته خاصة أمام بناتها.

٢) عدم الاختلاف مع الزوج أمام الأبناء أبداً فلا يخرج اختلافهما عن حجرة نومهما.

٣) تعمد الاستئذان من الزوج أمام البنات عند الدخول وعند الخروج وفي كل شيء.

٤) عدم إظهار الاعتراض على كلام الزوج أمام البنات مطلقاً.

٥) لتعلم الزوجة المتسلطة على زوجها والتي تتدخل في كل شيء يفعله [لماذا فتحت النافذة؟ -لماذا قمت بتحويل القناة التلفازية؟-كيف تخرج وحدك بالأمس؟ ....] والتي تأمر وتنهي في البيت وكأنها هي الرجل تتأكد تمام التأكد أن ابنتها ستكون بعد ذلك نسخة منها حيث إن كل ما تراه تخزنه وستفعله تلقائياً مع زوجها في بيتها عندما تكون زوجة، وقد يتصادف هذا مع زوج تختلف شخصيته عن شخصية أبيها فلا يكون هناك حل سوى الطلاق.

٦) على الزوجة ألا تأذن لرجل ليدخل البيت في غياب زوجها ولو كان صديقاً للعائلة أو جاراً من الجيران.

٧) الأم المربية تتزين وتتعطر لزوجها وتتعمد ذلك أمام ابنتها، وتخبرها أن هذا حق أبيها عليها، وكذلك لا تتزين خارج البيت أو أمام أحد غير زوجها لتربى البنات عملياً على ذلك.

٨) الزوجة الصالحة لا تسرف ولا تبخل على البيت بشيء وتكون وسطاً في كل ذلك.

٩) جميل جداً أن يطلب الأولاد أو البنات من أمهم شيئاً ما فتقول لهم: نشاور أباكم ولا نفعل شيئاً إلا إذا سمح لنا. ومع تكرار مثل هذا التلقين ينغرس في نفوس البنات أن القوامة للرجل ولا ينبغي أن تسلبها المرأة منه بدعوى الحرية التي لا حدود لها.

١٠) الزوجة الصالحة تستقبل زوجها ببشاشة عندما يدخل عليها ولا تشكو له أولادها أو جيرانها أو تشكو مشكلة حدثت في البيت فور دخوله، وتلقن ذلك لبناتها.

١١) الزوجة لا تشتكي الحمل والرضاع وأعمال البيت لزوجها أمام بناتها لئلا يقلدن ذلك فيما بعد.

١٢) عندما تطلب إحدى الجارات أو صديقات الأم أن يزورا صديقة ثالثة لهما فتقول الأم على مسمع من بناتها: «سأخبر زوجي فإن وافق لي أفعل. وعندما يحضر زوجها تخبره وتسأله -بدون

إلحاح -فيما إذا كان يسمح لها بزيارة صديقتها أم لا فإذا سكت لا تلح عليه وتخبر صديقتها أمام بناتها بأن زوجها لم يسمح لها.

١٣) عندما يأمر الأب أفراد الأسرة بأمر فيجب أن تسارع الأم إلى تنفيذ الأمر وتحث الأولاد على سرعة التنفيذ، وتشعرهم باهتمامها بطاعة زوجها وتنفيذ أوامره فعندما تشعر البنات بذلك يتربين على معنى القوامة وطاعة الزوج في البيت.

١٤) عندما تطلب الزوجة من زوجها طلبات ترهقه لقلة ذات يده فحتماً ستقلدها ابنتها عندما تصبح زوجة غداً.

١٥) الزوجة التي تجلس مع جارتها أو صديقتها فتحكى لها خصائص العلاقة الزوجية بينهما فحتماً ستفشى ابنتها سر زوجها في المستقبل.

***

علِّمه احترام الآخرين

يجب أن نعلم أبناءنا أن للآخرين آراء ووجهات نظر مثلهم تماماً، وقد نختلف معهم وقد نتفق والمهم في النهاية هو احترام آرائهم وعدم السخرية منها وعدم اختلاف القلوب باختلاف الآراء ووجهات النظر.

فعندما يأتي الصغير يشتكي من أن بعض الأصدقاء قد خالفه الرأي أثناء اللعب أو النزهة، وأن هذا الصديق لم يستجب له؛ فينبغي هنا أن نعلمه احترام الرأي الآخر خاصة المخالف له وأن يتقبله بصدر رحب بل ويظهر ما يعبر عن ذلك، فيقول مثلاً: «كلامك طيب ولكن ما رأيك لو جربنا كذا وكذا» أو «رأيك محترم وسنحاول الأخذ به» وغير ذلك مما يحفزه على احترام آراء الآخرين.

ثم نعلمه **الاستفادة من آراء الآخرين** هذه قدر المستطاع وعدم رفضها كلياً من حيث المبدأ. وكذلك نعلمه القدرة على تحليل أفكار الآخرين والقدرة كذلك على استغلال ما أمكن من هذه الآراء، ومعرفة الطريقة التي يفكرون بها ليسهل بعد ذلك التعامل معهم، فقد يكون للآخرين آراء وأفكار ذات فائدة كبيرة وقد تكون مكملة لأفكارنا مع التأكيد على أن الأشخاص الآخرين ربما يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة تفكيرنا نحن.

هذا طفلك قد حصل على هدية منك، أو من غيرك وبدلاً من أن يقول: « شكراً» كان رد فعله: «ما هذا؟ أهذا كل شيء، هذا لا يعجبني»،

ولعلك عزيزي المربي كنت تنتظر أن يطير فرحاً بما حصل عليه أو أن يحضنك ويرسم قبلة على وجنتك، كما أنك أيضاً لم تنتظر مثل هذا الرد.. والواقع أن طفلك كان صريحاً ولم يقصد إيذاءك ولكن يلزمنا كمربين أن نعلمهم كيف يفرحون بما يمنحون بغض النظر عن قيمة هذا الشيء الذي حصلوا عليه.

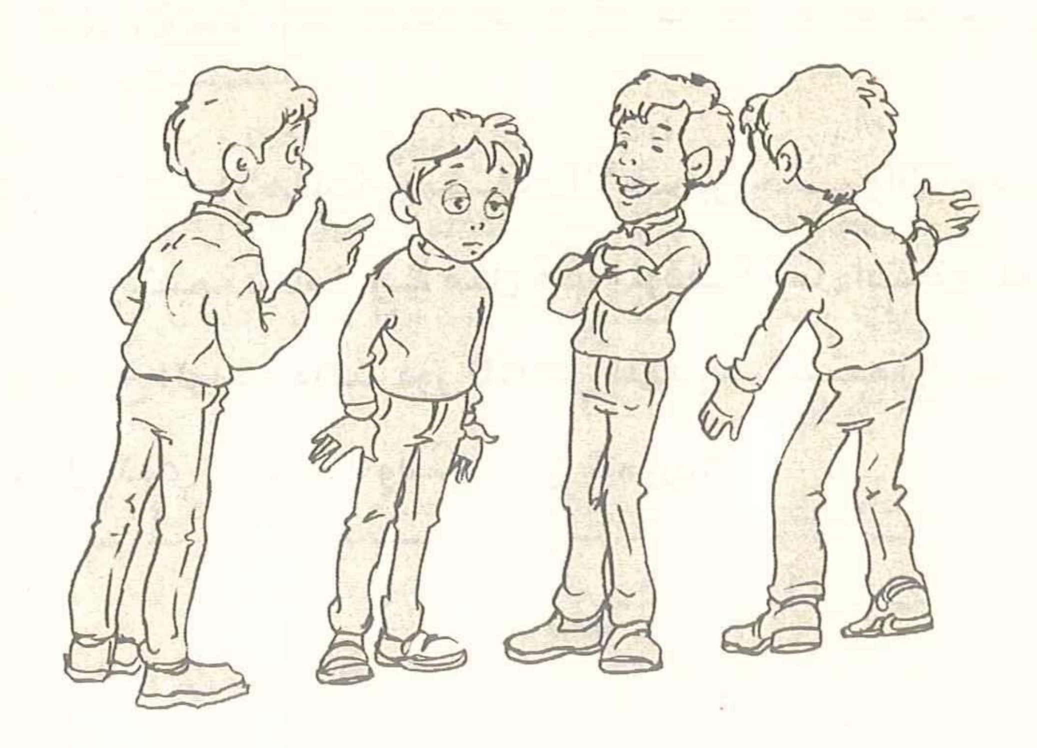
لذلك:

علّم ابنك الاهتمام بمشاعر الآخرين حتى وإن لم تكن رغباته مشبعة تماماً، وفي مثل هذا الموقف اجعل ابنك يلعب دور مانح الهدية وأنت دور المتلقي للهدية واستعمل نفس رد الفعل الذي استعمله واسأله عن شعوره.

***

القيادي والانقيادي

الدراسات الحديثة أثبتت أن الأطفال الذين يظهرون عنادًا وميلاً إلى الاستقلالية هم أكثر قدرة على مواجهة الحياة والنجاح فيها، بينما أثبتت الدراسات أن الأطفال الأكثر خضوعًا هم من ينقادون بسهولة إلى أصدقاء السوء، ويقعون فريسة سهلة للعصابات والمخدرات.



ولكننا نرى كيف يفرح الناس بالطفل الهادئ الساكت قليل الكلام، ويكرهون الطفل النشيط كثير الحركة والكلام ويتهمونه بالشقاوة والعدوانية ويصبون عليه من غضبهم وصياحهم وعقابهم الكثير والكثير. ومن المعلوم تربوياً أن هذا الطفل كثير الحركة كثير الكلام ستكون

شخصيته أكثر اتزاناً عندما يكبر وسيكون مهيئاً أكثر من الآخر للتكيف مع متطلبات الحياة والعيش بشكل أفضل.

ومن الخطأ أن نحب الأول ونكره الآخر؛ فقد يكون الأول مريضاً، إذ إن هدوءه قد يكون نوعاً من الانطوائية، وهو مرض ينبغي علاجه وعلى العكس فليس النشيط دائماً عدوانياً ومزعجًا.

وهذا الطفل المشاكس النشيط غالباً عندما يكبر لن يكون شخصية انقيادية يأخذه الآخرون حيث يريدون، بل سيكون شخصية قيادية غير سطحية، له رأي ووجهات نظر وينجح أينما وضعناه.

واستيعاب الطفل وتفريغ طاقته في اللعب وتنمية المهارات والمواهب والرد على أسئلته وتوفير مساحة واسعة له كي يتحرك، مع عدم تفضيل أخيه عليه أو مقارنته بغيره.. ومعرفة خصائص مرحلته السنية.. كل ذلك يسهم - بشكل كبير - في استيعاب هذا النوع من الأطفال وشغله بما يفيد.

وإن ظهر على الطفل من الآن أنه يحب القيادة فينبغي ألا نحبطه ونكبته بل نفسح له المجال ونوفر له من الأعمال ما يكون فيها قائداً ونوجهه إن بدت عليه علامات عجب أو غرور، ونعلمه مبادئ القيادة الصحيحة وأن القائد ينبغي أن يتعب أكثر من الآخرين لا أن يريح نفسه بقيادتهم وأبسط مثال في ذلك (كابتن) فريق الكرة فهو يدافع عن الفريق أكثر من حبه للتهديف حيث إنه مسئول عن الفريق، وإن احتاج الفريق لتغيير أحد اللاعبين فليكن هو الذي يخرج ويؤثر زملاءه على نفسه ويقودهم من خارج الملعب، ذلك ليتعلم آداب القيادة.

التربية السهلة والتربية الشاقة

انزل والعب في الشارع..اجلس أمام التلفاز.. عندما يحضر أبوك سوف أخبره..هذه بعض الأقوال التي تلجأ إليها الأمهات من قبيل الاستسهال وطلب الراحة، فالولد يضرب أخاه ويقفز هنا وهناك ويحدث صياحًا وضجيجًا وإزعاجًا فيصعب على الأم توجيهه وإيجاد البديل المناسب له وحكاية القصص له أو عقابه بما يناسب خطأه، ولكن السهل هو أن تقول له: اذهب واجلس أمام التلفاز، أو انزل والعب في الشارع، ويجلس أمام التلفاز (بلا توجيه أو إرشاد) ويلعب في الشارع..لا يهم مع من، وماذا سيلعب، وما الأخطاء التي وقع فيها نتيجة لعبه في الشارع..المهم هو أن تريح الأم نفسها وتجلس هي في هدوء فقد اختارت أسلوب التربية براحة الدماغ.

وعندما يخطئ ابنها فيعصيها في أمر أو يعاندها فهي لا تكلف نفسها بتوجيهه فنجدها تقول له: سأقول لأبيك عندما يحضر فيخاف الصغير من أبيه فقط ولا يعبأ بكلام أمه ذات الشخصية الضعيفة بعد ذلك.

وإنه لمن السهل على المربي أن يمنع ابنه من النزول واللعب مع أصدقائه أمام البيت، ولكن الأصعب منه هو أن يسمح له بذلك على أن يصوب له عندما يسمعه يشتم مكررًا كلمة سمعها في الشارع ويعلمه أن هذه الكلمة خطأ وعيب ولا يصح أن نرددها.

ومثله عندما يلعب حافيًا فتتسخ رجله فساعتها يكون التوجيه بأن اللعب لا يكون إلا بالحذاء الرياضي المخصص لذلك. وهذه هي التربية الشاقة، أما التربية السهلة فهي منعه من النزول مرة أخرى.

ومن نماذج التربية السهلة أن نمنع التلفاز من البيت أو لا نقتني [الدش] لأن الأطفال سيشاهدون فيه أشياء تفسد أخلاقهم ولكن الأصعب منه هو شراؤه وتشفير مالا يفيد ليشاهد أبناؤنا الصالح منه فلا يتطلعون إلى المشاهدة عند الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء، والأصعب من ذلك وهو يحتاج إلى مهارة تربوية خاصة وعلى المدى البعيد هو عدم تشفير القنوات وتركها بعد تربية الأبناء على عدم مشاهدة الفاسد منها ولو كانوا وحدهم.

ولو قمنا بتوجيه الصغير أثناء مشاهدة التلفاز إلى خطأ في مشهد أو كذب في قول أو مزاح في غير محلِّه أو شيء مما يخالف القيم وعادات المجتمع لكان أفضل من عدم المشاهدة، ولو عودنا الصغير أن يغلق التلفاز بنفسه بعد انتهاء الوقت المحدد للمشاهدة كي يتجه بعد إلى اللعب أو استذكار الدروس أو النوم لكان أفضل من إغلاق التلفاز كلياً.

ومن التربية السهلة استخدام الضرب كوسيلة فعَّالة للردع والزجر على كل خطأ، والأصعب منه هو الصبر والتوجيه والحوار وبذل الجهد في ذلك واستخدام وسائل عقابية أخرى أقل ضرراً من الضرب.

وما قطف الثمر إلا ببذل الجهد والطاقة فإننا ما سمعنا عن مزارع يضع البذرة في الأرض ثم يتركها حتى موعد الحصاد دونما سقي وتنقية ورش وحرث وعناية.

علِّمه تحمل المسئولية

يتحمل كثير من الآباء مسئولية إنجاز واجبات أبنائهم اليومية وكأنها واجباتهم هم، فتتكرر المواقف المتوترة بينهم، الآباء يلحون والأبناء يتكاسلون غير مبالين بنتائج إهمالهم لواجباتهم.. بينما الأفضل تربوياً ونفسياً ونحن نبني شخصية أطفالنا أن نعوِّدهم تحمل مسئولياتهم في سن مبكرة، دون تذكير أو إلحاح، وعليهم أن يدركوا أن مسئولية تلك الواجبات واقعة على أكتافهم هم وعليهم تحمل نتائج إهمالهم القيام بها في الوقت المناسب ليصبحوا بذلك أعمق إحساساً بمسئولياتهم نحو أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم مستقبلاً.

الطريق نحو النجاح:



ولكن كيف يمكن للآباء تعويد أطفالهم على تحمل تلك المسئوليات؟ لنصل إلى الإجابة..سنطرح مثالاً بسيطاً يحدث في كثير من البيوت يومياً عندما يستعد الأبناء صباحاً للذهاب إلى المدرسة إذ تدخل الأم غرفة ابنها لتوقظه من النوم حتى يرتدي ملابسه ثم تتركه فترة من الوقت لتعود إليه وتفاجأ بأنه لا يزال يغط في نوم عميق؛ فتفعل وتوقظه مرة ثانية ثم تتركه للحظات وتعود إليه لتراه لا يزال نائماً

فتوقظه مرة ثالثة وتظل هكذا كل صباح تلهث وراءه لكي يرتدي ملابسه ويتناول إفطاره ليذهب إلى المدرسة قبل أن يقرع الجرس، والمؤسف أن بعض هؤلاء الأطفال قد تجاوز سن الثامنة من عمره ولا زال يعتمد على أمه في تحمل هذه المسئولية، ولكننا نؤكد أن واجب الأم هنا يقتصر على إيقاظ ابنها من النوم مرة واحدة وإعداد طعام الإفطار له، أما نتائج الإهمال فتحدده المدرسة والوالدان، واجب المدرسة عقاب الطفل على تأخره إذا قامت بإنذاره من قبل وعلى الأم في البيت أن تضع له الحدود الحمراء لذلك الإهمال بأن تحرمه مثلاً من ممارسة بعض النشاطات التي يحبها إذا كرر ذلك التقصير.

لو واصلت الأم عقابها بثبات لمدة ثلاثة أيام سيرتدع ابنها وستراه ينهض فوراً ليرتدي ملابسه بنفسه ويذهب إلى المدرسة في الوقت المناسب لأنه تحمل نتيجة إهماله.

ولقد نجحت إحدى الأمهات عندما أهدت ابنتها ساعة مزودة بمنبه ووجدت الابنة رسالة من أمها في الهدية مكتوبًا عليها:

ابنتي العزيزة هدى:
أعلم أنك لا تريدين أن يوقظك أحد بصورة مبكرة صباح كل يوم لتذهبي إلى المدرسة لذلك ستكونين بهذه الساعة المزودة بمنبه سيدة نفسك منذ الغد
أمك المحبة
سعاد

سعدت الابنة بهذه الهدية وقالت لأمها وهي مندهشة: كيف علمت يا أمي أنني لا أحب أن يوقظني أحد صباحاً.

أجابتها أمها وهي تبتسم: شعرت بذلك وعندما رنت الساعة في صباح اليوم التالي نهضت هدى فوراً من سريرها، وعندما سألتها أمها: لماذا تنهضين مبكرة هكذا وفي إمكانك أن تنامي قليلاً أجابتها ابنتها بحماس: لا ربما أتأخر عن المدرسة. وفي مدة زمنية قصيرة وجدت الأم ابنتها جاهزة قبل الوقت المحدد كل يوم.

يؤكد العالم النفساني الدكتور «جينو» على أهمية **عدم إطلاق الآباء أوصافاً قبيحة على أبنائهم إذا تكاسلوا مثلاً عن النهوض من النوم صباحاً إلى المدرسة**، بل بالعكس عليهم أن يعلقوا بجمل تشعر أطفالهم بمشاركة آبائهم لمشاعرهم لأنهم بذلك الأسلوب يشجعون هؤلاء الأبناء على تحمل مسئولياتهم من خلال حبهم، وتعاطفهم مع تلك المشاعر أي بدل أن تقول الأم لابنها عندما يتكاسل في النهوض من النوم: انهض يا كسول كيف ستصل إلى المدرسة قبل أن يقرع الجرس؟ أو تقول: أريدك أن تنهض هذه اللحظة.. هل فهمت؟ عليها أن تعلق بلطف قائلة: هل تجد صعوبة في النهوض هذا الصباح؟

أو تقول له: من الممتع حقاً أن يستلقي المرء في سريره ويحلم!!

أو تقول له: خذ خمس دقائق أخرى.

وبالطبع تكون قد وضعت المنبه على موعد متقدم عشر دقائق على موعد نهوضه.

خطأ شائع نحذره:

الدكتور جينو يحذرنا أيضاً من أن نوحي للطفل بأنه إذا لم ينهض صباحاً في وقته المحدد بأنه مريض، أي لا نقول له مثلاً: لماذا لم تنهض حتى الآن هل أنت مريض؟ هل يؤلمك شيء؟ فالطفل حينئذ سيشعر بأن عليه أن يتظاهر بالمرض لكي يحصل على اهتمام والديه، كما يطلب هذا الطبيب والخبير التربوي منا كآباء ألا نستعجل أبناءنا عندما يتباطأون لأنهم -كما يعتقد- لا يفعلون ذلك إلا متعمدين ليقاوموا أوامر الكبار لهم بالإسراع في أداء واجباتهم، وبالتالي علينا بدل أن نستعجلهم أن نضع لهم وقتاً محدداً يكونون جاهزين خلاله فيشعرون هم بمسئولية استعدادهم للذهاب إلى المدرسة خلال ذلك الوقت ونستطيع نحن أن نعلق ببعض العبارات فنقول مثلاً: السيارة ستتحرك خلال عشر دقائق للذهاب إلى المدرسة.

أو نقول: السيارة ستتحرك الساعة السابعة والربع.. الساعة الآن السابعة.



إن الهدف من تلك التعليقات هو إشعار أطفالنا أننا نتوقع بأنهم سوف يقومون بعملهم في الوقت المحدد مما يجعلهم متحمسين في أدائها لأنهم يريدون أن يكسبوا ثقتنا وحبنا كآباء.

ليتحمل نتائج أفعاله:

وفي إمكاننا أحياناً أن نعلمه نتائج أفعاله التي يرتكبها الطفل كطريقة أخرى في تطوير سلوكه وتحمله المسئولية، بدل أن ننتقده مباشرة، لأنه

سيكون بهذا الأسلوب أكثر اقتناعاً بما هو مطلوب منه حيث إنه جرب نتيجة مخالفته لما يريده أبواه.

والموقف التالي يبين ذلك:

ليلى طفلة في الخامسة من العمر كانت تستعد للذهاب إلى بيت صديقتها لتلعب معها في حديقة بيتها، كان الطقس يميل إلى البرودة إلا أنها أصرت على ألا ترتدي [الجاكيت] .

قالت لها أمها وهي تحاول إقناعها حتى تبدل رأيها:

ستشعرين بالبرد إذا لم ترتدي هذا الجاكيت.

ردت ليلى بعناد: لا لن أشعر بالبرد، لا أريد أن ألبس هذا الجاكيت.

عادت الأم تلح مرة أخرى:

أعرف أنك ستشعرين بالبرد.

أجابت الابنة بعد أن أوشكت على البكاء:

لا أريد هذا الجاكيت.

فكرت الأم قليلاً وقالت لنفسها: لماذا لا أدعها تفعل ما تريد، وسوف تشعر بالبرد وعند ذلك ستدرك خطأ عنادها وسيكون ذلك درساً لها تتعلم منه كيف تختار ملابسها بطريقة مناسبة لحرارة الطقس وتستمع لنصح الآخرين؟!

وبدأت الأم تستخدم طريقتها الجديدة.

قالت لابنتها ليلى: هل أنت مصرة على عدم ارتداء هذا الجاكيت

أجابت ليلى: نعم ولا أريده.

ردت الأم: أنت حرة ما دام هذا اختيارك.

بدت الدهشة واضحة على ملامح الابنة وهي ترى رد فعل أمها الهادئ وتساءلت: هل سيكون اليوم حارًا.

أجابت الأم: لا الجو سيكون باردًا.

ردت ليلى: وأنت لا تمانعين ألا أرتدي الجاكيت.

قالت الأم: ما دمت لا تريدينه لا مانع لديَّ.

وارتدت ليلى ما أرادت من ملابس لكنها سرعان ما شعرت بالبرد عندما لعبت مع صديقتها في الحديقة فذهبت إلى أمها تشكو قائلة:

أمي أشعر بالبرد.

أجابت الأم: ألم أقل لك في البيت: إن الجاكيت يناسب طقس اليوم لكنك رفضت وعاندت، فالآن تحملي برودة الجو إلى أن نعود إلى البيت.

أجابت ليلى بتأفف: لكني لا أستطيع اللعب هكذا وأنا أشعر ببرودة شديدة.

ردت الأم بحزم: وأنا لا أستطيع أن أعود إلى البيت الآن. انتظري إلى أن يحين وقت عودتنا، لقد كان هذا اختيارك وعليك تحمل نتائجه.

وجلست الابنة جانباً تنتظر عودة أمها لتعود بها إلى المنزل، لأنها لم تكن

قادرة على مواصلة اللعب بسبب ما تشعر به من برودة، فلقد قررت مرة أخرى أن تستمع إلى نصيحة والدتها وتختار الملابس المناسبة للطقس.

إذن واضح لنا في هذا الموقف أن ليلى قد تحملت نتيجة تصرفها الخاطئ ولن تعيده مرة أخرى عن اقتناع ورغبة في عدم تكرار مثل هذا الموقف معها.

كيف يمكن أن نزرع الإحساس بالمسئولية في نفس الطفل من خلال تناوله لوجباته الغذائية يومياً؟

ما يحدث عادة هو أن تنادي الأم أطفالها ليتناولوا طعامهم وهم يتهربون، وتعود إلى نداءاتهم ولا يهتم أحد منهم في الحضور وتناول وجبته، فيعلو صوت الأم متوتراً منفعلاً معبراً عن فقدها لصبرها.

كلا إن مسئوليتها تنحصر فقط في أن تناديهم مرة واحدة فإذا لم يأتوا فهذا شأنهم وعليهم تحمل نتيجة إهمالهم الحضور في الوقت المناسب المتمثل في حرمانهم من وجبتهم الساخنة واضطرارهم إلى أكلها باردة.

لو جرب الآباء هذا العقاب مع أبنائهم بثبات دون أن يضعفوا أمام توسلاتهم وهم يطلبون تسخين طعامهم سيجدونهم حاضرين مع أول نداء لهم لتناول وجباتهم الغذائية.

وينطبق ذلك أيضاً **عندما يتأخر الطفل في درجاته الدراسية أو يهمل في أداء واجباته المدرسية** حيث يحرم من ممارسة الأنشطة التي يحبها بعد أن يجلس معه أحد والديه ليوضح له أنه ما عوقب إلا لكي يدرك أهمية دراسته

التي تقع مسئوليتها على عاتقه. وعندما يعد الطفل بالاجتهاد فإن واجب الأب أن يعبر له عن ثقته به ورغبته في إتاحة فرصة جديدة له، وعندما يهمل الطفل مرة أخرى يزداد عدد الأيام التي يحرم فيها من ممارسة النشاط الذي يحبه ويبدي الأب استياءه بعدم وفائه بعهده وعندئذ سيلاحظ الأب أن ابنه أصبح أكثر اهتماماً لتحمل مسئولية دراسته.

إن كل ما فعله الوالدان هنا هو توضيح الخطوط الخضراء والحمراء، وعلى الطفل أن يتحمل النتائج الطبيعية لإهماله، وسنرى أنه سيتعلم أهمية تحمله لمسئولياته التي ستصبح فيما بعد جزءاً من معالم شخصيته.

من وسائل تحمله المسئولية:

أعطه قليلاً من المال وشجعه على أن يختار بنفسه ما يفعله به. فالمال يعلم الطفل المسئولية ويتيح له قدراً من الحرية يستطيع في ظله أن يتخذ القرارات. صحيح أن الكثير جداً من المال يمكن أن يشجع على النزعة المادية، لكن بما أن المال جزء لا يتجزأ من عالمنا شئت أم أبيت فسوف يكون في حاجة إلى أن يعتاد على التعامل معه، ويمكن أن يتيح له قدراً لا بأس به من القوة والسيطرة الشخصية.

واجعلهَ المسئول مثلاً عن حوض السمك أو إطعام الطيور المنزلية. اشتر نباتاً واجعله مسئولاً عنه. إن المسئولية تشجع الأطفال على استخدام إمكاناتهم الشخصية. فإذا قمت بكبت حرية طفلك وسحبت منه المسئولية وقللت من وقت حريته كي يتلاءم مع جدولك وترتيباتك الزمنية، فلن يتعلم أبداً الاعتماد على نفسه، أو الاستمتاع بإنجازاته الشخصية أو الشعور

بلذة إكمال شيء أو الاهتمام به. لن يتعلم أبداً اتخاذ قراراته الشخصية وهذا يؤثر على سلوكياته الآن وفي المستقبل.

***

مَنْ يربي مَنْ؟

نرى بعض الآباء والأمهات يصلون في تدليل أبنائهم إلى مرحلة يشعر الناظر إليهم أن أبناءهم هم الذين يربونهم، رغم أن العكس هو الصحيح أو هكذا يجب أن يكون.

فالصغير يرفع صوته عندما يريد شيئًا فلا يصوبان له الخطأ ويكون الاهتمام فقط بتلبية طلباته حتى يريحا أنفسهما. ويسير مع أبيه أو أمه فتراه يطلب هذا ويطلب ذاك ولا يجرؤ أحد الأبوين أن يرد له طلبًا أو حتى يعلِّمه ألا يطلب شيئًا أمام الناس لئلا يتسبب في إحراج من معه إن لم يكن لديه من المال ما يكفي.

ونرى بعض الصغار يطلبون ما يريدون باستخدام سلاح الصراخ والبكاء والتشنجات ولا يحاول أحد الأبوين أن يتحمل قليلاً فيتركه لئلا يتعود على هذا الأسلوب عندما يريد شيئًا أو يرفض أحد له طلبًا.

وعند الطعام تجده يأكل ما يشاء ومن نوع معين ربما لا يكون مفيدًا بالنسبة له. وكذلك عندما يرفض الطعام وقتما يشاء أو يرفض صنفًا منه، حتى كبر بعض الصغار وهم لا يحبون اللحوم والألبان رغم احتوائها على كثير من الفائدة لتكوينهم الجسمي، وكان الأجدر بالأبوين أن يطعما الصغير ما يحتاج إليه جسمه وليس بما يروق له ويأتي على هواه ولو كان ذلك جبرًا وقسرًا حتى يتعود. ويمكن للأبوين التفكير في وسيلة ليأكل الصغير من خلالها ما يفيده كمن كان لا يحب اللحوم فكانت الأم تقطع

اللحوم قطعًا صغيرة وتضعها وسط الطعام ليأكلها الصغير فيستفيد منها جسمه، فهي بذلك لم تستسلم له لأنها تعلم أنها هي التي تربيه وليس هو الذي يربيها. وبعض الأمهات كانت تضع لابنها الصغير طبقًا خاصًا به لتعلم كمية الطعام التي يأكلها حتى لا يجلس مع الكبار على الطعام كأنه يأكل وهو في الحقيقة لا يأكل.

ورغم الحرية التي يجب أن نوفرها لأبنائنا في اختيار أصدقائهم واختيار ألعابهم وقصصهم وغير ذلك فإنه يجب أن تكون الحرية مضبوطة في إطار تربوي صحيح، فلا يجبرنا الصغار على قصة تؤثر سلبًا في العملية التربوية كالقصة غير الهادفة أو كمن لا يقرأ سوى الألغاز البوليسية أو قصص الخيال العلمي، فإن لم نوجهه لتنويع قراءاته على أن تكون كلها أو بعضها هادفة فيكون هو المربي وليس الأب والأم.

وإن اختار من الألعاب ما شاء وترك منها ما شاء دونما توجيه تربوي فإنه حينئذ يكون هو المربي حينئذ وليس الأبوين.

وإن اختار من الأصدقاء ما صلح وفسد وتركناه وشأنه حيث يرفض التدخل في ذلك بحجة عدم التسلط عليه فهو إذن يربينا ولا نربيه.

وإن أجبرنا على مشاهدة التلفاز في وقت معين ولقناة معينة ولفيلم أو برنامج محدد رغم ما قد يكون في ذلك من ضرر؛ كأن يكون الوقت وقت نوم أو مذاكرة أو القناة نفسها تعرض أفلامًا وبرامج سيئة فاسدة أو أن الفيلم الذي يطلبه غير مفيد أو قد يكون به من المساوئ الكثير فإن لم يتدخل الأبوان في ذلك فيكون الصغير هو المربي وليس العكس..

وأحياناً يحاول أطفالنا مثلاً أن يضغطوا على مشاعرنا لكي نشعر بالضيق ونلبي مطالبهم، ونقع بذلك في مصيدة «إسعاد الطفل» من خلال مواقف مختلفة، ووالدة عليّ استطاعت أن تجتاز مثل هذا الموقف بنجاح فماذا فعلت؟

نموذج ناجح

قال لها ابنها وهو يفتح الثلاجة ليجد شيئاً يأكله: ما هذا.. ألا يوجد شيء لذيذ في هذه الثلاجة؟

ردت عليه والدته: ابحث في الداخل لابد أن تجد شيئاً تأكله.

أجابها علي: كل شيء أمامي يحتاج إلى تسخين وكأنه لا يوجد لدينا فرن لنطبخ فيه أكلنا، أشعر وكأننا فقراء.

شعرت الأم بالغضب يتسلل إلى أعماقها وابنها يتحدث وكأنه طفل أفريقي جائع إلا أنها تماسكت وردت عليه بهدوء قائلة: ما رأيك في تناول تفاحة أو هل تريد أن تشرب برتقالاً؟

رد عليها علي: لا، لا أريد.

أجابت الأم بمرح: حسناً يبدو عليك أنك واسع الحيلة أعتقد أنك لو التفت حولك في المطبخ فإنك ستجد شيئاً تأكله.

أجابها علي: أنت أمي هذه مهمتك لتري ما إذا كان هناك شيء أستطيع أن آكله في البيت.

وبقوة كبح هائلة سيطرت الأم على غضبها وتجاهلته وخرجت من المطبخ ولم تقف الأم كثيراً لتبرر موقفها، ولم تذهب إلى محفظتها لتعطيه نقوداً ليشتري بها شيئاً من الدكان القريب من البيت.

ولم يجد علي مفراً من الاستسلام، إذ بحث عن بعض قطع من الخبز ووضع عليها قطعة جبن وأكلها. بعد أن فشل في أن يضغط على مشاعرها لكي تقع في مصيدة «**إسعاد الطفل**».

فالتربية أيها المربون مسئوليتكم، أنتم تربونهم وهم لا يربونكم؛ فانتبهوا لتجدوا الثمرة المرجوة.

***

علِّمه طرق التفكير السليم

لماذا التفكير السليم؟

إن أبناءنا يحتاجون منا أن نعلمهم كيف يفكرون بشكل سليم يساعدهم على حل المشكلات التي تقابلهم على مدار اليوم. وهذا الأمر يحتاج منا أن نعوِّد أنفسنا أولاً -نحن المربين- على التفكير السليم وسينتقل ذلك بشكل تلقائي لأبنائنا ليكون نمطاً سائداً في حياتهم حيث إننا نحتاج إلى جيل يتعود التفكير السليم ويحسن استخدام ما حباه الله به من نعم.. العقل إحداها.

وكم رأينا من مشكلات على مستوى الدول وعلى مستوى الأفراد قد تفاقمت حتى نشبت حروب ونزاعات بسبب المستوى المتدني للتفكير في حل المشكلات.

ولقد ميزنا الله تعالى عن سائر المخلوقات بالعقل لكي نفكر ونخطط ونحلل ونضع الأمور في نصابها الصحيح، فإن عطلنا عقولنا عن التفكير السليم فما يكون هناك فرق كبير بيننا وبين بقية المخلوقات.

طرق التفكير السليم:

وأبناؤنا يحتاجون إلى **ألعاب ومهارات** تنمي عندهم التفكير السليم، فألعاب مثل المتاهات ليس فيها قوة بدنية بل صبر وإعمال عقل حتى يصل

إلى مراده، ومثلها الألغاز والشطرنج والفك والتركيب والبازل وبعض ألعاب البلاي ستيشن ينبغي أن تشغل من عقل الطفل وتفكيره وقتاً مناسباً ليتعلم من خلالها كيف يفكر بشكل سليم ليحقق ما يريد ويصل إلى مبتغاه. وتبرز في مثل هذه الألعاب ما يسمى **بالحلول البديلة** وهو ما يجب أن نعوِّد أبناءنا عليه في جدهم ولعبهم مما يعطيهم مرونة أكثر في التفكير.

ومما يُعلِّم الأبناء التفكير السليم **ألا ننوب عنهم في أمر خاص بهم**؛ فنترك الطفل يعبر عن نفسه ويعرف نفسه للأصدقاء والضيوف، ونعلمه أن الإنسان يفكر بشكل سليم ويتحمل المسئولية عن قراراته **ويستفيد من أخطائه** ولكن لا يكون ذلك بروح الشماتة منا بل بروح التوجيه والتعليم بلا تعنيف فنقول له: الآن هيا نتحدث معًا أنت قررت فعل كذا أو اخترت حل المشكلة بهذه الطريقة فحدث من الأخطاء كذا وكذا وذلك لأنك لم تضع في حساباتك كذا ولم تفعل كذا وكذا وفي المرة القادمة حاول أن تتفادى ذلك.



ولا تكون التوجيهات كثيرة ومملة بل جذابة وقليلة وتشجيعية على المزيد من التفكير السليم واتخاذ القرار المناسب.

واستخدام الورقة والقلم مهم جداً للتفكير السليم إذ إن

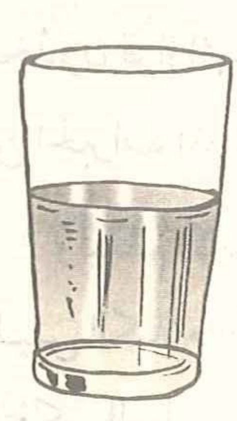
تدوين المعلومات وتحليلها والربط فيما بينها واستخراج المناسب منها وغير المناسب ومعرفة السلبيات والإيجابيات.. كل ذلك من عوامل التفكير السليم، كما أن وضع الأفكار على الورق يوضحها عياناً ويخرجها من حيز التزاحم في العقل ويركز على المهم منها. ولذلك ينبغي علينا تعويد أبنائنا استخدام القلم والأوراق في تدوين الأفكار وحل المشكلات والتخطيط السليم عند الذهاب إلى أحد المتنزهات أو شراء أحد الأجهزة المنزلية أو اتخاذ أي قرار وعند تنظيم الوقت وتحديد الأولويات وغير ذلك.

والتقييم السليم من التفكير السليم فإن ذهبت الأسرة مثلاً لمصيف وعادت منه وأرادت أن تقيِّم الرحلة فلنعوِّد أبناءنا حينئذٍ كيف يقيِّمون بشكل إيجابي هادف، فلا يقول أي منهم ما يخطر بباله أو يركز أحدهم على السلبي وما لم يعجبه فيها بل يجلس الجميع ويحضرون الورقة والقلم ويبدأ الحديث عن الإيجابيات فقط ويتم تدوينها ثم يكون الحديث عن السلبيات فقط ويتم تدوينها أيضاً، ثم يكون الختام بالتوصيات والاقتراحات للرحلة القادمة ويتم تدوين كل ذلك وحفظه ثم إخراجه من أجل قراءته في الرحلات القادمة أو الأعمال المشابهة ليتعود الأبناء كيف يتخذون قراراتهم وكيف يدونون أفكارهم ومقترحاتهم وكيف يستفيدون من الخبرات المتراكمة لديهم من أجل تحسين أدائهم أولاً بأول.

وليعلم الأبناء أن **الإنصات الجيد** يساعد على التفكير السليم، فليس الكلام الكثير والإسراع في الرد ومقاطعة المتحدث إلا مدمرات للتفكير السليم وحرمان الاستفادة من آراء الآخرين وخبراتهم.. فلنعود

أبناءنا حسن الاستماع ولو لرأى قليل الأهمية أو يبدو فيه الخطأ، ومن الممكن أن نجرب ذلك بأن تقول الأم شيئاً يكون الرد عليه سريعاً ونعلم من يرد من أبنائنا دون تفكير أن يأخذ نفساً عميقاً أولاً ثم يصمت بضع ثوان ويفكر في مخيلته بمثل قول: ولم لا؟ وما المانع؟ وماذا لو جربنا؟ وغيرها من الأسئلة التي تعلم **احترام الرأي الآخر وضبط الانفعال**. وكلها من عوامل التفكير السليم ويحسن بنا نحن أيضاً أن نرد عليهم بأناة وروية عندما يقول أحدهم رأياً غريباً ونعلمهم من خلال قولنا: ولم لا؟رأيك هذا يمكن وضعه في الاعتبار ولكن تفعل كذا وكذا أولاً. رغم أنه كان ينتظر الغضب والانفعال السريع العنيف تجاه رأيه الذي قاله ربما بغرض الاستفزاز والاستثارة فقط فلما وجد الهدوء وضبط النفس شعر بالاطمئنان بما يحثه على الإبداع وحسن الإنصات إلى الآخرين مهما كانت آراؤهم ساذجة.

ثم نعلم أبناءنا أن **يتحملوا نتيجة أخطائهم وقراراتهم بشكل إيجابي** حيث إن الذي يفكر يمكن أن يخطئ، أما الذي يعطل ما وهبه الله من إمكانات عقلية فلن يتعلم أو يخوض تجربة، أما الذي يفكر ويبدع فيمكن أن يخوض تجربة فاشلة أو يتخذ قراراً غير صائب فما عليه إلا أن يستعد من الناحية النفسية ليتحمل مسئولية ما قرر وما خطط، فتحمل مسئولية الأفعال هي إحدى سمات الناجحين والمتميزين.



ومن التفكير السليم أيضاً أن نعلم أبناءنا **ذكر**

البدائل للاختيار منها، فإن من السهل ذكر رأي واحد وكفى ولكن الأصعب منه هو تعدد الآراء ومن ثم تعدد الاختيارات بعد التفكير في الأنسب منها.

وكذلك ينبغي أن يتعلم الصغار **ترتيب الأفكار والبدء بالأهم فالمهم**، وكذلك يتعلمون **النظر لأجمل ما في الأشياء** وليس أسوأ ما فيها وإن كان الأسوأ هو الأكثر وضوحاً إذ إن التفكير السليم لا يكون إلا من خلال النظر لأجمل الأشياء وأفضل ما في كل منها، ولنعط أبناءنا كوبًا ممتلئًا نصفه بالماء ونعلمهم أن النظر إلى نصف الكوب على أنه ممتلئ أفضل من النظر إليه على أن نصفه فارغ، فهذا من التفكير السليم.. أما **التعميم** فهو يشل حركة التفكير السليم. ولنشجع **الأفكار المبتكرة** لدى الأبناء بل نشجع كل مرة ينجزون فيها شيئاً يفكرون فيه بطريقة سليمة ولنعلمهم التفكير الإيجابي **ولنسألهم كثيراً عن آرائهم** قبل أن نقول نحن آراءنا فما أجمل أن يسمع منا أبناؤنا: وما رأيك أنت؟ وماذا تقول لو حدث كذا؟ وهل تقترح شيئاً آخر؟

***

الحماية الواجبة

حماية الطفل مما يضره هو إحدى المهمات التربوية التي لا مفر منها سواء أكانت الحماية من:

١) أصدقاء السوء: فمع دخول المدرسة أو اشتراك الأبناء في النوادي الرياضية نجد أنهم قد بدءوا يتعرفون على أصدقاء جدد لهم، فيتنبه الآباء حينئذ لمن يصاحب ابنهم وقبلها يكون توجيههم له أهمية وحسن اختيار الأصدقاء، ونوجههم إلى أن أصدقاءهم الذين يفرضون عليهم في الفصل الدراسي لا يشترط أن يكونوا جميعاً أصدقاءهم الذين يتبادلون معهم الزيارات ويلعبون معهم ويتنزهون، وكذلك نوجه الأبناء إلى أن يكونوا قياديين وإيجابيين وسط زملائهم ولا يكونوا انقياديين وسلبيين حيث لا يقبلون من زملائهم كل شيء يقدمونه لهم إلا بعد عرضه على الأبوين لأنهم كبار ويعرفون ما يصلحهم وما يفسدهم جيداً. وكذلك يمكن أن يقوم الآباء بالاتفاق مع أقاربهم وزملائهم الذين يثقون في تربيتهم لأبنائهم بتكوين صداقات بين الأبناء وبعضهم بشكل يبدو عفويًا دون تسلط منهم أو قسوة؛ لأن تكوين الصداقات يعتبره الصغير من إنجازاته التي لا يقبل المساس بها، فالبديل الذي نوفره لابد أن يكون من اختياره هو ونحن فقط نوفر الجو الملائم لذلك كما لا يجب منعه من أصدقاء السوء منعاً جازماً لئلا يعاند أو يشعر بالتسلط والإحباط من قِبل الوالدين.

٢) **بعض المجلات والكتب** التي يقرؤها الصغار وهي كثيرة ومنتشرة ويجب علينا قراءتها وتقويمها سلبًا وإيجاباً لنعرِّف أولادنا بما ينفع منها وما يضر.

٣) **التلفاز:** وتكون الحماية منه على ثلاثة أشكال:

أولاً: تصويب ما في هذه البرامج والأفلام من أخطاء وسلوكيات فنقول لأبنائنا مثلاً في كارتون (توم وجيري):

١) إن المرح والفكاهة تنتهي مع انتهاء الفيلم ولا ينبغي أن يصاحبنا المزاح طوال اليوم.

٢) لا يصح أبداً أن نقلد أفلام الكارتون فيدبر أحدنا لأصدقائه الحيل والخدع كما يفعل أبطال الفيلم مع بعضهم.

٣) إن القـــط حيوان أليف محبوب نربيه أحياناً في منازلنا وهو ليس شريراً كما في الفيلم، بينما الفأر حيوان مفسد غير أليف وغير محبوب وليس طيباً وذكياً ومظلوماً كما نراه في الفيلم.

ونسير على هذا النهج في جميع ما يراه أبناؤنا من أفلام كارتون

فنرشدهم إلى عدوانية الشخصيات في الفيلم وسلوكياتهم الخاطئة وأنه لا ينبغي تقليد ما يرونه في الواقع.

ثانيًا: إيجاد البديل الهادف النافع وبدرجة قريبة مما يرونه في التلفاز وذلك يكون بمتابعة قناة فضائية هادفة أو بشراء البرامج البديلة من خلال عرض الفيديو أو على اسطوانات الليزر بالكمبيوتر أو اصطحابهم لدور العرض السينمائي إن توافر فيها هذا البديل.

ثالثًا: تحديد وقت لمشاهدة التلفاز وليكن ساعة مثلاً ينتقل بعدها الأبناء إلى استذكار دروسهم ومن ثم إلى اللعب فالنوم، وهكذا يحدث التوازن المطلوب فلا نتركه يستذكر دروسه طوال اليوم ولا يشاهد التلفاز، ولا نتركه يجلس أمام التلفاز الساعات الطوال حتى لا يتوقف عقله ويصبح مدمناً على مشاهدة مثل هذه البرامج، ونعود الصغير أن يغلق هو الجهاز بنفسه عندما ينتهي وقت المشاهدة المخصص له.

***



فكر معنا

اختر الإجابة الصحيحة:

١) في السنوات الثمانية الأولى يتشكل (٨٥٪-٩٠٪-١٠٠٪) من القيم عند الإنسان.

٢) يتذكر الإنسان (١٠٪-٩٠٪-٧٥٪) من الشيء إذا تكرر ٦ مرات أمامه.

٣) من وسائل برمجة الإنسان (العقاب-الأسئلة-القصة).

٤) من الوسائل التعليمية (رفع الصوت-الصورة-اللون الأحمر).

٥) القولبة في إطار معين تتنافى مع (اختلاف الفروق الفردية-اختلاف النواحي الاجتماعية-المشاكل الأسرية).

٦) البرلمان الصغير نشاط يتعلم منه الصغار (تحمل المسئولية-اتخاذ القرار-الديمقراطية الأسرية).

٧) يعبر عن مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والخلقي في المجتمع بـ (التطور-الحضارة-الارتقاء).

٨) أيهما أفضل بشكل عام (الطفل القيادي-الطفل الانقيادي).

٩) ضرب الأبناء من نماذج (التربية الفعالة-التربية النموذجية-التربية السهلة).

١٠) الواقعية وذكر البدائل وترتيب الأفكار والبدء بالأهم من سمات (التربية الذكية-التفكير السليم-المرونة).



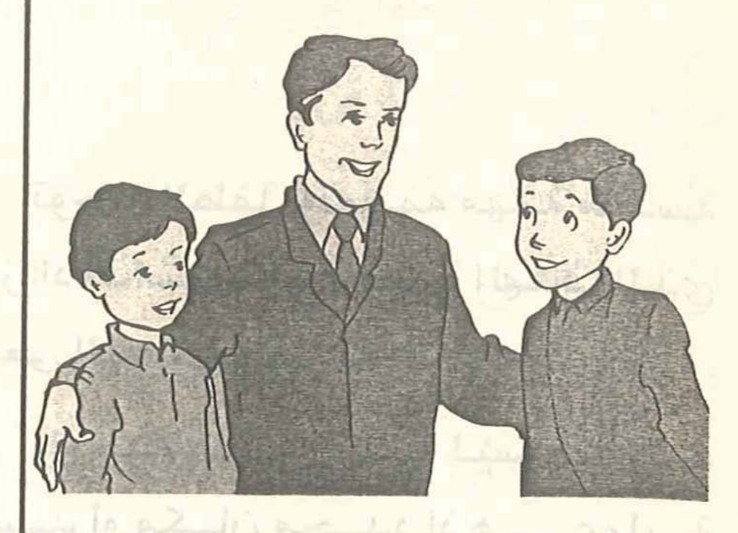
تناولنا في هذا الباب دور القصة والتعويد والتكرار والتمثيل والإنشاد في برمجة الطفل وتلقينه القيم والسلوكيات، كما نبهنا إلى المساوئ المترتبة على وضع الطفل في قوالب محددة، وأشرنا إلى أهمية التربية السليمة للطفل في هذه المرحلة المهمة من حياته قبل فوات الأوان، وتحدثنا عن بعض الأمور المهمة التي يجب أن يتعلمها الطفل مثل تحمل المسئولية والتفكير السليم وكيفية إعداد الطفلة لتكون زوجة متميزة في المستقبل.

ورصدنا بعض المفاهيم الخاطئة التي يمارسها البعض أو يعتقدونها عند التعامل مع الطفل وذلك من خلال المقارنة بين الطفل القيادي والطفل الانقيادي، والمقارنة بين التربية السهلة والتربية الشاقة.

وتحدثنا عن الحماية الزائفة في موضوع [مَنْ يربي مَنْ] والحماية الواجبة من أخطار بعض الوسائل الترفيهية الحديثة.

***

الباب الثاني



التوجيه والتعليم

- تمهيد
- أقنعه ثم أقنعه
- اعقد الاتفاقات معه
- ليسوا سواءً
- انفصام الشخصية
- هو إنسان أولاً
- الاجتماع العائلي
- لا تمس شخصه
- لا تكن كوالد نيمو
- التدرج
- أسلوب (إما .. أو)
- الأنشطة التربوية
- المتابعة
- ورد المحاسبة التربوي
- فكر معنا
- الخلاصة



توجيه الطفل وتعليمه مهمة مقدسة وتزداد قداستها مع وضوح الهدف الذي يسعى إليه المربي من تلك المهمة.

وتوجيه الطفل مهمة ليس لها وقت مقيد أو مكان محدد إذ هي عملية مستمرة دائمة وإن اختلفت طريقة أدائها؛ ولا يمكن أن نتحدث عن التميز في العملية التربوية دون أن يحتل التوجيه والتعليم مساحة كبيرة تشمل الإشارة لطرق التوجيه المثلى وتوضيح الأخطاء الشائعة أثناءه كما سيأتي لاحقاً.

***

أقنعه ثم أقنعه

التعامل مع الطفل يجب أن يكون على أساس أنه إنسان يفهم ويشعر ويسعد ويتألم، وهذا أرقى بكثير من التعامل معه على أنه آلة حيث نضغط على الزر فتنفذ الآلة ما نريده منها بلا تردد أو جدال.. إن ذلك إن صح مع الجماد فلا يصح أبداً مع إنسان وإن صغر؛ فهذا يقتل فيه الإبداع والابتكار والتفكير ويزرع فيه الجمود والتقوقع والسلبية والانطوائية.

والإقناع أولى من القهر والجبر، وإن استطعنا إقناع أبنائنا بأهمية ما يفعلون وما نريد منهم فسيكون لذلك كبير الأثر في نفوسهم والتزامهم عن حب بما نطلبه منهم، مما يجعل القيم والسلوكيات مبدأً في حياتهم لا يتخلون عنه سواء في صغرهم أو كبرهم وسواء رآهم الآباء أم كانوا وحدهم.

ولنتخيل معاً لو أن الابن ترك حجرته غير منظمة، كتبه على السرير وملابسه على الأرض، أو أنه غير منظم في شئونه وزجرته أمه قائلة: ألم أقل لك أكثر من مرة: «نظم غرفتك» إنه يفعل الشيء إن فعله خوفاً من أمه ولأنها قالت له هذا أكثر من مرة.

ولكنها لو قالت له: إنني أحب أن أراك تضع ملابسك في مكانها بالدولاب وكتبك في المكتبة وأنت بذلك ستكون منظماً ويحبك أبوك ويحبك جميع الناس، فإننا جميعاً لا نحب الإهمال وبالطبع أنت لست مهملاً وسوف يساعدك النظام على التفوق الدراسي والجلوس في مكان مرتب جميل،

وسوف يمدحك كل من يدخل غرفتك، كما أنك سوف تستطيع اللعب وقتا أطول بدلاً من بذل الجهد والوقت في البحث عن الأشياء التي تحتاجها.

إنه هنا قد اقتنع بأهمية النظام له شخصياً وكيف أنه يمنحه الثناء واللعب والتفوق والراحة مما يحببه في هذا السلوك.

فاجتهد أخي المربي في إقناع الطفل بما تريد ولا تفرض عليه الأوامر فرضاً واسمح له بالسؤال، وكن حليماً رفيقاً معه ولا تقلق من كثرة مناقشاته واعتراضاته بل دعه يناقشك وهو سيقتنع حتماً بكلامك إن أحسنت الوصول إلى قلبه وكان في نفسه لك رصيد من الحب. من المهم أن يعرف ابنك لماذا يجب عليه أن يغير من سلوكه ويكون له رأي وموقف يحدد من خلال سلوكه اليومي بدلاً من توجيه الأوامر الجوفاء له بتغيير هذا السلوك؛ لأن الشخص الذي يخضع لأوامر الغير في كل شيء يخصه، يعيش دون معتقدات أو قناعات تكون الأساس لسلوكياته.. تلك الأوامر التي تأباها النفس الإنسانية التي ميزها الخالق سبحانه وتعالى بخصائص ذاتية وفضلها على الخلائق تفضيلاً.

لقد مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة يبني القناعات ويصحح المعتقدات لتكون أساس الشخصية القوية التي تحمل مشعل الخير للبشرية.

واعلم أن إصدار الأوامر الجامدة للطفل ينتج عنه كثير من السلبيات

داخل واعلم أن إصدار الأوامر الجامدة للطفل ينتج عنه كثير من السلبيات داخل الحياة الأسرية ومنها:

الأوامر الجامدة دون إقنــــاع دليــــل فشل تربوي

١) عدم استماع الأبناء للآباء.

٢) إضـعاف العلاقـات الأسريـة وتـوهين عمليـة التواصـل بـين أفراد الأسرة.

٣) دفع الطفل للتمرد والعناد أو إضعاف مكونات شخصيته.

والتربيـة الإيجابيـة تقـتضي **الابتعـاد عـن الأوامـر الجامـدة واسـتبدالها بالأسئلة وتكرار الأسئلة.**

بدل أن تقول له آمراً: رتب غرفتك..قل له: متى سترتب غرفتك؟ هكذا بكل هدوء.

وهذه أمثلة لأسئلة واضحة ومباشرة تدفعه للعمل، وتهيئه نفسياً لذلك..مع ضرورة تفادي الأسئلة المشككة في قدراته أو تلك المتسمة بالسخرية من مثل: هل تستطيع ترتيب غرفتك؟! هل تحسن ترتيب غرفتك؟!

واهتم أخي المربي **ببناء المشاعر والأحاسيس** عنده تجاه ما تريد غرسه فيه، ففكرتك بحبك لها وحديثك عنها تتحول إلى قيمة، وهذه القيمة تنغرس في نفس الصغير موقناً بها فتصبح عنده عقيدة لا ريب فيها ثم يحبها

ويفتخر بها فتصير سلوكاً في حياته يحدد مصيره.. إن الصلاة مثلاً تبدأ فكرة وبحديثك عنها وعما تعطيه من راحة للإنسان واتصال مباشر بالله الخالق سبحانه، والذي يصلي يطلب من ربه في الصلاة ما يريد فيحققه له ثم يتعود الصغير الافتخار بكونه يصلي.

نعم هكذا يجب أن يعلمه المربي أن يفتخر بالصلاة حتى تكون الصلاة سلوكاً في حياته، أما قهر الطفل على أداء الصلاة جبراً فهذا غير مفيد. والحديث عن الصلاة مثله الحديث عن التدخين وكيف أنه يؤذي الآخرين ويسبب الأمراض فيمنع المدخن من الاستمتاع بحياته بشكل سليم.. قل له: إنني لا أدخن لأكون متميزاً سليم الصحة قوي الجسم محافظاً على مالي ولأشترى بثمن السيجارة طعاماً لذيذاً شهياً أستمتع به ولا أضر من حولي فيكرهونني.

إن هذا الأسلوب أفضل من التهديد بعدم التدخين فإن الأساليب الاستفزازية للطفل كالتهديد بالمنع والحرمان، وكالصراخ في وجه الطفل ومقارنته بغيره ولومه وانتقاده والضغط عليه تسبب النفور من المربي كما تسبب قلق الأبناء وضعفهم.

والتعليل وسيلة يستخدمها الآباء والأمهات لإقناع الطفل لتغيير سلوكه. ويشمل ذلك شرح الصواب والخطأ، وشرح القواعد والمعايير والنتائج المترتبة على تصرفات الطفل. وتشير الدراسات أن الأطفال الذين تستخدم معهم هذه الوسائل يكونون أكثر انفتاحًا على المجتمع من غيرهم ويسلكون سلوكًا مقبولاً.

وماذا يمنع أن نقول للطفل:

إذا لم تتناول الدواء فلن تستطيع اللعب بسبب استمرار المرض

إذا تعاركنا كثيراً مع أصدقائنا فلن نجد من نلعب معه.

إذا جلست معكم ولم أذهب للعمل فلن نستطيع إحضار المال اللازم لشراء احتياجاتنا من الطعام والألعاب.

إذا لم نتناول الطعام الصحي فسوف نمرض.

فاحرص دائماً أن تكوِّن لدى طفلك المعايير التي من خلالها يتعرف على الخطأ.. علِّمه أن هذه الأفعال ضد القيم وضد الدين وتؤثر على صحته وتؤثر على علاقته مع الناس وتؤخره دراسياً وتؤثر على نشاطه الفعلي والبدني.. وذلك حتى يترسخ عنده مثلاً أن الكذب ضد القيم ولا يحبه الناس، فيقيس على ذلك جميع الصفات السيئة والأخطاء.

ومن سبل **إقناع الطفل** أن نعلمه احترام مشاعر الآخرين وتأثير السلوك السيئ عليهم.

تقول د/ **ميشيلي بوربا**: كلما تصرف ابنك بعدم اكتراث أوقفه عند حده وأعلمه أن هذا التصرف غير مقبول. اشرح له بلهجة حازمة الأسباب التي تجعلك ترفض هذا السلوك. هذه هي اللحظة التي يجب أن تُفهمه فيها بمنتهى الوضوح مكمن الخطأ في تصرفه وسبب رفضك له.

إن تدخلك في الوقت المناسب سوف يساعد ابنك على نقل بؤرة تركيزه من نفسه إلى التفكير في تأثير تصرفه على الآخرين؛ على سبيل المثال:

«لقد كان هذا تصرفاً غير مراعٍ لمشاعر الآخرين. إنني أتوقع أن تعامل أصدقاءك بنفس الطريقة التي تحب أنت أن تُعامل بها».

«أشعر بقلق وضيق بالغ عندما أراك تعامل أصدقاءك بدون التفكير في مشاعرهم. لا يجب أن تعامل الناس بهذه الطريقة السيئة».

ولكي يكتسب ابنك القدرة على الاهتمام بمشاعر الآخرين يجب أن يتعلم حصيلة عاطفية لغوية تنمي ذكاءه العاطفي؛ علِّمه بعض الكلمات التي تنمُّ عن المشاعر في مثل: أشعر بالغيرة-أشعر بالفرح-أنا مغتاظ-أنا متفائل-أشعر بالملل-أنا حزين من...-أنا منزعج-غاضب-أنا مشتاق لـ-هذا رائع-أشعر بعدم الارتياح

وفي الختام:

إن الآباء الذين يحترمون أبناءهم فيشاورهم ويقنعوهم بما يريدون يلاحظون دوماً كيف أن أبناءهم أقل جدلاً معهم وأشد حباً واحتراماً لهم وسلوكياتهم السيئة تقل مع الوقت أمام آبائهم وأمهاتهم وأيضاً في غيابهم.

إن فتح باب الحوار مع الأبناء لهو وسيلة مثلى من أجل إقناعهم بما نريده منهم. ولنتذكر جيداً أن طاعة الطفل الناتجة عن غير اقتناع لا تجعل الطفل راغباً في تحمل المسئولية لأن هذه الرغبة لا تنمو بالفرض والقهر وإنما تنمو بشكل طبيعي من خلال ما يتعلمه هذا الطفل من قيم وعادات.

اعقد الاتفاقات معه

الأطفال خاصة فوق العاشرة مثلهم مثل أي شخص آخر يميلون للالتزام بالقواعد المكتوبة أكثر من الشفهية خاصة لو كانت هذه القواعد المكتوبة بسيطة وواضحة وخالية من الغموض، فحينئذ يصبح من الصعب عليهم أن يتملصوا منها وحتماً سيحاولون هذا.

فعليك أن تعقد صفقات بسيطة مع ابنك بحيث لا تتعدى هذه الصفقات حدوداً كان قد تم وضعها من قبل.

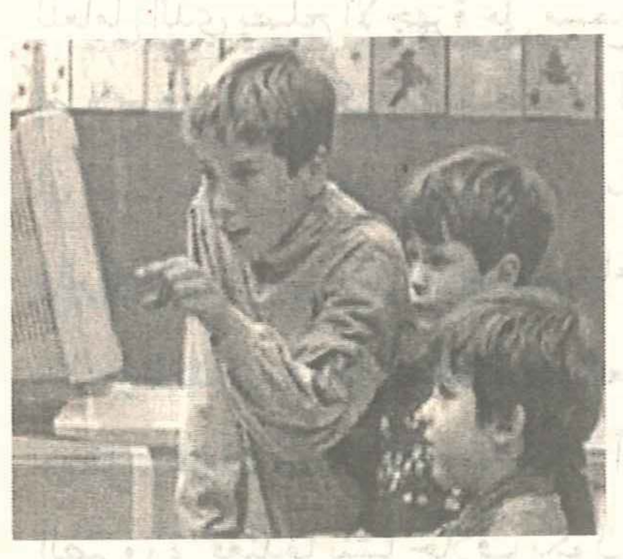
مثال لهذه الصفقات: «إذا أديت الأعمال المطلوبة منك بالبيت هذا الأسبوع دون أن أضطر لتذكيرك بها، سنخرج للنزهة». وهذا لا يعد رشوة مثل تقديمك حلوى لطفل يصرخ في متجر البقال. إنها مجرد مكافأة للالتزام باتفاق ما.

واجعل طفلك يراك وأنت تعقد اتفاقات مع الآخرين كأن تقول لزوجتك أو ابنك الآخر: «إذا طويت الغسيل سوف أقوم بإعداد العشاء الليلة». وقل للعامل الذي يصلح الأجهزة على مسمع من ابنك: «أود أن أستعين بشركتكم في إصلاح هذا الشيء لكني لا أستطيع أن أنتظر حضورك طوال اليوم. هل يمكنك أن تحدد موعداً إما بين الساعة الثامنة وحتى الثانية عشرة أو بين الواحدة والرابعة؟» واجعل فكرة الأخذ والعطاء واضحة.

وتأكد من أنه لن تفيدك هذه العقود في شيء إذا تركتها مهملة في درج مهمل. عليك بلصق صور منها في أماكن واضحة كي ترجع إليها عند الضرورة. فعندما ينشأ خلاف يكون هناك عقد ملزم في حوزتك.

ليسوا سواءً

الفروق الفردية ظاهرة عامة في جميع الكائنات وهي من سنة الله في خلقه. فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم حيث لا يوجد فردان متشابهان تمامًا في استجابة كل منهما لموقف واحد. وهذا التمايز بين الأفراد أعطى للحياة معنى، فلو أصبح جميع الناس متساوين في نسبة الذكاء لما أصبح الذكاء حينئذ صفة تميز فرداً عن آخر، وبذا لا يصلح جميع الأفراد إلا لمهنة واحدة وهذا مستحيل، ولكنك تجد في الناس العبقري وشديد الذكاء ومتوسط الذكاء ومنخفض الذكاء والأبله.. فضلاً عن تمايز مواهبهم وسماتهم، ولذلك فإن ما يجب أن يدركه كل المربين هو أن لكل إنسان طبعاً محدداً، وهذا الطبع يميز كلاً منهم عن الآخر حتى التوائم؛ ولذا وجدناً من يعرف الشخصية بأنها [**البنية الكلية الفريدة للسمات التي تميز الشخص عن غيره من الأفراد**].



وتعتمد مقاييس الشخصية على ظاهرة الفروق الفردية في الكشف عن العوامل الرئيسية التي تحدد نجاح الأفراد حيث إن النجاح يمتد في أبعاده ليشمل كل مكونات الشخصية في تفردها من فرد لآخر.

ومن هنا نعلم أن:

أولاً: أبناؤنا ليس لهم يد فيما يميز شخصيتهم عن أقرانهم سلباً أو إيجاباً، فهم خلقوا بشخصيتهم هذه وعلينا تقبلهم بها لئلا نكلفهم ما لا يطيقون.

ثانياً: مقارنة الطفل بغيره تصيبه بالإحباط والعجز وربما الحقد على الآخر والمفترض أنه أفضل منه ولذلك ينبغي الحذر من تلك المقارنة.

ثالثاً: من المهم أن نتعرف على قدرات أبنائنا ونوظفها جيداً بما يناسبهم وإن اختلفت عن غيرهم.

رابعاً: لأبنائنا ميزات وإن قلَّت أو ضعُفت قد لا تكون في غيرهم، ومن هنا يجب كشف بواطن شخصية الطفل وتشجيعه دوماً على إخراج ما عنده من طاقات وقدرات ونقوم بتنميتها.

خامساً: المقارنة بين الصغار تؤدي إلى ارتباط ذهني لا شعوري بين نجاح الآخرين وتفوقهم وبين فشله وقصوره، فإذا تكررت مثل هذه المقارنة بهذه الطريقة الخاطئة من أكثر من مصدر وفي أكثر من موقف ترسخ في ذهن الشخص قاعدة خاطئة وهي «أن كل نجاح لمن حولي يستحقون الثناء عليه يعني فشلي في بلوغ هذا النجاح وقصوري في أعين الناس» مما يؤدي إلى البعد عن المقاييس الصحيحة والموازين الصائبة للأمور.

طفلك إنسان مثلك:

وتعتبر المقارنة بين الأبناء أمرًا مزعجاً لهم فكما أن الزوجة تنزعج حين يطلب الزوج منها أن تقوم بعمل ما فتقوم به ولكن لا ينال إعجابه فيبدأ بمقارنة هذا العمل مع ما تقوم به أخته أو أمه أو جارته، فهذا بكل تأكيد يزعج الزوجة ويشعرها بالإهانة لمجرد المقارنة، فنفسية الطفل كذلك مثل نفسية الكبير يغضب ويتوتر حين تقارنه بأخيه الأسرع منه أو الأذكى منه أو الأهدأ منه

- ابن خالك حصل على درجة أعلى منك.
- أختك منظمة في شئونها بينما أنت مهمل في كل شيء.
- صديقك خالد يحبه كل المدرسين بينما هم دائمو الشكوى منك.

إن مثل هذه المقارنة تخلق عند الطفل اضطراباً في نفسيته وضعفًا في شخصيته لأنه قد يكون عاجزاً أو غير قادر على القيام بنفس ما يقوم به أخوه، ولكنه بالتأكيد يستطيع القيام بشيء لا يستطيع أخوه القيام به لأنه لم يخلق نسخة من أخيه فهو شخصية مستقلة.

ولا ينبغي أن تشجع أبناءك على أن يقارنوا أنفسهم بالآخرين، بل عوِّد أبناءك أن يتقبلوا مدح الآخرين لأحدهم أو مدح المدرس لأحدهم وعلِّمهم أن يبحثوا عن أسباب المدح ليوجدوها في أنفسهم إن استطاعوا دون أن يتضايقوا أو تنبت مشاعر غيرة عدائية عندهم، وهذا لن يكون إلا بالتدريب على التعامل مع هذه المشاعر داخل نطاق الأسرة ومناقشتهم فيها.

خطأ فادح:



كثير من الآباء يتوقعون من جميع الأطفال التصرف بنفس الطريقة، وهنا يسلكون مسلكاً خاطئاً في التأديب. ينبغي على الآباء ألا يتعاملوا مع الطفل الهادئ والانطوائي والمتأمل مثلما يتعاملون مع الطفل المنفتح والاجتماعي والمفعم بالحيوية والطاقة. كذلك ينبغي ألا يتوقعوا أن تكون سلوكيات كل منهما واحدة. يجب على الآباء أن يقوموا باحترام الخصائص والسمات التي تشكل شخصيات أطفالهم.

وأخيرًا فإن مقارنة الطفل تكون بنفسه في موقف سابق في مثل (تذكر يوم إن حصلت على درجة كبيرة فهو أفضل مما أنت عليه الآن) أما مقارنته بغيره فهي محظورة.

***

انفصام الشخصية

الأب يدخن وينهي أبناءه عن التدخين.

الأب يأمر بشيء وتأمر الأم بعكسه.

الأب يبتسم عندما يشتم الولد أمه بينما يضربه عندما يشتمه هو.

الأم تضرب ابنها على ترك المذاكرة ولا تضربه على ترك الصلاة ثم هي تحافظ على الصلاة في وقتها.

الأب يأمر أبناءه بعدم الجلوس طويلاً أمام شاشات التلفاز ويستيقظ الطفل من نومه فيجد أباه ساهراً أمام شاشات التلفاز.

الأم تنهي ابنها عن التحدث في الهاتف كثيراً وهي لا تتحدث في الهاتف أقل من ساعة في المرة الواحدة.



انفصام الشخصية هذا الذي يعانيه الأبوان ونراه كل يوم في المجتمع من حولنا سيصيب الطفل بانتكاسة وازدواجية في شخصيته وتشتت بين

ضدين وأبوين يحبهما معاً ولا يستطيع التوفيق فيما يطلبان منه.

والواقع هو أن الأطفال يأتون إلى الحياة وهم لا يعلمون شيئاً ومهمة الوالدين تعليمهم أولاً التصرف السليم والمبادئ الأخلاقية الفاضلة، ولهذا السبب فإن على الآباء أن يراعوا بأن النهي عن الشيء أو الرضا عنه لا يتغير بتغير المواقف وإنما يجب أن تكون تعليماتنا واحدة لا تتبدل حتى لا تهتز ثقة الطفل بتعليمات والديه ويشعر بالحيرة وعدم الاطمئنان النفسي؛ فيؤثر ذلك بصورة سلبية على شخصيته، حيث إن تذبذب سلوك الآباء تجاه الطفل وعدم ثبات هذا السلوك واستقراره يشعر الطفل بالقلق ويفقده القدرة على توقع ردود الفعل نحو سلوكه فيصبح مترددًا عند اتخاذ قراراته وعند التعبير الصريح عن رأيه.

قد يكون أحد الوالدين قاسياً في تربيته للطفل بينما يكون الآخر متسامحاً معه، أو يمنع أحدهما الطفل عن سلوك معين بينما يتسامح الآخر معه في نفس السلوك.. فهذا يخلق عند الطفل ازدواجية في تقييم الأمور ويصبح متذبذباً في سلوكه دائم القلق لعجزه عن إرضاء كلا الوالدين أو معرفة السلوك الذي يجب أن يتبعه.

وليد طفل عمره أربعة أعوام كان يعمد إلى استخدام كلمات الرضيع الصغير كلما رغب في شد انتباه والديه -ولاسيما أمه- إلى إحدى حاجاته فإذا كان يريد الماء فإنه يشير إلى صنبور الماء قائلاً (امبو امبو) للدلالة على عطشه. وكانت الأم ترى في هذا السلوك دلالة على الفطنة والذكاء؛ لذا تلجأ إلى إثابته على ذلك أي تلبي حاجته فتجلب له الماء من ذاك الصنبور.

أما والده فيرى الألفاظ التي يستعملها هذا الولد كريهة فيعمد إلى توبيخه على اللفظ الذي لا يتناسب مع عمره.

والنتيجة:

أصبح الطفل واقعاً بين جذب وتنفير..
بين الأم الراضية على سلوكه والأب الكاره له.
ومع مضي الوقت أخذت تظهر على الطفل علامات الاضطراب الانفعالي وعدم الاستقرار في صورة سهولة الإثارة والانفعال والبكاء وأصبح يخاف من والده ويتجنبه.

***

هو إنسان أولاً

يتعامل الآباء وللأسف مع الطفل منذ دخوله المدرسة على أنه تلميذ ليس له هدف في الحياة سوى التعليم، وليس لنا هدف معه سوى أن ندخله المدرسة ونذاكر له ونأتي له بالمدرسين وبالكتب الدراسية ويستعد للامتحان ثم تظهر النتيجة ثم يكون الاستعداد للعام التالي وننسى أننا نتعامل مع إنسان من لحم ودم يشعر ويحس.. **والجانب العقلي هو أحد جوانب خمسة لابد من الاهتمام بها ليكتمل النمو الصحيح للطفل إيمانياً وجسمياً واجتماعياً ووجدانياً** فيلعب ويمرح ويتنزه ويصاحب.

يجب أن يدرك الطفل أننا لا نعلّمه، وإنما نقدم إليه خبرتنا.

وأننا لا نتحكم فيه بل نشير عليه.

وأننا نعاونه لكي يصير «إنساناً» لا مجرد فرد، لكي تتجلى الشخصية الإنسانية فيه، بكل نبوغها واستقامتها وتفوقها تجلياً كاملاً.

ولنتعامل مع أطفالنا بمبدأ « **أحب لأخيك ما تحب لنفسك** » فطفلك لن يعطيك من الأدب والتعاون والاعتبار أكثر مما تعطيه إياه، ولنفرض أنه طلب منك أن تعاونه في حل اللغز أو بناء المكعبات مثلاً ولم تستجب له بل صرخت في وجهه ربما لأنك متعب أو غاضب من أمر ما... هل تتوقع منه أن يساعدك في تحضير المائدة أو شراء ما تحتاجه من البقال بكل يسر وسلاسة.... كذلك فإنه لن يسامح سريعاً إذا ما جذبت الأم شعره أثناء تمشيطه.

إن تفهمنا لحقيقة ما يقوم به الطفل من تصرفات قابلة للصواب والخطأ سيعطينا عمقاً أكثر نحو تربية أفضل بإذن الله، وعالم السلوك عند الأطفال عالم واسع يدور حول محور أساسي هو أن الطفل يتحرك في الواقع الذي يعيشه بسلوك عفوي لا يستطيع معه أن يخفي ما يشعر به وأكثر ما يؤلمه الاستخفاف بمشاعره وتجاهلها فهو يريد من والديه وجميع من حوله أن يتفهموا شعوره إن كان غاضباً أو غيوراً أو خائفاً أو حزيناً.

وإذا ما أخطأ فهو يريد توجيهاً نحو نقطة معينة يتفهمها بسلوكه الخاص ولن يدرك أو يربط الأمور كما يفعل الكبار فهو لن يدرك سبب السخرية من سلوكه ولن يربط بين ما ارتكبه من خطأ وبين الشتم واتهامه بالغفلة أو الغباء.

إننا في حاجة حقيقية إلى إدراك مثل هذه الحقائق والضغط على أنفسنا لنتمرن عليها حتى ينشأ عندنا جيل يحترم آدميته وآدمية الآخرين.

ألستم معي في ذلك؟

***

الاجتماع العائلي

إن تخصيص يوم لاجتماع الأسرة مع بعضها لهو مؤشر صحي وقيمة عظيمة يحتاج إليها كل فرد من أفراد الأسرة حيث تزداد أواصر الألفة والمحبة بين الجميع، وينفس كل فرد عما بداخله من مشاعر وأحاسيس، ويستمتع الأبناء برؤية أبيهم جالساً بينهم، وكل فرد في الأسرة من سن عامين فصاعداً يمكن أن يشارك. والأمر يتضمن ببساطة طرح الأبوين المشكلات المتعلقة بالبيت؛ الشجار والنزاع المستمر وعدم المحافظة على أساس البيت وعدم المشاركة في أعمال البيت وما إلى ذلك. فأي سلوكيات يرى الأبوان أنه يمكن التحسين منها، يمكن أن تطرح في هذه الاجتماعات.

وصايا الاجتماع العائلي:

- أشرك الأطفال في الاجتماع. أوضح لهم أسباب عدم رضاك عن الطريقة التي تسير عليها الأمور في الوقت الحالي، وأعطهم فرصة



للتعبير عن آرائهم وأفكارهم. ما الذي يرغبون في أن يروه؟ وعندما يشعر الجميع بالرضا إزاء التغيرات المحتملة يحين وقت وضع بعض القواعد الأسرية.

.يمكنك عقد هذه الاجتماعات في يوم الإجازة الأسبوعي بعد الغذاء أو بعد الانتهاء من الواجبات في مساء يوم ما أو مرة أو مرتين شهرياً.

وقد أظهرت الأبحاث الحديثة-التي أجرتها جامعة ميتشجان-أن الحديث العائلي وهو مجرد الجلوس والتحدث مع الأطفال قد انخفض تقريباً بمعدل ١٠٠٪ عام ١٩٩٧ مقارنة بنسبته عام ١٩٨١. ولكن للاجتماع العائلي أسس نذكر منها:

- ناقش القضايا والقواعد السابقة وما تم الاتفاق عليه قبل البدء في القضايا الجديدة.
- أعط الكلمة لكل عضو في دوره على ألا يقاطع أحدهم الآخر.
- احصل على موافقة الأبناء على كل ما يسن من قواعد ومن ذلك قولهم:

لن أقوم بتشغيل جهاز الكاسيت بصوت مرتفع بعد العاشرة مساءً. وسوف أحترم أن غيري من أفراد الأسرة يحتاجون إلى الاسترخاء والنوم

لن أحدث ضوضاء عندما أرتدي ملابسي في الصباح	لن أتعارك أو أتشاجر مع أخي. سوف أعامله بالطريقة التي أحب أن يعاملني بها

لن أتأخر في قيامي بأداء واجبي وسوف أؤديه بعد المدرسة أو بعد العشاء

وعندما يتم الالتزام بكل قاعدة منها بشكل مرضٍ قم بتقديم مكافأة. قد يكون من غير العملي أن تعطي هدية أو مكافأة على كل شيء يؤدى على النحو الملائم لكن هناك طرقًا عديدة لإثابة الأطفال.

وتذكر أن هذه القواعد سرعان ما ستصبح نمط حياة وحينئذ يمكنك أن تسقطها من حساباتك. فالقواعد الأسرية في حاجة إلى أن يتم تعديلها باستمرار كي تكون فعالة ومؤثرة.

وبالنسبة للقواعد التي يتم مخالفتها ينبغي أن تقرر عقوبات لها. شجع طفلك على أن يختار العقوبة بنفسه. سوف تجد أن الطفل سيكون أكثر قسوة وتشدداً على نفسه منك.

الآباء يحتاجون إلى القواعد أيضاً! فإذا كانت مشاركة الأسرة ككل مطلوبة ينبغي أن تتاح الفرصة لأطفالك كي يتوقعوا سلوكيات معينة منك. اسألهم عن التغييرات التي يرغبون في رؤيتها منك. فإذا كنت تفقد

أعصابك بسهولة فقد تكون إحدى القواعد هي أن تتجنب الصياح. وإذا كان أطفالك يعتقدون أنك تقضي كثيرًا من الوقت على الهاتف يمكنك أن تتفق معهم على التقليل من المكالمات الهاتفية لأدنى درجة ممكنة خلال ساعات معينة. الأمر كله يدور في إطار الاحترام المتبادل.

اجعل الأمر مسلياً ومثيراً! لا تكن قاسياً أو متشدداً، واختر خمس أو ست قواعد مثلاً لكل فرد في الأسرة وتحدث عنها بشكل مفصل. تأكد من أن الجميع راضٍ عن المكافآت والعقوبات، واعقد اجتماعات أسرية من وقت لآخر من أجل إعادة التقييم.

واعلم أن اجتماع أفراد الأسرة معًا شيء عزيز هذه الأيام لكنه مهم وأساسي، ومن أجل فهم أفراد الأسرة للطريقة التي يفكر ويتصرف بها بعضهم بعضًا. أيضاً يتيح هذا الوقت الذي تجتمع فيه الأسرة فرصة للأطفال والآباء كي يعبروا عن أنفسهم في ظل بيئة آمنة. والأهم من هذا كله أن هذا الوقت يقوي الروابط التي ستظل ملازمة لأطفالك طيلة حياتهم.

***

لا تمس شخصه

أعجبني أحد الآباء عندما أتاه ابنه يشتكي من المعلمة التي قالت له: أنت غبي! فإذا به يذهب إلى المدرسة ويقابل المعلمة ويقول لها: أعطني ورقة أوقع لك فيها أنني المسئول عن مستوى ابني الدراسي وليست عليك أية مسئولية ولكن لا تقولي له: يا غبي! فأنا لم أعوده على ذلك.

وكم كان هذا الموقف مؤثراً بالنسبة لي إذ إنه يبدو أن هذا الأب الإيجابي يعلم أن الإنسان بوجه عام لو تصور في ذهنه صفة لنفسه وأخذ يرددها أو يسمعها من آخرين فسوف تكون له خلقاً بالفعل، فإن قال الأب للطفل (يا غبي) مرة على الأقل في اليوم، وقالت الأم مثلها، وسمعها الصغير من كل مدرس في المدرسة أي أنها تقال له حوالي عشر مرات في اليوم وربما أكثر فحتماً سيكون غبياً أو الأقل متغابياً، والضرر الأقل أن يستمرئ الكلمة ويتعودها رغم أنها سب خطير يمس شخصه مباشرة.

ومثل ذلك من يكذب مرة فيظل الجميع ينادونه بالكذاب حتى يصير له خلقاً وطبعاً رغم أنه كان من الممكن أن تكون الكذبة الأولى والأخيرة.

وإن احترام الصغير بعدم شتمه لهو أمر يكسبه الثقة في نفسه ويشعره بإنسانيته وآدميته، والعكس عندما نشبهه بالحيوانات أو بصفات قبيحة فنسمع من يقول: (يا كلب ـ يا حمار ـ يا عجل ـ يا جاموسة ـ يا حشرة- يا كسلان- يا شيطان- أنت لا تصلح لشيء- ليس فيك فائدة..........).

والذي يقول ذلك ربما ينفس عن نفسه لكنه يترك في نفس الصغير أثراً سيئاً وجرحًا غائرًا.

لكن هذه الكلمات والتعليقات التي يطلقها الآباء يمكن أن تكون لها تشعبات عميقة الجذور. فالأطفال يصدقون آباءهم تماماً، وإذا أخبرتهم بأنهم أغبياء أو أنانيون أو مشاغبون، حتى وأنت في حالة غضب، فإنهم يخزنون ذلك في عقولهم. فأي كلمة سلبية تستخدم لتصنيفهم سوف يأخذونها بجدية، حتى وإن كان ذلك في مستوى اللاشعور.

والمعروف تربوياً وإنسانياً أن المذموم هو الفعل السيئ وليس الشخص نفسه. **إن وقوع الخطأ لا يعني أنَّ الخاطئ أحمق أو مغفَّل**، ولابد أن يقع الطفل في أخطاءٍ عديدة؛ لذلك علينا أن نتوجَّه إلى نقد الفعل الخاطئ والسلوك الشاذ، لا نقد الطفل وتحطيم شخصيته، فمن هنا فنقول للمخطئ: «إن ما فعلته هذا شيء سيئ وأرجو ألا تفعله بعد ذلك» ولا تقول: «أنت سيئ بسبب ما فعلت» وتقول: «لم نكن نحب أن نسمع منك قولاً كهذا» ولا تقول: «أنت غبي ومتخلف عندما تسمعنا هذا القول». ونقول: «هذا الفعل سيِّئ، وأنت طفل مهذَّب لا يحسُنُ بكَ هذا السُّلوك».

ومن اللازم للأبناء عند تهذيبهم أن يشعروا بعدم الرضا عن تصرفهم الخطأ لا عن أنفسهم وشتان بينهما، وكذلك لا ينبغي إشعار الطفل بالأسى وأنه إنسان سيئ لارتكابه الخطأ، فهذا يدمر ولا يبني وقد يسهم في استدامة السلوك الخطأ لا منعه.

ويسئ بعض المربين إلى أبنائهم عندما يخطئون من خلال انتقاصهم

لشخصياتهم وهم غاضبون فينعتونهم بصفات قبيحة من الصعب على الأطفال نسيانها فيما بعد، بل هي تسري كالسهام المسمومة في تدمير شخصياتهم وتعمل على اضطرابها وضعفها، والسبب أن الإنسان مخلوق بقدرة فطرية هي الإحساس ومن الطبيعي أن يشعر الطفل الذي يصفه والداه بأنه قبيح أو غبي بالقهر والظلم وأحياناً بالكره لهما لما يسببان له من ألم نفسي. وقد ينطلق خياله لكي ينتقم منهما لشعوره بالذنب والقلق والضيق بعكس ما هو مطلوب منه أخلاقياً ودينياً.

فالطفل الذي ينعته والداه بأنه غبي وأحمق قد يرد في البداية عليهما بأنه غير أحمق أو غبي لكنه سيصدقهما فيما بعد عندما يكررونها عدة مرات، وسيبدأ في التفكير في نفسه على أساس أنه غبي، وسيبتعد عن تجربة أي شيء لأنه يخاف الفشل أي أنه سيبتعد عن أي جهد عقلي يبذله لكي يتطور.

إذن من الأفضل أن يكون انتقادنا لأبنائنا بعيداً عن تحقير شخصياتهم وأن ينصب على ما فعله الطفل من تصرف خاطئ بأن نركز حديثنا معه حول ما كان يجب عليه القيام به لكي يتفادى الخطأ، إننا بهذا الأسلوب البنَّاء في التوجيه سنساعد على تقوية ثقة أبنائنا بأنفسهم وسنجعلهم راغبين في تطوير شخصياتهم.

***

لا تكن كوالد نيمو

كثير منا قد رأى الفيلم العالمي الرائع (نيمو) وكيف كان تسلط أبيه ومبالغته في حماية ابنه عاملاً مؤثراً بشكل سلبي في تربيته.



إن المراقبة المباشرة والمبالغ فيها من قِبل الآباء والمربين للطفل تفقده الإحساس بالأمان والاعتماد على النفس وتشعره بالنقص وربما تضطره للكذب أحياناً، وإننا لا نقصد بذلك منع متابعة الطفل ومراقبته ولكن المراقبة غير المباشرة وعدم المبالغة فيها، وعدم التدخل في كل ما يقوله الطفل ويفعله هي التي نعنيها هنا حتى إن بعض الآباء والمربين يسأل ابنه: لماذا تنظر من النافذة ؟ ماذا تفعل في المطبخ ؟ لماذا تلبس هذا القميص؟ وغيرها من الأمور التي لا تدل إلا على تسلط واضح للآباء والمربين وهي لا تسهم في تقدم العملية التربوية إلا بشكل سلبي عقيم.

وإن المبالغة في المحافظة على نظافة الطفل وتعقيم ألعابه والوقوف بجانبه وهو يلعب مع أقرانه لتنبيهه لكيلا يسقط على الأرض مثلاً وعدم تركه لحل مشكلاته بنفسه، كل ذلك ينشئه ضعيف الشخصية ولا يستطيع تحمل المسئوليات، ويكون شديد الخوف كثير التردد وليست عنده القدرة على التكيف الاجتماعي وتكوين علاقات اجتماعية جيدة مع الآخرين

وعدم القدرة على حل المشاكل. فلنترك أبناءنا على سجيتهم يلعبون ويسقطون ويدخلون في مشاكل وعلينا فقط أن نوجههم من بعيد ونعلمهم ماذا يجب عليهم أن يفعلوا ولنصوب لهم ما أخطأوا فيه.

والدكتور جينو الخبير التربوي يوصي بعدم التركيز على أهمية بقاء ملابس الطفل نظيفة خلال تواجده في المدرسة أو خارجها لأننا -حسب اعتقاده- نحرم أطفالنا بهذا الأسلوب من حرية الطفولة وعفويتها في الجري والقفز واللعب، أما الاهتمام بالمظهر الخارجي فإن الأطفال سوف يدركونه شيئاً فشيئاً. ويطلب الدكتور جينو من الأم ألا تلوم ابنها على عدم محافظته على نظافة ملابسه وإنما تقول له: يبدو أن نهارك كان حافلاً بالنشاط وإذا كنت تريد تغيير قميصك فستجد غيره في دولابك. فإن مثل هذا التعليق يوطد علاقة الطفل بوالديه أكثر من قول الأم لطفلها: كم أنا متعبة من قذارتك، ألا تكون حذراً في المرة القادمة حتى توفر علينا غسل ملابسك وتنظيفها عدة مرات في اليوم.

إن صحة الطفل النفسية تتطلب أن يستمتع بطفولته لا أن يبقى نظيف الملابس دائماً. وتستطيع الأم شراء ملابس رخيصة وعملية لطفلها تتيح له حرية الحركة والتمتع بيومه بدل أن تشتري له ملابس غالية الثمن تخاف إفسادها بسبب كثرة الغسيل، وسوف يتعلم الطفل مع نموه كيف يعتني بمظهره.

* * *

التدرج

التدرج عند توجيه الطفل عامل مهم في العملية التربوية عموماً فلا يعقل أن نعلم أبناءنا في سنة ما تعلمناه نحن في عشرين سنة، أو نعطيهم معلومة لا تناسب سنهم الآن بل تناسبهم بعد ثلاث سنوات مثلاً، ولا يجوز أبداً أن يقوم المربي بحشو عقل الطفل بمفاهيم ومصطلحات تصيبه بالإحباط وتسرق منه طفولته وبراءته.

فما لا يهم الطفل لا ينبغي أن يتعلمه، وكذلك ما لا يناسب إدراكه ومرحلته العمرية فهو مثلاً يتعلم من سنن الفطرة تقليم الأظافر والاغتسال والنظافة ولكن لا يتعلم نتف الإبط أو حلق العانة حيث إنه لم يبلغ بعد وبالتالي لم ينبت شعره في مثل هذه الأماكن.

كما أنه يتعلم التصدق على الفقراء وأن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة ولكن لا يتعلم تفاصيلها وأنواعها ونصابها فهو لم يكلف بعد.

***

أسلوب (إما.. أو)

من الأخطاء الشائعة التي يقع فيها بعض المربين عند توجيههم لأبنائهم هو تخييرهم بين شيئين لا ثالث لهما وأحلى الاختيارين يكون مراً، وفي هذا إجحاف بالطفل وعدم تقدير لطبيعته الرقيقة. كما أن فيه تسوية غير عادلة بين الأطفال إذ تختلف طبائعهم ومهاراتهم وقدراتهم وميولهم، وبالتالي نجد أنه من الصعب تخييرهم بين أمرين في مثل: إما أن تكون الأول على زملائك في المدرسة أو لا أحبك أبداً.

إما أن تطيع أمك أو أمنع عنك المصروف.

إما أن تتوقف عن ضرب أخيك الصغير أو أضربك بالعصا.

إما أن تمتنع عن مشاهدة التلفاز أو أرفعه نهائياً.

إما أن تنام الآن أو أخاصمك ولا أكلمك.

وهناك من الوسائل البديلة لتعليم الصغار السلوكيات كثير وكثير غير هذا الأسلوب العقيم الذي يأتي بنتيجة عكسية غالباً، فنفس الصغير لا تحتمل هذا التضييق من الآباء والمربين.

***

الأنشطة التربوية

توجيه الطفل من خلال الأنشطة التربوية يؤتي ثماره بشكل أفضل بكثير من التوجيه من خارج النشاط. فقد تكتشف من خلالها موهبة دفينة لدى طفلك!

تؤكد الدراسات أن الأطفال الذين يمارسون أنشطة خارج نطاق المنهج الدراسي يكون مستواهم أعلى دراسياً واجتماعياً.

ونقصد بالأنشطة التربوية كل عمل نستطيع أن نمارسه عملياً مع الصغار ونغرس فيهم من خلاله ما لا نستطيع غرسه بالكلام النظري، فإن أردنا مثلاً غرس قيمة مثل التعاون بين الأبناء فالأحرى بنا أن نعقد بينهم مباراة لكرة القدم ونرى أيهم يلعب وحده ويود أن يحرز هو أهداف المباراة، ويريد أن يتحدث الناس عنه أنه هو الهداف وأنه هو الذي أنقذ الفريق، فهذا أناني نعلمه كيف يكون متعاوناً مع زملائه وكيف أن الفريق كله وحدة واحدة، فالدفاع له دور، وحارس المرمى له دور، والمهاجم له دور، والهداف له أيضاً دور. فهذا السلوك لم يظهر ونحن نتحدث مع أبنائنا في جلسة عائلية مثلاً، ولكنه ظهر في نشاط عملي نسميه نشاطاً تربوياً قد تربى الطفل من خلاله عملياً، ومثل ذلك الرحلة والحفلة وتجمعات الصغار مع بعضهم.

يدرك العلماء اليوم أن كثيراً من جوانب الاضطراب النفسي بما فيها

العدوان والقلق يكتسبها الطفل بتأثير من الآخرين وملاحظته لهم وتفاعله معهم. وبالمنطق نفسه أصبح الآن من الممكن تحقيق تغيرات علاجية هائلة في سلوك الأطفال من خلال إكسابهم بعض المهارات الاجتماعية في التفاعل مع الآخرين ومن خلال القدوة والمحاكاة للسلوك الاجتماعي الفعال.

أهداف النشاط:

١- غرس الخصال والأخلاق الحميدة في نفوس الأبناء.

٢- بث روح التعاون والإيثار والمحبة والتنافس الشريف وتعميق مبدأ الخدمة العامة مما يؤدي إلى إتقانه، والقدرة على الاعتماد على النفس.

٣- كشف القدرات والمهارات والمواهب وصقلها وتنميتها وتوجيهها لخدمة الفرد والمجتمع.

٤- استثمار أوقات الفراغ فيما يعود على الأبناء والمجتمع بالنفع.

٥- تلبية الحاجات الاجتماعية والنفسية لدى الطفل كالحاجة إلى الانتماء والصداقة وتحقيق الذات والتقدير ومساعدة الصغير على التخلص من بعض ما يعانيه من مشاكل كالقلق والاضطراب والانطواء.

خطوة نحو الكشف والتعديل:

والأنشطة التي يمارسها الطفل من تلقاء نفسه كاللعب أو التي نوفرها

له بشكل منظم كالتمثيل والرحلات والخطابة وغيرها لها دور كبير في اكتشاف مشكلات الطفل ومن ثم يصبح من السهل علاجها.

الطفل الذي لا يعطي لزملائه الكرة في المباراة.

الطفل الذي يتنحى جانباً في الرحلة ولا يخالط أحداً.

الطفل الذي لا يستطيع مواجهة الجمهور والتحدث في الإذاعة المدرسية.

هذا الأناني وذاك الانطوائي والآخر فاقد الثقة في نفسه قد تم اكتشافهم من خلال ممارسة الأنشطة والتي يرفض بعض الآباء والأمهات أن ينخرط الطفل فيها بدعوى انشغاله بها عن دراسته وهم بهذا يؤخرون اكتشاف المشكلات ويؤخرون معها، إمكانية العلاج المبكر.

وكما أقول دائماً لأصدقائنا الآباء والأمهات:

نجاحكم يوم يأتي ابنكم يسر إليكم بعمل يعمله ولو كان مشيناً كالإدمان ومصاحبة (بنت/ ولد) أو الدخول على مواقع إباحية فالعلاج في هذه الحالة ممكن لأن ابنكم يثق فيكم فيصارحكم بهذا أما إذا لم يأت إليكم فهو فشل منكم نتيجة العنف والقسوة والديكتاتورية والجو البوليسي أو العسكري السائد في البيت وعندها ستكون العواقب وخيمة.

***

المتابعة

أكدت الدراسات والأبحاث أن السلوك السيئ يقل أو يتلاشى عندما يتأكد الطفل من احتمالات كشفه أو أن أبويه يتابعونه فهو مثلاً لن يسرق من زميله شيئاً لأن أمه تنظر في حقيبته دائماً ولو بدعوى تنظيفها وبالتالي تسأله عن كل جديد تجده في حقيبته.



إحدى الفتيات اللاتي عبدن الشيطان في مصر منذ عدة أعوام قالت في التحقيقات: إن أبى وأمي لم يدخلا غرفتي منذ سنة ونصف، فكيف نترك أبناءنا هكذا هملاً لا نعرف نوعية الصور التي يعلقونها أو الكتب التي يقتنونها، أو أصدقاءهم الذين يزورونهم ومن يتصلون بهم، وعلى نوعية معلوماتهم ومن أين يكتسبونها، وعلى أدائهم الشعائر الدينية واحترامهم لها، وعلى ما أنجزوه في يومهم من واجبات ومهام وعلى ما قابلهم من عقبات ومشكلات وكيفية مواجهتهم لها، وعلى ما فعلوه من خير وما وقعوا فيه من شر، وعلى أموالهم التي معهم وهل زادت أم نقصت، وعلى ما يتلفظون به من ألفاظ وعلى علاقتهم بالجنس الآخر وعلى أسئلتهم و..... و.....أو المواقع التي يدخلونها على شبكة الإنترنت أو الأشرطة التي يسمعونها؟!
ولسنا نقصد بهذا التسلط وإعلام الأبناء أننا لهم بالمرصاد وأننا نتجسس

عليهم ولكن بشكل طبيعي نتعرف عن قرب على حياة أبنائنا حتى لا نتركهم هملاً لشياطين الإنس والجن يعبثون بهم كيفما شاءوا.

وعندما يطمئن أحد الوالدين على الطفل عندما يكون عند صديقه ويتم الاتصال بالهاتف والتأكد من سماع صوته بنفسه لا مجرد إخبار الصديق بوجود الابن عنده.

كما أن هواتف أصدقائه تكون مثبتة في دليل الهاتف المنزلي. كل هذا يجب أن يتم بشكل طبيعي غير مبالغ فيه ودونما تسلط لئلا يثير اشمئزاز الطفل ويشعره بعدم الثقة فيأتي بنتيجة عكسية.

ولذلك فإن من مفاتيح النجاح في العملية التربوية متابعة الأبناء وملاحظتهم وعدم الانشغال أو الغفلة عنهم، وهو من تمام النهوض بالمسئولية تجاه الأبناء على الوجه الأكمل.

سمات المتابعة الجيدة:

إن ملاحظة الأبناء لا تقتصر على الجانب الجسمي والصحي فحسب، بل أيضاً على الجانب الروحي والعاطفي والاجتماعي والنفسي، مع ملاحظة عدة أمور:

أولاً: المتابعة المرجوة والتي تؤتى ثمارها تكون بشكل غير مباشر ومن طرف خفي لئلا يشعر الصغير بأنه مراقب وحركته مرصودة فيفتقد إلى الحرية والتي هي حاجة أساسية لابد من إشباعها، ومع ذلك نحب أن نشير إلى أن بعض الحالات تحتاج إلى أن يعرف الصغير أننا نتابعه فيها كمن يتابع أبناءه في حفظ

القرآن أو الصلاة أو إنهاء الواجبات المدرسية أو تنظيم الحجرة.

فلا تحاول أن تتصرف مع ابنك وكأنك [شرلوك هولمز] فتومئ بعينيك وتنبش فيما وراء المعاني وتجتهد أن تسأل أسئلة التحري والتحقيق مع المجرمين..ولكن يجب أن تضع في اعتبارك أن تطفلك وإقحامك نفسك على أولادك والتشكك فيهم وسوء الظن بهم سيكون علامة سوداء في تعاملك معهم.

ثانياً: قد ينتج عن المتابعة كشف بعض السلوكيات السلبية غير المتوقعة فهنا تكون المفاجأة، وهنا أيضاً يجب ضبط النفس والتعامل مع الطفل بلين وحلم لأن الهدف هو التربية والتصويب والتحسين وليس الهدف من المتابعة هو تعداد الأخطاء والإذلال بها.

ثالثاً: الخطوة التي ينبغي أن تسبق المتابعة أو تسير معها على السواء هي التعليم والتوجيه وغرس القيم والتصويب تكراراً ومراراً للأخطاء، فلا يجوز أبداً أن نتابع الطفل فيما لم نعلمه إياه، وأن نتأكد من وصول المعلومة كاملة وواضحة إليه ونتأكد من استيعابه لها وحبه إياها واقتناعه بها حتى ينفذها ويؤديها ومن ثم تكون المتابعة. فلقد أرسل الله تعالى النبيين والمرسلين ليعلِّموا الناس العقائد والشرائع، فمن كفر بعد ذلك تكون الحجة قد أقيمت عليه ووجب عليه العذاب.. قال

تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[(١)]. وهذا من تمام العدل الإلهي مع البشر.. وهذا العدل يجب أن يتعلمه المربون مع أبنائهم.

رابعاً: تنسيق البيت مع المدرسة ومع المحفظ في المسجد ومع المدرب في النادي من لوازم المتابعة في العملية التربوية، فالمتابعة لا تقتصر على سلوك الطفل في البيت فحسب؛ لأنه ربما كان الأبوان في البيت يصرخان في وجهه فيضطر إزاء ذلك إلى الخوف والإحجام والتقوقع على غير طبيعته. وقد حدث أن أتت إحدى الأمهات تسأل عن ابنها التلميذ في الفصل وقد كان هذا التلميذ كثير الحركة عديم الاستقرار لا يسكت ولا يجلس في مكان، وفوجئ يومها المعلم بالأم تسأل عن علاج لابنها دائم الصمت قليل الحركة، فما كان من المعلم إلا أن أرسل إلى التلميذ ليتأكد أنه هو الذي تتحدث عنه فلما تيقن من ذلك أخبرها أنه على عكس ما تحكي عنه تماماً.. وهنا تبين أن الأم تقسو على الطفل وتتحكم في تحركاته وسكناته بشكل مستفز مما جعله انطوائياً خائفاً في البيت منطلقاً على طبيعته خارج البيت، فالمتابعة هنا مع المدرسة مهمة ولابد منها، وكذلك تكون مع المسجد والنادي، ويصحب هذه المتابعة تنسيق في انتقاء الأساليب التربوية المناسبة مع الطفل وتحديد أنماط التعامل معه

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء.

حتى لا يحدث مثلاً أن يعاقب البيت بعدم التنزه يوم الجمعة مثلاً ويتوافق ذلك مع رحلة المدرسة فلا يؤتي العقاب ثمرته حينئذ، كما أن التنسيق في المتابعة التربوية للطفل يجب ألا يكون في كل ما يخص الطفل، بحيث لا يعرف المعلم كل ما يعرفه الأبوان عن الطفل، وكذلك لا يعرف الأبوان دقائق ما يفعله الطفل في المدرسة، ولكن التنسيق يكون فيما يفيد العملية التربوية وليس ككاميرا تسجل كل حركة وسكنة وحرف ينطق به الطفل فيشعر الطفل أنه مكشوف لكل من يتعامل معه فيحبط، وربما عاند عند التوجيه فلا يصدر منه خير أبداً وهذا ما يسميه علماء النفس **بالتربية العصابية** أى التي يشعر الطفل معها أن الأبوين والمعلمين عصابة اتفقت عليه.

سمات المتابعة الجيدة

خامساً: قاعدة واضحة في البيت مفادها أن الوالد هو المسئول الوحيد عن تنظيف ملفات الـtemp وملفات الـtemporary وملف history ونواتج البحث وغيرها مما يخبر عن المواقع التي قام الطفل بالدخول إليها على شبكة الإنترنت.

سادسًا: كراسة المتابعة وأوراد المحاسبة تفيد كثيراً في عملية المتابعة حيث يتم تسجيل الملاحظات على الطفل أولاً بأول.

***

ورد المحاسبة التربوي

السلوك	الجمعة	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس
عدم الصراخ في وجه الطفل							
الامتناع عن ضرب الطفل							
ترك الغضب والانفعال لشيء تافه أو مهم							
عدم المقارنة بالغير							
اللعب معه							
عدم شتم الطفل							
الامتناع عن مناداته بكلمة (يا ولد) بدلاً من اسمه							
مدح وثناء (أحسنت-برافو-شكراً)							
الامتناع عن مناداته باسم حيوان (يا كلب..يا حمار)							
تقبيل							
احتضان							
إخباره بأنك تحبه بقول (أنا أحبك يا فلان)							
الحوار معه لمدة(١٠) دقائق على الأقل							
سؤاله عما شاهده في التلفاز							
ممارسة هوايته معه							
التبسم في وجهه							
تعبير عن المشاعر (أنا سعيد بك)							
إطلاعه على خبر جديد							



فكر معنا

صوب العبارة الخطأ فيما يلي:

١) الفروق الفردية ظاهرة عامة في جميع الكائنات.

٢) يميل الأطفال للالتزام بالقواعد المكتوبة أكثر من الشفهية.

٣) من المهم أن يكون أحد الوالدين متسامحاً مع الطفل بينما الآخر يكون قاسياً عليه.

٤) طفلك لن يعطيك من الأدب والتعاون والاعتبار أكثر مما يأخذه منك.

٥) بناء القناعات وتصحيح المعتقدات من أسس بناء الشخصية القوية.

٦) مقارنة الطفل بغيره تساعده على الإنجاز والنجاح.

٧) يشعر الأطفال بمزيد من الأمن عندما يعرفون الحدود التي يتعين عليهم عدم تجاوزها.

٨) الأنشطة التربوية تقيد الطفل وتمنعه من تلبية حاجته للانتماء والتقدير.

٩) يجب إشعار الأبناء بعدم الرضا عن أنفسهم وعن تصرفاتهم عندما يخطئون.

١٠) الاجتماعات العائلية تزيل الوقار والهيبة من الأبناء تجاه آبائهم.

***



تناولنا في هذا الباب كيف يكون التعامل مع الطفل على أساس أنه إنسان يشعر ويتألم ويفرح ومن ثم يجب توجيهه من خلال الإقناع وعقد الاتفاقات معه وبدون غضب أو تهديد أو تخويف أو إحباط ودون المساس بشخصه حيث يكون التركيز على الخطأ وليس عليه هو، كما حذرنا من التسلط وعدم التدرج عند التوجيه والتعليم، وتحدثنا عن أثر الاجتماع العائلي في توجيه الطفل بشكل منتظم فعال ومن خلال التنسيق بين المربين جميعاً حتى لا يعاني الطفل من انفصام في الشخصية عندما يرى شيئاً من أبيه ويرى عكسه من أمه أو يرى من أبيه ما ينهاه عنه معلمه.

وفي ختام الباب أهدينا إخواننا المربين ورداً تربوياً ليحاسب كل منهم نفسه كل يوم على ما كان منه خلال اليوم مع ابنه فيكون منه المراجعة والعودة والاعتذار عن الخطأ والاستمرار والثقة إن أحسن.

***

الباب الثالث



التخاطب مع الأطفال

- تمهيد
- كثرة الأوامر والنواهي
- العموميات
- الانتقادات
- خير الكلام ما قل ودل
- الأم البكماء
- المشاعر الناطقة
- بل أحب الأسماء إليه
- لغة التهديد
- تحدث عما تريده وليس ما لا تريده
- امدحه لتجني الثمرة
- الإفلاس التربوي
- فكر معنا
- الخلاصة



يخطـئ بعضـنا عنـدما يجعـل التهديد والانتقاد والتأنيب والنهي هو لغـة التواصـل مـع الآخـرين، ويشـتد الخطأ فداحة عندما يكون الآخرون هم أطفالنا حبات القلوب ونور العيون، فما تـؤتي التربيـة ثمارهـا إلا بالتواصـل وبإنطاق المشاعر. فبالحب ننال ما نريد وبالتواصـل نحقـق الهـدف.. والكلمـة الطيبة صدقة.

***

كثرة الأوامر والنواهي

إن الأطفال لا يستجيبون للتوجيهات السلبية التي تتضمن مجرد النهي عن الأشياء التي لا يصح أن يقوموا بها.

فإذا سمحت لطفلك مثلاً أن يذهب للعب مع أطفال الجيران أو الأقارب فلا تمطره بوابل من التعليمات قبل ذهابه مثل «لا تأتي إليَّ باكيًا» أو «عليك أن تكون هادئًا»، «إذا أعطاك أحد شيئًا قل له شكرًا وإذا أخطأت اعتذر» وهكذا فما دمت قد سمحت له بالذهاب فاتركه لأن كثرة الإرشادات والتعليمات لن تساعده كثيرًا على التصرف وكل ما هنالك هو أنها ستجعله غير مرتاح لهذه الزيارة.

لنجعل أساس ثقافتنا الأخلاقية «افعل» بدلاً من «لا تفعل»

إن كلمة (لا تفعل) تهبُ الطفل نشاطاً سلبياً، ولكن (افعل) تروضه على النشاط الإيجابي الفعال. فبدلاً من أن نقول له: [لا تكذب]، لنقل له: قل الصدق. حيث تدفع طفلك للسلوك الإيجابي من خلال جمل قصيرة وإيجابية وبها طلب محدد، فبدلاً من «كن جيدًا»، أو «أحسن سلوكك ولا ترم الكتب»، قل: «الكتب مكانها الرف».

واعلم أن إلقاء الأوامر طوال اليوم يعمل على توليد المقاومة عند الطفل، ولكن عندما تعطي الطفل سبباً منطقياً لتعاونه، فذلك يدفعه أن يتعاون أكثر، فبدلاً من أن تقول للطفل «اجمع ألعابك»، قل: «يجب أن تعيد ألعابك مكانها، وإلا ستضيع الأجزاء أو تنكسر»، وإذا رفض الطفل فقل: «هيا نجمعها معاً»، وبذلك تتحول المهمة إلى لعبة.

العموميات

تفشل الإرشادات لعدم وضوحها بالنسبة للطفل فمثلاً إذا قلت لطفلك: «لا تترك لعبك هكذا» فإن الطفل في مثل هذه الحالة قد لا يفهم ما الذي عليه أن يفعله وسوف يجعله هذا الموقف الغامض يحجم عن عمل أي شيء أما إذا قلت له: «اجمع لعبك وضعها مرة أخرى في السلة المخصصة لها» فقد تنقل له هذه العبارة شيئاً إيجابياً يمكن أن يقوم بتنفيذه.

وقولك: «اذهب ونظف غرفتك» هي جملة يتبعها تقصير من قبل الصغير حتماً بخلاف قولك [**اذهب وضع ملابسك في أماكنها والألعاب في الصندوق والمهملات على الأرض في سلة القمامة والكتب في المكتبة**] وعندما يجلس على الكرسي متكئاً أو واضعاً قدمه فوق المقعد أمام ضيف وتقول له: اجلس عِدل [معتدل] قد لا يفهمها بل الأفضل [**ضع رجلك على الأرض وأنت على الكرسي**]. فالعموميات هذه لا يفهمها الصغير وتكون غير دقيقة كما لو انسكب شيئاً على الأرض فتصرخ الأم قائلة: ما هذا الذي فعلت ؟ فهو هنا لم يتعلم شيئاً.

واشرح لطفلك باستمرار السبب الذي يكمن وراء إرشاداتك فيما عدا حالات الطوارئ حيث لا مفر من أن يأتي شرح السبب متأخراً، فإذا سألك لماذا؟ وقلت له: « لأنني أقول هذا» أو « لأن هذا هو ما أريد » فلن يتعلم منك أي شيء مفيد.

وإذا فرضنا أنك طلبت من الطفل أن يضع الكتاب في المكان

المخصص له دون شرح السبب وراء هذا الطلب فماذا يدور في ذهن الطفل عندئذ كسبب لذلك: هل لأن الكتاب سيئ قذر أو لأنه خطر أو لأنه قد ينقطع ويتلف أو لأنك تريد ذلك حتى تستطيع الحصول عليه بسهولة عند الحاجة أو لمجرد أن هذه رغبتك، فإن عدم شرح السبب وراء طلبك يعني أنك لا تُعلِّم طفلك شيئًا.

* * *

الانتقادات

«أنت كسول».. عندما يداوم الأبوان على تكرار هذه العبارة، ماذا في ظنك سوف يحدث؟ يزداد الابن تكاسلاً!!

«أنت غبي».. ما رد الفعل؟ انخفاض في المستوى الدراسي.

إن الاتهامات والانتقادات الحادة هجوم والهجوم يحتاج من أبنائنا لأخلاق رفيعة كي يقفوا صامتين يتلقون صفعات الانتقاد وهذا نادراً ما يحدث فغالباً ما يكون رد فعل الأبناء هو الهجوم المضاد وعليه تستمر المعركة لفترة أطول بين الآباء والأبناء والخاسر في المعركة هو (....)!!

والانتقاد السلبي الحاد سم زعاف، فهو يولد غضباً داخلياً ورغبة في الانتقام وتمادياً في العناد، ويُعلِّم الأبناء أن التهكم والسخرية عند الخطأ شيء مقبول.



فعند الاستماع لابنك اضبط رد فعلك وافعل عكس ما تدفعك إليه مشاعرك فلا تظهر غضباً أو تعجباً تجاه ما يخبرك به ابنك وإلا فستكون هذه هي آخر مرة يأتي فيها إليك.

يحتاج طفلك ألا تكون ناقداً سريع الأحكام، فإذا شعر بانتقاداتك فسيتوقف عن المحاولة، استمر في تعليمه بصبر لكي يستمر في المحاولة، فحينما نوجه اللوم ونركز مثلاً على المعتدي في حالة التشاجر بين الأبناء

نكون قد وجهنا انتقادنا للطفل وهو في حالة لا تسمح له باستقبال توجيهنا، وقد تأخذه العزة بالإثم ويتمادى في التبرير، وقد يمثل دور المظلوم وينقلب الوضع أمام المربي إلى ضحيتين فيصاب بالإحباط والعجز عن إصلاح ما حدث وما أكثر هذا في بيوتنا.

وكثير من الآباء يعتقدون بأن نقدهم لأخطاء أبنائهم يعد طريقة للزيادة من جهد الأطفال وليس هذا أمراً حقيقياً، فقم بالتركيز أخي المربي على ما يحسن الأطفال عمله. فعندما يقوم ابنك بمهمة تنظيف غرفته بشكل يفتقر إلى الجهد، فلا تقل: «إنك لم تقم بتنظيف الأركان فأنت شديد الكسل وطفل آخر أصغر منك يمكنه القيام بما هو أفضل» فهذا النوع من النقد لا يحتوي على شيء من التحفيز.

ولكن من الأفضل أن تقول: «لقد قمت بنصف المهمة ولكنك نسيت بعض الأشياء في الأركان. سوف أقوم بتنظيف أحد الأركان لأريك كيفية التنظيف. بعد ذلك يمكنك القيام بالباقي. وسوف يبدو المكان في شكل جميل». إن هذا التعليق منك يحمل الكثير من التشجيع فهو يسبب النجاح والنجاح يدفع بالأولاد إلى المزيد من الاجتهاد.

وقصة أروى يحكيها الدكتور «مصطفى أبو سعد» لنعلم متى يكون انتقادك لابنك إيجابياً وبناءً، ومتى يكون سلبياً وهداماً فيقول:

أروى فتاة في السابعة من عمرها سكبت كوباً من الحليب دون قصد منها وهي جالسة مع والديها على مائدة الإفطار. صرخت أمها في وجهها قائلة:

أعتقد أنك في سن تجعلك تعرفين كيف تمسكين بكوب الحليب! كم مرة قلت لك أن تأخذي حذرك لكنك كالعادة لا تفهمين ولا تسمعين الكلام.

وعلق الأب غاضباً: لن تأخذ حذرها أبداً لأنها غبية وستبقى دائماً غبية.

هذه قصة أروى التي سكبت كوباً من الحليب وقوبل تصرفها بحملة توبيخ من والديها.

هذا التهجم قد يكون له أثره القاسي على نفس الطفلة وهذا ربما سبب لها ألماً نفسياً سيظل أثره طويلاً وقد يفقدها الكثير من الثقة في نفسها وربما جعلها غير راغبة في تحسين سلوكها مستقبلاً.

فلنحذر انتقادنا فقط لأخطاء الطفل لكي يتخلص منها دون أن نذكر الجوانب الإيجابية في شخصيته بما يشعره بأنه إنسان فاشل لا فائدة ترجى منه، وهذا الشعور يفقده الثقة بنفسه مع الوقت كما أنه يدعم السلوك السلبي لديه، فالأطفال عادة يأخذون مسألة انتقاد آبائهم لهم بطريقة شخصية. إن هذا الانتقاد يجعلهم يعتقدون بأنهم عاجزون عن تغيير سلوكهم، وما يتبعه من التبرير وإلقاء اللوم على الآخرين سيكون نتيجة طبيعية للانتقادات المتكررة للطفل، فكثيراً ما يسمع الآباء والمعلمون على لسان الأطفال كلمات في تبرير فشلهم كأن يقول الطفل: كان أدائي سيئاً في الامتحان بسبب معلمي أو بسبب صعوبة الامتحان أو غير ذلك.

***

خير الكلام ما قل ودل

النفس البشرية يصيبها السأم والملل من كثرة الوعظ والإرشاد، والطفل يرفض أن يتلقى باستمرار محاضرات كلامية لا تجدي نفعاً خاصة في حالة تعليم سلوك أخلاقي. ولذا فإن للتربية الصحيحة أساليب شتى وطرقاً متعددة، وغرس السلوك قد يكون بالقدوة وقد يكون بمشهد تمثيلي أو بقصة تحكى له أو بلعبة يلعبها أو بغير ذلك. إذ لا تمثل الكلمات سوى ٧٪ فقط من عملية الاتصال بينما تمثل نبرة الصوت ٣٨٪ وحوالي ٥٥٪ لحركات الجسم وتعبيرات الوجه؛ ولذلك ينبغي عند التواصل مع الأبناء مراعاة قلة الكلام عند التوجيه بل وانتقاء الكلمات، كما أنه من المهم كذلك الاهتمام بالإيماءات ونبرة الصوت والإشارات والحركات فقد تؤثر نظرة بما لا تؤثر ألف كلمة.



والمعلوم أن مدة تركيز الطفل بشكل متواصل = السن بإضافة دقيقة أو دقيقتين على الأكثر وهذا يعني أن طفل الخامسة يركز لمدة خمس دقائق تقريبًا مما يؤكد أهمية الوسائل التعليمية والطرق الابتكارية في التوجيه، ويؤكد كذلك أهمية عدم الإطالة في الحديث مع الطفل، فخير الكلام ما قل ودل. والواقع أن مسئوليتنا كآباء لا تتطلب منا أن نعمل ٢٤ ساعة لكي نطور سلوك أطفالنا وإنما علينا فقط أن نعلمهم السلوك الصحيح ونضع لهم الحدود الضرورية لكي لا يتجاوزها، لا أن نحول حياتنا معهم إلى محاضرات عليهم الإصغاء إليها وتنفيذها؛ لأنهم سيتحولون عندئذ إلى آلات مبرمجة لا كائنات مستقلة لها قدرة على التفكير والإبداع واتخاذ قراراتها بنفسها وتحمل نتائج هذه القرارات، إذ لا تتيح أكثر محاضرات الآباء للأبناء المجال للحوار بينهم وبين أبنائهم؛ لأنها تكون في صورة أوامر تسير في اتجاه واحد فقط تجعل الأبناء يطيعون دون أن يناقشوا، وهذا ما يدفعهم إلى أن يتظاهروا بالصمم أو أن يستعدوا لمواجهتنا بتحدٍ واضح لما نسببه من استفزاز يومي لهم، وفي النهاية سنجد أنفسنا نقوم عنهم بأعمالهم بدل أن نعلمهم كيف يعتمدون على أنفسهم للقيام بها.

***

الأم البكماء

التحدث مع الصغير له فوائد صحية ونفسية عظيمة للطفل. والأم التي لا تتحدث مع ابنها منذ أن يولد هي لا تدري أنها تحرمه بذلك من فوائد عظيمة لنموه اللغوي وصحته النفسية إلى جانب شعوره بالحب والأمان.

وإن الحديث مع الطفل من تمام احترامه، ولسنا نقصد بذلك سناً معينة للطفل بل الطفل في جميع مراحل طفولته، وسواء فهم الطفل الكلام أم لم يفهم حتى إن هناك أماً متميزة بعد



ولادة طفلة لها دخلت عليها الممرضة لتراها تتحدث مع ابنتها الوليدة، وتخبرها الأم أن من يفعل ذلك يشعر أبناءه أنه كان يشتاق إليهم وأنه يحترمهم منذ اليوم الأول لهم في هذه الحياة.

وتذكر إحدى الأمهات نصيحة جارتها العجوز ذات الخمسة وثمانين

عاماً عندما سألتها عما يمكن أن تقدمه لطفلها بشأن تربيته فقالت: تحدثي إليه، هذا ما يجب أن تفعليه.

ورغم أنه قد ثبت حديثاً أن متوسط عمر النساء أطول من متوسط عمر الرجال لقدرتهن على الثرثرة والبوح بمعاناتهن دائماً.. إلا أن الواقع أن الأم لا تتحدث مع ابنها وهي تجلس معه في اليوم ساعات وساعات إلا قليلاً رغم أن المتخصصين ينصحون الأمهات بالحديث مع الرُضَّع والأطفال صغار السن والبوح لهم بمشاكلهن وشكواهن وإن كان الطفل لن يفهم ما يقال ولكنه سوف يشعر حتماً بالأمان والحب لحديث أمه معه.

ويمكن للأم أن تحكي لابنها الحكايات وتقرأ له ومعه القصص الهادفة المفيدة وتبادله الحديث وتحاوره مهما كان سنه كما عليها أن تسمع منه ولا تسخر من كلامه وإن أخطأ أو أبدل حرفاً مكان حرف أو تلعثم في النطق أو تهته في بعض لكلمات.

***

المشاعر الناطقة

التعبير عن محبة الطفل من الأمور التي تسعده وتبهجه فبينما ينمو الجسم بالطعام والشراب وينمو العقل بالثقافة والاطلاع فإن العاطفة تنمو بالضم والتقبيل، حيث يحتاج الطفل أكثر ما يحتاج إلى شحنات عاطفية ومشاعر إنسانية دافئة داخل الأسرة وأن نشاركه أفراحه وأحزانه ولو كانت لا تهمنا ولكنها تهمه هو وحده كضياع لعبته أو هروب حيوان أليف مثلاً فنقول له: معك حق أن تحزن ولكن علينا أن نفكر ما الذي يجب أن نفعله الآن إزاء هذا؟!

وأعجب كثيراً لتلك الأم التي تصرخ في وجه أبنائها ليلاً ونهاراً وتضربهم بيدها وتؤذيهم بلسانها وربما لأتفه الأسباب وأقل الأخطاء وفي النهاية تقول له: إنه لا توجد أم لا تحب أبناءها ولا يوجد أحد يحب أبناءه أكثر من الأم.

نعم ربما كان هذا صحيحاً في الأصل والفطرة ولكن الواقع خلاف ذلك والذي ينبغي أن نعرفه أن هناك فرقاً كبيراً بين أن تحب أطفالك وبين أن تشعرهم بحبك لهم. إن المحبة إحساس وشعور وقيمتها تكمن في التعبير بها لمن نحب.

ولقد حرص الإسلام على أن يخبر الرجل أخاه أنه يحبه وذلك عندما أتى الرجل إلى نبي الله محمد ﷺ قائلاً: يا رسول الله إني أحب فلاناً فسأله الرسول ﷺ: هل أخبرته؟ فقال الرجل: لا. فأمره أن يخبره فأخبره وعلَّم الآخر أن يرد عليه بقوله: أحبك الله الذي أحببتني فيه.

نعم إن المشاعر خلقت لتنطق لا لتكبت، ومن لا يعبر عن المحبة لا يحب فإن أي شيء لا نقوم بصيانته يَفْسَد، وكذلك المشاعر إذا لم تستخدم؛ فأظهر لأبنائك حبك لهم من خلال القبلات والكلمات والأحضان.

أحب الأسماء إليه

من الأمور التربوية المهمة والتي تسعد الطفل. مناداته باسمه وبأحب الأسماء والألقاب إليه؛ فنداء الأم وهي غاضبة «تعال يا ولد» أو «تعالي يا بنت» أمر سيئ يتبعه أسلوب غير تربوي حتماً بالضرب أو الإهانة أو التوجيه العنيف، بخلاف ما إذا أخطأ الطفل فقيل له: «تعال يا علي» فمناداته باسمه في تلك اللحظات يقلل من احتمالات الأخطاء التربوية ويكون عنواناً لحلم المربي وعدله، ويُرسِّخ في نفس المربي والطفل معاً أن هذا الطفل إنسان مهما أخطأ فهو ليس كلبًا أو حيوانًا أو حمارًا أو سافلاً أو وضيعًا كما يحلو للبعض مناداة الطفل به أحياناً عندما يخطئ حتى إن هناك من كان يؤكد لنا أنه نودي وهو صغير بكل أسماء الحيوانات.

ومن الأساليب المحببة إلى نفس الطفل أن يناديه المربي بما يحمل معاني التدليل والمودة في مثل (يا عمورة لعمر) أو (يا أبو حميد لأحمد) أو (يا سوسو لسلوى) أو ما شابه ذلك.

***

لغة التهديد

إن التهديد وسيلة فاشلة في تربية الأبناء والذي يظل طوال اليوم يهدد ويهدد ليعبر بذلك عن ضعف شخصيته، وسوف يشعر الأطفال بهذا الضعف حتماً.

وهو خطأ يرتكبه بعض الآباء والأمهات بدعوى العقاب وما هو إلا وسيلة لتفريغ شحنة الغضب إزاء تصرف الطفل أو للارتياح النفسي من خلال الإحساس بامتلاك سلطة يمكن استغلالها. رغم أن التهديد بالشيء يكون أشد في وقعه من حدوث الشيء نفسه.

إن التهديدات التي تطلق في ثورة الغضب تكون نتائجها عكسية، وسوف تجعل الطفل مع الوقت يتجاهلك.

وإن تخويف الطفل بأنه سيحبس في غرفة مظلمة بمفرده مع الفئران، أو أن أباه سوف يستدعي رجل الشرطة، أو أن أمه ستأخذه إلى الطبيب ليوخزه بالإبرة، كل هذا يدخل في إطار العقاب العقيم، إذ سرعان ما سيدرك الصغير أن كل تلك التهديدات غير جادة، وأن شيئًا منها لن يحدث! فضلاً عن أن تخويف الطفل بهذه الأشياء يخلق عنده مخاوف

وأحاسيس تؤثر على حياته في المستقبل. وكثير من البالغين ما زال يخاف الفئران بسبب تخويفه المستمر بها في طفولته، كذلك يكره أكثر الأطفال عيادات الأطباء بسبب الخوف من وخز الإبر!

واعلم أخي المربي أن الابتعاد عن التهديد هو من الرحمة بالطفل، وكذلك لا يضعك في موقف تصر فيه على تنفيذ تهديداتك، وإن اعترف الطفل بخطئه فحينئذ تأخذك العزة بالإثم بدعوى المصداقية في تهديداتك وهذا خطأ فادح عليك أن تبتعد عنه.

هناك فرق بين أن تضع قاعدة مثل [الصراخ ممنوع في البيت] وتحدد عقاباً لمن يتجاوزها وبين العشوائية الكلامية من خلال إن لم تفعل فسوف..افعل وإلا....سوف ترى ما يحدث....

• ويزداد الأمر سوءاً مع كثرة التهديدات ومع التهديد بما لا يمكن تنفيذه [سوف اقطع رقبتك-سأذبحك-لن تذهب معنا للمصيف....] فهذا مما يفقد الطفل المصداقية في كلام أبويه.

وقد اعتبر بعض خبراء علم النفس هذه التهديدات الكثيرة من مدمرات الجهاز العصبي.

***

تحدث عما تريده وليس ما لا تريده

تكلم أخي المربي مع الطفل عما تريده منه تحديداً ولا تتكلم عما لا تريده منه، فلا تقل مثلاً: لا تكذب.. لا تهمل.. لا تضرب أخاك.. لا تشاهد التلفاز.. ولكن قل: أريد أن أراك صادقاً.. أريد منك أن تلعب مع أخيك الصغير... وهكذا.

فالعقل يبني على آخر كلمة يسمعها فقولك (لا تكذب) يجعله يفكر في الكذب وينسى كلمة (لا).

وقد لاحظ المسئولون عن التحذير من أضرار التدخين أنها في ازدياد وليست في نقصان، فبدأ بعضهم يغير إعلاناً عن التدخين يحتوي على جمجمة ويبرز كلمات في مثل (ممنوع التدخين) أو (لا للتدخين) فشرعوا في إبراز صورة الرياضيين والشخصيات التي تميزت في مجالات مختلفة بعد أن منعت التدخين، وأب يحتضن ابنه وهو غير متأفف من رائحة التدخين وغير ذلك فوجدوا النتيجة في تحسن مستمر ومثلها كانت إعلانات التحذير من مخالفة قواعد وإشارات المرور فبدلاً من (احذر مخالفة قواعد المرور) كتبوا: (استمتع بقيادة السيارة وأنت تحافظ على القانون) وكتبوا: (حافظ على حياتك في ظل احترام إشارات المرور).

ولذلك فإن قولك للطفل: (لا تتكلم كثيراً في حضور الضيوف ولا تتحرك كثيراً أمامهم ولا تضرب ابنهم). يمكن استبداله بمثل (سلم على الضيوف ورحب بهم.. أحضر للضيوف العصائر والمشروبات عندما يحضرون).

امدحه لتجني الثمرة

يعتقد كثير من الآباء أن ما يفعله أبناؤهم من تصرفات حسنة أمر طبيعي من المفروض أن يقوموا به. واعتقادهم هذا خاطئ لأن الأطفال بحاجة إلى الثناء والمدح عندما يحسنون التصرف.. لا أن ننتقدهم فقط عندما يسيئون التصرف، لأننا عندما نفعل ذلك إنما نولد في نفوسهم مشاعر الإحباط فتقل لديهم الرغبة في تطوير سلوكهم.

كشفت دراسة أجرتها الجمعية البريطانية لمكافحة العنف ضد الأطفال (NSPCC) في عام ٢٠٠١ أن ٧٨٪ من جملة الأطفال الذين شملتهم الدراسة يحرصون على كسب استحسان الآباء بشكل كبير. إذن الأغلبية العظمى من أطفالنا يسعون لأن ينال أداؤهم استحسان آبائهم.

إن معظم الآباء يكونون مشغولين ومتعبين لدرجة أن الوقت الوحيد الذي يحظى فيه سلوك أطفالهم بالاهتمام والانتباه عندما يكون هذا السلوك سيئاً أو غير مقبول. وهكذا يربط الأطفال بين السلوك السيئ والحصول على الانتباه والاهتمام من قبل آبائهم. لماذا إذن لا تغير بؤرة تركيزك؟ فبدلاً من أن تركز على سلوكيات طفلك السيئة ومخالفته للقواعد، ركز على سلوكياته الجيدة.

بعبارة أخرى، لاحظ أن طفلك تذكر خلع حذائه عندما دخل المنزل، أو وضع ملابسه في المكان المخصص لها. امدحه على تنظيفه لأسنانه

بالفرشاة أو تناوله لكل ما في طبقه من طعام. أظهر له أنك لاحظت أنه لم يغضب ولم يضرب أخاه عندما يضايقه. أظهر فخرك بأنه يرتدي ملابسه بنفسه ويعود إلى البيت في الوقت المحدد ويؤدي الواجب دون إزعاج ويطفئ التلفاز عندما يطلب منه ذلك ويذهب إلى الفراش عندما يؤمر بذلك.

بالطبع هذه السلوكيات متوقعة، لكن ما الجدوى من القيام بعمل على نحو جيد طالما أنه لا أحد يبالي؟ إن هذا الأمر أشبه بكونك بوظيفة يبحث فيها مديرك عن كل خطأ تفعله ولا يمدح أو يثني على أي عمل جيد تقوم به. الأرجح أنك ستترك الوظيفة وتبحث عن أخرى أكثر تحفيزاً وتقديراً.

نفس المبدأ ينطبق على الأطفال، فإذا تم إثابتهم على سلوكهم الجيد وتم الاعتراف بجهودهم والثناء عليها فسوف يكررون هذا السلوك مراراً وتكراراً.

فوائد المدح

- ✓ المدح يولد داخل طفلك الشعور بالرضا والسرور مما يجعله يعتقد في نفسه أنه على ما يرام.
- ✓ يتعلم الشعور بمشاعر طيبة إزاء نفسه وتقدير العالم من حوله والنظر إليه برضا.
- ✓ يشعر بالحب والتقدير وبأنه أهل للاهتمام.
- ✓ يدرك أنه قادر على القيام بما هو أحسن، وبأنك ستعترف به وبإنجازاته وتثني على مجهوداته.

تحذير

اجعل لمدح طفلك نصيباً من يومك قدر الإمكان. فإذا اقتصرت على الثناء على الدرجات الجيدة فربما يصبح مهووساً بالعمل المدرسي كطريقة لإرضائك. وإذا اكتفيت بمدح جهوده في فريق كرة القدم فربما دفع بنفسه بما يشق عليها كي يحظى باهتمامك. وإذا لم تقم بمدحه أبداً فسيستمر في القيام بأي شيء من شأنه جذب انتباهك، والأرجح أن هذا الشيء سيكون سلوكاً سيئاً إذا كان الوقت الوحيد الذي تمنح فيه طفلك كل اهتمامك هو الوقت الذي يمتنع فيه عن تناول غدائه أو يضرب فيه أخته، فيمكن أن تضمن تكرار مثل هذه السلوكيات، فجميع الأطفال يسعون إلى لفت الانتباه بأي طريقة ممكنة. فلفت انتباهك بصورة سلبية أفضل عنده من عدم التفاتك إليه مطلقاً.

ولذلك:

- كن سخياً في مدحك من الصباح إلى المساء، لاحظ الأشياء الجيدة في سلوكيات طفلك أو أفعاله أو شخصيته أو آرائه وركز عليها.
- امدح طفلك على غسله يديه قبل الأكل وبعده حتى وإن نسي استخدام الصابون في غسلهما.
- امدحه على تناول طعامه بالرغم من عدم تناوله شيئاً من الفاكهة.

- امدحه على ارتدائه الحذاء دون أن يُذكِّره أحد بذلك حتى وإن كان قد لبسه بطريقة غير صحيحة.
- امدحه على وضعه الملابس بطريقة منظمة في دولاب الملابس حتى وإن نسي إغلاقه.

مدح الطفل
يجب أن لا يحمل روح المبالغة
وإنما يعكس
الصورة الحقيقية لما أنجزه

ويؤكد خبراء التربية أنه علينا أن نمدح في الطفل جهده الذي بذله في إنجاز العمل الذي أثار استحسان والديه وما توصل إليه من نتائج إيجابية، فمثلاً: إذا قام طفل بتنظيف غرفته فإن على والدته أن تعلق على ما بذله من جهد للقيام بهذه المهمة وتصف إعجابها بالغرفة بعد أن أصبحت نظيفة.

ونحن ننصحك بأن تمدح ابنك وتشكره على سلوكه الحسن وأن تستمر في مدح الطفل حتى يصير السلوك أصيلاً ويصبح عادة لديه، فالمدح والإثابة يسهمان في اكتساب السلوك والثبات عليه كأن تقول: «هذه اللعبة لديك منذ ثلاث سنوات ولا زالت جديدة». أو تقول: «لقد كتبت الواجب بطريقة جيدة مرتبة وسريعة.. كيف فعلت ذلك خلال الفترة القصيرة التي غبت فيها عنك».

نماذج من التميز التربوي:

دع الأبناء يستمعون إليك وأنت تتحدث عنهم بصورة جيدة وذلك في مثل أن تقول الأم للأب في وجود الابن: ذهبت إلى المدرسة اليوم وكنت

أتمنى أن تكون معي لترى معتز وهو يترك يدي عند باب المدرسة ويذهب إلى فصله مسرعاً رغم وجود عدد كبير من الأطفال كانوا يبكون عند الباب مع أمهاتهم.

أو يقول الأب: ذهبت أنا وأحمد اليوم وكان يصافح أصدقائي ولا يتحرج من أحدهم.

الطفل عندما يسمع والده يمدحه عندما يتصرف بشكل حسن يشعر بارتياح نفسي

كما علينا أن نلاحظ تصرفات أبنائنا الصحيحة ونمدحها حتى لو كانت مرات قليلة مثلاً..فإذا كان الطفل متعوداً على عدم تعليق ملابسه بعد خلعها..وقام في إحدى المرات بتعليقها عندئذ على الأم أن تلاحظ ما فعله وتمدحه، كما يجب على الأم التي يتعارك أطفالها أن تلاحظ المرات التي يكونون هادئين خلالها حتى تمدح تصرفهم الطيب بأن تقول لهم مثلاً: «لقد تمتعت فعلاً عندما لاحظت أنكم تجلسون في أدب وهدوء».

ومما يجب أن يلحظه المربون حتى يؤتي المدح ثمرته:

١)ألا تمدحه لذاته بل لحسناته وإنجازاته فلا تقل له مثلاً: (أنت رائع) فقط ولكن قل له: (أنت رائع لأنك هادئ) أو (ما أروعك وأنت هادئ) حتى يرتبط المدح بالسلوك فيداوم عليه، ومن ذلك أيضًا: (قد كان لطيفاً منك أنك اهتممت بمشاعر صديقك-لقد كنت رائعاً لأنك انتظرت دورك-شكراً لك لأنك ساعدت أخاك).

٢)أن تعبر عن قبولك لسلوكه: (ما شاء الله عمل متميز..أنت بارع- إنني أقدر لك أنك قلت الحقيقة).

٣)أن تبدي إعجابك بسلوكه: (عمل رائع يستحق التقدير، أنا معجب بإنجازك-قد أعجبني أنك قمت بالمساعدة دون أن يطلب منك أحد ذلك- يعجبني أن أراك تبتسم).

٤)أن تعبر عن مشاعر قبولك لسلوكه وتصف له ما تشعر به: (يسعدني تفوقك وإنجازك-إنه ليسرني أن أكون موجودًا في غرفة مثل هذه الغرفة المنظمة-إنني سعيد بالجهد الذي قمت به في إنجاز واجباتك-لقد استمتعت بمشاركتك في بناء هذا النموذج).

٥)التقدير المباشر أثناء التقييم في مثل: «لقد نظفت غرفتك يا لك من طفل رائع». قل له محاولاً وصف ما تراه: «أرى أنك قمت بكثير من الجهد في هذه الغرفة فكل الكتب في أماكنها، وكل ألعابك في صندوقها» ومن ذلك: «لقد كانت لديك روح دعابة هذه الليلة».

٦)استخدم عبارات مديح محددة وليس مجرد عبارة «أنت بنت ممتازة» وحسب. فإذا قامت مثلاً بتجميع لوحة الصور المجزأة بسرعة فامتدح سرعتها في إنجاز هذا، وإن استغرقت وقتاً أطول امتدح مثابرتها حتى انتهت منها، وإن توقفت ولم تكمل، فامتدح فقط ما قامت به من جهد وعبر عن أمنيتك أن لو أكملت العمل، ومن ذلك أيضًا أن تقول:«لقد كنت صبوراً فعلاً عندما كنت مشغولاً عنك في إعداد الطعام».

الإفلاس التربوي

عجبت كثيراً عندما سمعت هذه الأم تقول لابنتها ذات الخمسة أعوام: لا تفعلي كذا حتى لا تدخلي النار!!

وأي نار هذه التي تفهمها الطفلة، وأين إذن الإقناع والإثابة والمدح والبرمجة والقدوة والحوار وغيرها من وسائل غرس القيم وتوجيه الأطفال خاصة الذين لا يدركون ما النار وأين هي وكم يبلغ حجمها. فهي أمور غيبية لا تعيها عقولهم وما هم بمكلفين كي نحاسبهم على الاعتقاد فيها والإيمان الجازم بها.

إنني اعتبر هذا إفلاساً تربوياً حيث لا يكون في جعبة المربي غير هذه المفاهيم لردع الطفل أو توجيهه بل هو استسهال عقيم وبعيد حتى عن التربية الإيمانية التي يحتج بها البعض في هذا المجال، فإن الطفل لا يعي المفاهيم المجردة مثل الأمانة والإخلاص والخشوع إلا بقدر ضئيل بدءاً من سن العاشرة وقبلها يصلي مقتدياً بالمربي وحباً في الجائزة أو الهدية التي وعده بها.

وللإفلاس التربوي مظاهر كثيرة نراها ونسمع عنها كثيراً، فالضرب إفلاس تربوي.

واكتفاء الأم بشكاية أبنائها للأب إفلاس تربوي، والأوامر الجامدة دون إقناع إفلاس تربوي.

والعقاب الجماعي للأطفال إفلاس تربوي.

فنرجوكم أيها المربون لا تكونوا مفلسين.



فكر معنا

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١) تمثل الكلمات (٢٪-٧٪-١٠٪) من عملية الاتصال.

٢) القول بأن المشاعر خلقت لتنطق وأن من لا يعبر عن حبه لا يحب (صواب- خطأ- خطأ تحتمل الصواب).

٣) مدح الطفل يجب أن (يوافق الإنجاز الحقيقي للطفل-يحمل روح المبالغة-يكون قليلاً جداً).

٤) كثرة الأوامر طوال اليوم تعمل على (زيادة تركيز الطفل-توليد المقاومة عند الطفل-إهمال الطفل).

٥) من مظاهر الإفلاس التربوي (التجاهل-المدح-الضرب).

٦) الأم التي تتحدث مع ابنها كثيراً (تصيبه بالصداع-تشعره بالحب والأمان-تعطل نموه اللغوي).

٧) الألفاظ غير الواضحة للطفل ينتج عنها (تقصير وإهمال-إصغاء واهتمام-غضب وانفعال).

٨) تهديد المربي للطفل يعبر عن (قوة شخصيته-ضعف شخصيته-قوة شخصية الطفل).

٩) حركات الجسم وتعبيرات الوجه تمثل (٧٪-٣٨٪-٥٥٪) من عملية الاتصال.

١٠) مدة تركيز طفل التاسعة هي (٩ ثوان-٩ دقائق- ٩ ساعات).



تناول الباب الثالث بعض الإرشادات من أجل تحسين طريقتنا في التحدث مع الأبناء بلا إفراط أو تفريط، فالطفل يجب مناداته بأحب الأسماء إليه ويميل إلى من يمدحه ولا ينتقده بالساعات الطوال، كما أنه قليل التركيز فلا يتسع عقله للقوائم المطولة من الإرشادات والوصايا أو الخطب العصماء وذكرنا مدة تركيز الطفل في أعماره المختلفة، وتحدثنا عن لغة الجسد وأنها تمثل نسبة كبيرة مقارنة بلغة الكلام، وأفضنا الحديث عن أثر المدح في نفس الطفل والطرق الصحيحة له.

***

الباب الرابع



فن تعديل السلوك

- تمهيد
- استبانة
- فن التعامل مع الخطأ
- من المخطئ؟
- وقفة مع السلوك
- الإسعافات النفسية
- للعقاب..قواعد وأصول
- قواعد الإثابة
- الوسائل الفعالة
- هيئ للماء طريقاً
- لا تضرب الذبابة بمدفع!
- تربية الدقيقة الواحدة
- أنت السبب فلا تلومن إلا نفسك
- التربية بالألوان
- التجاهل
- فكر معنا
- الخلاصة

تمهيد

الإجابة البديهية: (لا أحد).

إذن فلماذا تقوم الدنيا ولا تقعد عندما يخطئ الأطفال؟!

هل لأن أخطاءهم تتكرر؟

أم لأن أضرارها فادحة؟

أم لأننا ونحن صغار لم يكن لنا أخطاء مثلهم؟

وماذا لو وقع طفلك في الطريق وهو يسير معك؟

ألن تسرع برفعه وتنظيف ملابسه وتطييب خاطره أم ستتركه عقاباً له أنه وقع، أو عقاباً له على ترك الإمساك بيدك. كلنا يرفع أبناءه عندما يقعون ويبحث عنهم عندما يفتقدون ويظل جالساً بجوارهم عندما يمرضون.

أليس أولى بنا أن نعرف الطريق الصحيح لعلاج أخطاء أبنائنا وتعديل سلوكهم حتى لا نجعل من الخطأ سبباً لإحباط الهمم وتحطيم المعنويات وسحب الثقة والتهوين من الطفل فيتوقف الإبداع والانطلاق.

استبانة
(كيف تتعامل مع أخطاء أبنائك؟)

م	البيان	نعم	أحياناً	لا
١	أتجاهل سلوكيات أبنائي الخاطئة لئلا أحقق لهم ما يريدون من لفت انتباهي من خلالها			
٢	الثواب عندي مقدم على العقاب			
٣	الضرب مفتاح الفرج			
٤	استخدم نظام النجوم عند مكافأتي لأبنائي			
٥	أرى أهمية إشعار ابني بعواقب خطئه			
٦	أجتهد ألا أصل إلى مرحلة الندية والمساواة مع أبنائي			
٧	ركلة أو لكمة أو لطمة هي العقاب المناسب على رده السيئ على أمه			
٨	استخدم مع أبنائي أسلوب تربية الدقيقة الواحدة			
٩	استخدم نظام الكروت الصفراء عند عقابي لأبنائي			
١٠	لا أرى للضرب قيمة في العملية التربوية			

فن التعامل مع الخطأ

للتعامل مع أخطاء الطفل فنون وأصول ينبغي مراعاتها حتى يمكن تعديل سلوكه، ومن ذلك:

اجعل الخطأ هدفًا لا طفلك

من المهم أن يركز المربي دائماً على المشكلة وليس على الابن المخطئ، فما هو إلا عنصر في المشكلة وقد تكون المشكلة نتيجة خطأ تربوي من المربي نفسه، وقد تكون بسبب المناخ والذي هو أحد عناصر العملية التربوية، وقد تكون لأمر عارض وقد تكون غير ذلك..المهم هو التركيز على كيفية حل المشكلة وليس اتهام الابن والتفرغ لعقابه.

فلا تجعل من الطفل هدفاً بل الخطأ يكون هو الهدف، فلا يمكن أبداً أن نربط الإزعاج بالطفل عندما يزعجنا بعض الوقت فنقول: (أنت مزعج) ولا نكرر جملة أو سؤالاً فنقول له: (أنت ثرثار)، وإذا تبول على فراشه نقول له: (أنت قذر) وإذا سكب الماء على الفراش أو السجاد نقول له: (أنت فوضوي) وإذا لم ينجح دراسياً في بعض المواد لا نتهمه بالغباء فنقول: (أنت غبي) فهو تعميم خاطئ على شخصية الطفل والنتيجة أن يتأصل السلوك العرضي ويترسخ في نفس الطفل ويترك بصمات مؤلمة قد لا يتخلص منها طوال حياته.

هل علمته حتى لا يخطئ؟

السؤال الأول الذي يجب أن تسأله لنفسك عندما يخطئ طفلك: هل علمته حتى لا يخطئ؟ هل قمت بدوري على أكمل وجه أم أنني أحاسبه على أشياء لم يتعلمها مني؟

أنت أخي المربي لا يمكن أن تسمح لرئيسك في الشركة مثلاً بعقابك قبل أن يعطيك من الدورات التدريبية والمؤهلات العلمية ما يساعدك على عدم الوقوع في الخطأ، ولولا الشهادة الدراسية التي حصلت عليها في هذا التخصص لما سمحت لك الشركة من العمل فيها أصلاً.. فلماذا إذن ننسى ذلك مع أبنائنا؟!

علمه كيف يستذكر دروسه، ووفر له الجو المناسب للمذاكرة، واسمح له باللعب وتفريغ طاقته والترويح عن نفسه مع المذاكرة، وقم بمساعدته في حل التمرينات والأسئلة في مختلف المواد أو وفر له من يقوم بذلك حتى يتدرب على حل الامتحانات، وحببه في التفوق وأشعره بأهميته، واجعل المذاكرة متعة له بالاستماع إلى الأشرطة والبرامج التعليمية بالتلفاز وأحضر له الوسائل التعليمية من خرائط وصور ومجسمات وأدوات معملية ومعلمين يحبون مهنتهم لينقلوا ذلك الحب إليه.. من المؤكد أن النتيجة لكل ذلك ستكون نجاحاً دراسياً إن لم يكن تفوقاً.

إن مهمتنا كآباء أن نساعد أطفالنا لكي يفهموا السلوك الصحيح من السلوك الخاطئ، فنساعدهم بذلك على تصحيح تصرفاتهم السلبية وعدم تكرارها مستقبلاً؛ لذلك لا يعد العقاب في أكثر الأحيان وسيلة إيجابية للوصول بأبنائنا إلى هذا الهدف.

علمه الانتفاع من الخطأ

علم ابنك الاستفادة من الخطأ وتحدث معه عما يمكن عمله فيما بعد، فهو إن رسب في إحدى المواد الدراسية مثلاً فتحدث معه عن أهمية تنظيم الوقت بين اللعب والاستذكار وأهمية التفوق في حياة الإنسان واحترام الناس للناجح في دراسته. كل ذلك بروح التعليم لا بروح اللوم والتوبيخ.. أي تحدث معه وكأن شيئاً لم يحدث حتى تضيء له شمعة في طريق تعديل سلوكياته وتفادي أخطائه بدلاً من أن تلعن الظلام فتيأس منه وتيئسه.

علمه تحمل نتيجة أخطائه

علمه تحمل المسئولية عن أخطائه كي يتعلم مهارة التحكم في الذات، فإن أهمل المذاكرة فليتعلم أنه مسئول عن نتيجة عمله فلا يلقي اللوم على المدرس ضعيف المستوى أو بعدم وجود أحد يذاكر له أو غير ذلك مما يجعله يهرب من المسئولية.

أشعره بعواقب الخطأ

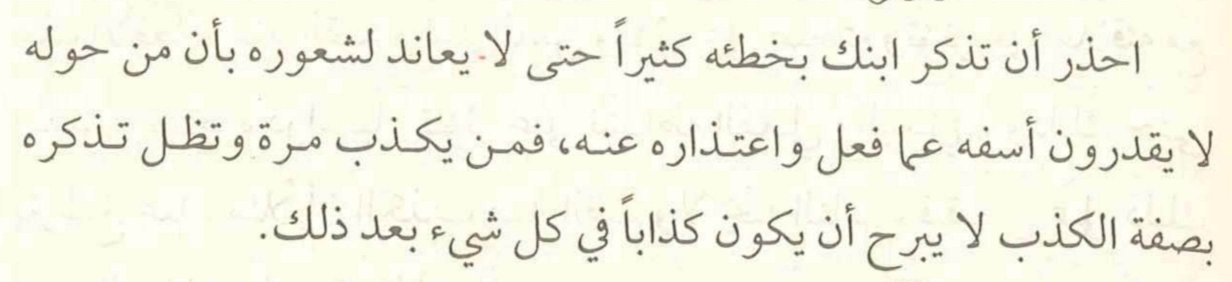
أشعر ابنك بعواقب الخطأ ليتولد عنده الرغبة في تغييره والبعد عنه. قل له: هذا الذي ارتكبته يؤثر على حب الناس لك.. هذا يؤثر على صحتك.. هذا يضرك في كذا وكذا.

تعاطف معه عندما يخطئ

كن بجانبه وتعاطف معه عندما يخطئ، قل له: أنا أتفهم موقفك وأشعر بك وكم كنت أتمنى ألا يحدث منك هذا. وأعد الثقة لطفلك بعد الخطأ، فهو العلاج الفعال حتى لا يسترسل في نفس الخطأ أو يصيبه اليأس

والإحباط فشجعه وتوقف عن لومه وتوبيخه.

احذر تذكيره بخطئه



احذر أن تذكر ابنك بخطئه كثيراً حتى لا يعاند لشعوره بأن من حوله لا يقدرون أسفه عما فعل واعتذاره عنه، فمن يكذب مرة وتظل تذكره بصفة الكذب لا يبرح أن يكون كذاباً في كل شيء بعد ذلك.

عالج المرَض لا العَرَض

ابحث عن دافع الخطأ لديه كي تعالج الأصل بدل الأعراض، فكل سلوك ينتج عن دافع لدى الطفل فهو يريد منك أن تهتم به بشكل أكثر فيصور نفسه مظلوماً يضربه المدرسون ويضربه أصدقاؤه في المدرسة، ومثله كالذي يتمارض؛ لأنه حينما يمرض تجلس بجواره وتحنو عليه فهنا لا يصح أن نحاسبه على كذبه في هاتين الحالتين قبل أن نعالج سبب الكذب وهو عدم الاهتمام به، فلا يعقل أبداً أن يذهب المريض إلى الطبيب ويشتكي من صداع في رأسه فيصرف له الطبيب دواءً للصداع. والمعروف أن الصداع عرض لأمراض كثيرة كالتهاب اللوزتين أو الجيوب الأنفية وضعف النظر وارتفاع ضغط الدم أو انخفاضه وليس مرضاً مستقلاً بذاته، وإن عالجنا الكذب أو السرقة أو التأخر الدراسي وغيرها دون البحث عن مسبباتها نكون كمن يعالج الصداع بالمسكنات وسرعان ما سيعود الألم بزوال أثر تلك المسكنات.

لا تخفه من الفشل فلا تقل له: (إياك أن تفعل ذلك مرة أخرى) ولكن عوده النهوض من كبوته وخذ بيديه إلى الصواب وساعده على تصحيح المسار، وعلِّمه أن الإصرار هو خاصية النجاح الأساسية وأننا جميعاً نخطئ

وليس من العيب أن نخطئ بل العيب أن نصر على الخطأ.

كوِّن لدى طفلك المعايير التي من خلالها يتعرف على الخطأ.. علِّمه أن هذه الأفعال ضد القيم وضد الدين وتؤثر على صحته وتؤثر على علاقته مع الناس وتؤخره دراسياً وتؤثر على نشاطه الفعلي والبدني.. وذلك حتى يترسخ عنده مثلاً أن الكذب ضد القيم ولا يحبه الناس، فيقيس على ذلك جميع الصفات السيئة والأخطاء.

ذكره بالمستقبل لا بما مضى

لا تُذكِّر ابنك بأخطاء الماضي بل ذكره بالمستقبل دائماً، فإن كان يرفع صوته في حضور الضيوف فلا تقل له: (لقد أخطأت عندما جاءنا ضيوف ورفعت صوتك وأزعجتنا جميعاً) ولكن قل: (عندما يأتي الضيوف نرجو منك أن تكون هادئاً منخفض الصوت).

لا تيأس منه

لا تيأس من طفلك مهما تكرر خطؤه فهذا أفضل ممن لا يخطئ إذ إنه لن تكون لديه خبرات وتجارب كافية في حياته، وتأكد أخي المربي أن عقل الطفل لم ينضج بعد وبالتالي فطبيعي أن يخطئ وطبيعي أن يتكرر الخطأ.

إن توماس أديسون قد طرد من المدرسة متهمًا بالغباء والتخلف إلا أن أمه شجعته حتى صار صاحب أكبر عدد من الاختراعات وكان يقول: «إن أمي هي التي صنعتني، لأنها كانت تحترمني وتثق في، أشعرتني أنى أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريًا من أجلها وعاهدت نفسي أن لا أخذلها كما لم تخذلني قط».

مَنْ المخطئ؟

بلهفة بالغة وشوق عظيم يرقب الزوجان وصول المولود الأول، لكن ما إن يخرج الأمير إلى الوجود حتى تتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق، فالصغير المنتظر شيطان يعيث في البيت فسادًا، ويملأ الدنيا ضجيجاً وعويلاً، ويسلب والديه راحة البال! فالصغير المسكين الذي بدأ لتوه يدب على الأرض بعد أن كان يحبو عليها، والذي بدأ مستعيناً بقدرته على الحركة، في استكشاف بيئته بجميع حواسه، بعد أن كان يستكشفها بسمعه وبصره، يفاجأ بقائمة من المحظورات والممنوعات! لا تقترب من كذا... لا تلمس كذا... لا تفعل كذا... إلى آخر قائمة الممنوعات! فإذا كبر الطفل شهوراً أخرى، وزادت قدرته على الحركة والكلام زادت قائمة الممنوعات والمحظورات! إذ لا يليق بطفل من وجهة نظر الوالدين أن يسقط الطعام من فمه، أو أن يصيح وهو جالس على المائدة، أو أن ينثر الطعام من طبق طعامه على ثيابه! ولا يليق بالطفلة أن تضحك على رأس جدها الأصلع، أو أن تقذف دمية لا تعجبها بعد أن أهديت إليها، ولا أن تعبث بشارب أبيها وهو يحملها ليداعبها!

بتعبير آخر فإن الوالدين يعاملان الصغير كبالغ عاقل مكتمل النضج، ويطلبان منه التصرف على النحو اللائق بالشخصية التي صنعاها له من أحلامهما، فمن المخطئ ومن المصيب؟!

هل الأم التي تصر على أن تطعم صغيرها بنفسها أم الطفل الذي يصر

على أن يعتمد على نفسه انطلاقاً من طبيعة مرحلته السنية؟

هل الطفل الذي انتظر أباه لحين عودته إلى البيت بشغف وحب ليلعب معه وهو سعيد أم الأب الذي يمتنع عن اللعب مع ابنه عندما يعود بل يبخل حتى بالابتسام بدعوى أنه متعب طوال اليوم؟!

من المخطئ إذن؟

***

وقفة مع السلوك

نوعا السلوك السيئ:

هناك نوعان للسلوك المزعج الذي يصدر من الطفل وهما:

١) **الإفراط أو التطرف السلوكي**: وهو السلوك المزعج المبالغ فيه بالزيادة، ومن أمثلته العدوانية الزائدة والعناد المفرط وإدمان مشاهدة التلفاز والإفراط في الأكل.

٢) **القصور السلوكي**: ويقصد به ضعفه وقلته سواء في الأداء أو في التكرار، ومن أمثلته قلة الاستذكار وعدم التواصل مع الآخرين.

تصنيف السلوك:

عند النظر إلى سلوك الطفل لابد من ملاحظة ما يلي:

أولاً: تحديد السلوك السيئ أو المراد تعديله طبقاً لأعراض ومظاهر حقيقية وليس مجرد إحساس أو مبالغة أو توقع. فمثلاً قد يعبر السلوك العدواني عن:

- رغبة الطفل في الحصول على مزايا أو اهتمامات خاصة.
- أو خبرات سيئة في مواقف مماثلة كان يشعر خلالها الطفل بالتهديد وعدم الطمأنينة والتعدي على حقوقه.
- أو قصور في المهارات الاجتماعية لهذا الطفل تجعله عاجزاً عن حل صراعاته ومشكلاته الاجتماعية بطرق غير عدوانية.

- أو سوء الظن وعدم الثقة في النفس يستنتج من خلالها أنه غير كفء أو أنه موضوع للامتهان من قبل الآخرين.

ثانياً: معرفة ما إذا كان السلوك مشكلة أم أنه أنانية من الكبار في مثل الانزعاج من كثرة حركة الأبناء ومشاجرتهم مع بعضهم بعضاً بشكل طفولي أو كثرة تساؤلات الطفل.

ثالثاً: منع أي محاولة لحل المشكلة عن طريق الصراخ أو الضرب أو التهديد أو السخرية أو المقارنة بالغير أو الشتم أو الإهانة أو التذمر أو غير هذا.

رابعاً: التعبير عن المشاعر يزيد من أواصر القرب والألفة ويشعر الطفل بأهمية احترام مشاعر الغير (كم أتمنى ألا تضرب أخاك الصغير-كم أنا حزين لتأخرك في أداء الصلاة-أتوقع منك أن ترتب غرفتك دائماً).

خامساً: السلوك الحسن أو السيئ هو حصيلة ما يؤدي له من نتائج وآثار، فالمدح والإثابة يتبعهما سلوك حسن، والنقد والعقاب يتبعهما سلوك سلبي سيئ.

إيضاح المعايير قبل التعديل:

من الضروري أن نضع بعض المعايير والتي عن طريقها يستطيع كل من يتعامل مع الأطفال أن يميز بين ما هي مشاكل عادية وطبيعية مرتبطة بعمر الطفل وبين ما هي مشاكل يتوجب التدخل فيها وعلاجها، ومن هذه المعايير:

أولاً: مدى ملاءمة السلوك لعمر الطفل وجنسه :

إن السلوك الطبيعي هو السلوك الذي يلائم عمر الطفل وجنسه ، إذ إن الأطفال يتميزون بكثير من السلوكيات والتصرفات وفقاً لعمرهم والتي تختفي مع تقدم الطفل في السن ، على سبيل المثال: التبول اللاإرادي هو سلوك طبيعي في سن الثانية إلى الخامسة ، ولكنه غير طبيعي لسن عشر سنوات.

فإذا كنت غير متأكد من أن سلوك طفلك غير ملائم للمرحلة السنية أم لا فعليك التوجه إلى الاستشارة مع مختص أو القراءة في خصائص المراحل السنية وعلم نفس النمو.

ثانياً: التغير في السلوك:

هل السلوك الذي يقوم به الطفل هو سلوك متعود عليه وهو سمة من سماته أم أنه سلوك جديد عليه وغريب. على سبيل المثال: طفل هادئ يتحول فجأة إلى عنيف وعدواني تجاه الأطفال الآخرين فيجب فحص الأسباب التي أدت إلى التغير في سلوكه.

ثالثاً: شدة ومدى الخطورة:

يجب الأخذ في الحسبان إلى أي مدى خطورة السلوك ، وكم مرة يحدث في اليوم أو في الأسبوع ، ومدى الاستمرارية ، مثلاً: هل عندما يغضب الطفل يكتفي بالصراخ أم انه أيضًا يرمي بنفسه على الأرض ويكسر ويدمر ويؤذي نفسه ومن حوله !

رابعاً: مدة استمرارية السلوك:

من الطبيعي أن يمر الطفل ببعض المخاوف، والمشكلة قد تستمر أيامًا أو أسابيع، ولكن إذا استمرت المخاوف لأشهر أو سنوات فإن هذه دلالة على وجود مشكلة يجب علاجها.

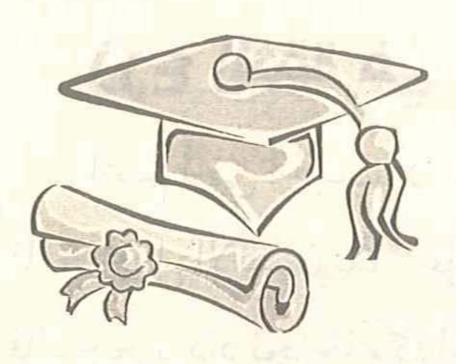
خامساً: إلى أي مدى تعيق مشكلة الطفل سلوكه:

يجب الانتباه إلى مدى إعاقة المشكلة لسلوك الطفل اليومي، مثلاً: هل قلق الانفصال عن الأهل بالذهاب إلى الروضة (الحضانة) يؤدي إلى أن يجلس الطفل في زاوية الروضة دون كلام ودون تفاعل مع الآخرين!



الطريق نحو العلاج

إيجاد الوازع الداخلي:



ما من أحد منّا إلا ويريد أن يكون أبناؤه أقوياء، واثقين بأنفسهم، قادرين على تحقيق غاياتهم، ولكن هل حقّاً نشارك أبناءنا في التخطيط لتطوير أنفسهم؟ حاول أن تجلس مع أبنائك قبل عطلة نهاية الأسبوع، اسألهم كيف يريدون قضاءها، دعهم يضعون خطَّة يحددون فيها أهدافهم، وما سيفعلونه في تلك العطلة.

اجمع تلك الأهداف، ودعهم ينظرون إليها، ثمّ يرى كلّ واحد فيما إذا كانت تلك الأهداف تتوافق مع سلوكه، فواحد يضع خطة يضبط فيها طريقة تحدُّثه مع الآخرين مثلاً، فلا يتحدَّث بصوت مرتفع يزعج من حوله، وآخر يضع هدفه تصحيح طريقة مشيه إذا كانت مشيته غير مألوفة خلال فترة معينة، وهكذا.

وينظر كل فرد إلى أهدافه الخاصة، ويلاحظ فيما إذا كان سلوكه ينسجم مع أهدافه، وهكذا يشعر الأبناء بالثقة بالنفس، والقدرة على إدارة شئون حياتهم، فتصبح أكثر إشراقاً وحيوية.

لقد جرَّب هذه الطريقة عدد كبير من الآباء، ووجدوا فيها حلولاً لمشاكلهم في تربية أبنائهم، وحصلوا على نتائج أفضل في وقت قليل، لقد تعلَّم أطفالهم كيف يحبُّون أنفسهم، ويسعون لتطوير سلوكهم نحو

الأفضل، وعرفوا متعة الحياة الهنيئة في بيت متكافل خال من البغض والشحناء.

زرع الثقة في نفس الطفل:

اعلم أخي الحبيب أن اتهام الطفل دائماً بالفشل قد يجعله يزداد فشلاً، فالمخ يجعل الإنسان يكبر على ما هو عليه ويدفعه الآخرون إليه، ولذلك فالناجح يزداد نجاحاً وكذلك الفاشل، والإنسان لو فعل ما يحبه سينجز فيه. قل له: لا أحد أحسن منك. لا أحد يستطيع أن يحد من قدراتك إلا أنت. ودعه يردد: مهما حدث سوف أنجح. وازرع فيه الإحساس بالمسئولية والثقة في النفس لكي يتوفر عنده الوازع الداخلي للالتزام، ومثال ذلك أن تقول له: إني أعلم أنك قادر على تنظيم ألعابك ووضعها في أماكنها.

الطفل الذي يتكرر سلوكه السيئ يفتقد إلى البواعث الداخلية لكي يتعاون فقم باستخدام الثناء والتشجيع لتحصل على بداية النجاح.

عندما يتعود الطفل السلوك الجيد، فسوف يزيد حماسه ليكون تصرفه جيداً في المستقبل وعندما يسلك سلوكاً جيداً أخبره بذلك فسيزيد هذا مما لديه من حماس.

***

الإسعافات النفسية

الجروح الجسدية أياً كانت يمكن معالجتها والتخلص من آثارها وربما في وقت قصير، أما الجروح النفسية فهي تعالج على مدى بعيد وقد لا تعالج.

أحياناً نبالغ في التفكير في المشكلة ويفوق ذلك التفكير في العلاج.

فمثلاً إن سألنا: كيف تسعف طفلاً مصاباً بفشل دراسي؟ هذا سؤال نرد عليه من خلال الخطوات التالية والتي لا تشمل الفشل الدراسي فقط حيث إنه مجرد مثال ولكنه يشمل كثيرًا من المشكلات السلوكية والنفسية أيضاً.

أولاً: لا تركز على الفشل: واسأله ما الذي بإمكانه أن يفعله ليتجاوز المشكلة. قل له: لا يهمك ما حدث فليس العيب أن نفشل ولكن العيب ألا نتعلم من الفشل.

ففي هذا اعتراف بقدراته ومن ثَمَّ إعادة الثقة إليه.

ولا تقل له: لقد فشلت لأنك كنت تلعب وكنت تشاهد التلفاز وكنت.. وكنت..

فهذا يؤصل المشكلة ويعمقها ويزيد الجراح.

قل له: أنا واثق بأنك قادر على تخطي ما حدث وقل له: هيا نفكر في أسباب هذا الفشل كي لا يتكرر.

ثانياً: ركز على العناصر الإيجابية: التي يمكن أن تشكل عنصراً قوياً لتجاوز المشكلة، فأخبره أنه يملك أماً مثقفة بإمكانها أن تساعده، وحبذا لو تستفيد من مصاحبة صديقك فلان فهو متفوق ويمكن أن يساعدك، وبعد ذلك ذكر ابنك بالمرات التي نجح فيها وبالنتائج الإيجابية التي حققها سابقاً ولو أمكن أن تذكره بمرة فشل فيها وتجاوز الفشل بنجاح واقتدار فافعل، أو ذكره بمن فشل وتجاوز الفشل. واتصل بمعلميه لتعرف منهم أوجه القصور فتعالجها واسأل المعلمين عن توجيهاتهم وآرائهم في ذلك.

ثالثاً: اعقد اتفاقيات مع الطفل:

قل له: نعم يمكنك أن تتخطى الفشل ولكن ما الخطة التي نتفق عليها معًا من أجل ذلك، ولنحدد فيها الوسائل والإجراءات وتنظيم الزيارات والرحلات والإجازات، وما هي الاحتياجات اللازمة للتفوق (نقلل الزيارات- تأخذ دروساً- تشتري كتباً- تشاهد القنوات التعليمية في التلفاز) واتفق معه على الحافز الذي سيأخذه في المقابل عندما ينجح. وأفضل شيء أن تكون الخطة نابعة من الابن نفسه ولنتجنب في الإسعافات النفسية الأوامر والنواهي الصريحة (أقلل من كذا ـ افعل كذا ـ لا تفعل كذا).

رابعاً: قم بتحويل السلبيات والفشل إلى همة ونشاط:

علمه كيف ينهض وكيف يقوم، وتذكر أنه إن وقع منك في زحام شديد وظللت تلومه وتعاتبه على وقوعه وفشله فسوف تدوسه الأقدام ولكن إن مددت يدك إليه ورفعته كان ذلك أفضل وتكون قد أنقذته من الهلاك. قل له: إن أديسون صاحب أكبر عدد من الاختراعات قد فشل أكثر

من ٢٠٠٠ مرة في اختراع المصباح الكهربائي وكانوا يتهمونه بالغباء والفشل لكنه ثابر واستطاع في النهاية أن ينجح وكان يقول: لقد تعلمت ٢٠٠٠ مرة ولم يقل فشلت ٢٠٠٠ مرة. قل له: تعلم من النملة التي تحمل أضعاف وزنها وتظل تسقط وتسقط وربما تظل ساعات طويلة في نقل حبة أرز أو قمح ولا تيأس حتى تحقق ما تريد. علمه أن الإصرار هو خاصية النجاح الأساسية، وليس الفشل عيباً بقدر الخضوع له مع ضعف الحماسة والهمة والنشاط.

خامساً: ابتسم ولا تغضب:

فلو انفعلت فسوف تعمق فيه الشعور بالفشل ومهما كان فشله وتكرار هذا الفشل وضخامة وسوء آثاره تقبله بابتسامة صافية حتى تبعد عنه الهواجس والانفعالات المحبطة، فلربما عمق الغضب فيه العجز والإحباط والتوتر النفسي، فنحن نحب أبناءنا وتهمنا سلامتهم النفسية أكثر من أي شيء آخر. أليس كذلك؟! والجأ إلى طرفة أو موقف أو قصة أو لعبة تداعبه بها وتمازحه وتضاحكه من خلالها، لأن ذلك يخرجه من ضيقه النفسي.. قل له: ابتسم وارفع رأسك وكتفيك، وفكر في حسناته ومحاسنه ولا تفكر فقط في فشله وسقوطه.

سادساً: أخبره بأنك قد مررت بكل التجارب التي يمر بها الآن:

أخبره بأنك وإن كنت مرشده وحاميه فقد وقعت في نفس الأخطاء وعانيت من فشل وإخفاق أيضاً، لكن في النهاية تحول هذا كله في خبرة

اكتسبتها على مر الأيام، فمثلاً عندما يفشل ابنك في تعلم ركوب الدراجة لأول مرة ويأتيك باكياً ورجله تنزف دماً لا يجوز لك أبداً أن تأمره بالكف عن البكاء أو تصيح في وجهه غاضباً من فشله أو تتهمه بالغباء ولكن افعل كما فعل الأب المتميز عندما كشف عن ساقه ليري ولده أثر جرح قديم أصيب به عندما كان صغيراً وهو يتعلم ركوب الدراجة، وعلى الفور كف الابن عن البكاء عازماً على مواصلة التعلم.

سابعاً: عوّد أبناءك أن يكتبوا عن أنفسهم أشياء جميلة وصفات حسنة واجعلهم يقرءونها عندما تحدث لهم مشكلة.

ثامناً: شجعه على القليل:

فعندما يعود الطفل من المدرسة وبيده إحدى الرسومات التي يضعها جانباً ويقول: «إنها ليست جيدة» تناول الرسم وأخبره كم هو جميل، قد يكون تقييمه للرسم ة. جاء هكذا لأن حجم المزارع -في الرسم- جاء أكبر من حجم الحصان، لكن أخبره أنه قد بدأ بصفحة بيضاء ثم وضع تصوراً للموضوع ورسم شيئاً جديداً وفريداً يحكي قصة، ليس من الضروري أن تكون إنجازاته مثالية تلقى قبول الناس جميعًا.

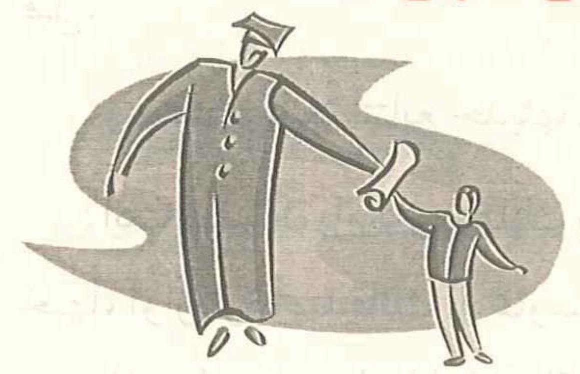
تاسعاً: علمه أن الأهم من نتيجة المجهود هو بذل المجهود نفسه: ولقد قال أحد الآباء لابنه عندما عاد إلى المنزل وهو محبط، إنه في حين أن الفوز الرياضي يعد جماعيًا، فإن الخسارة أيضاً جماعية، وليس معنى أنك حارس مرمى فريق الكرة، أنك أنت الوحيد المسئول عن

هزيمة الفريق. تذكر أن الكرة تمر بجميع اللاعبين قبل أن تصل إليك.

عاشراً: حول اهتمامه عن الفشل:

واسأله ماذا بإمكانه أن يفعل لتجاوز المشكلة، ففي ذلك إعادة للثقة بالنفس لديه من خلال اعترافك بقدراته على تخطي الفشل.

نموذج ناجح



جاء عمر خجلاً إلى أمه، عمره لا يزيد عن ١٤ عاماً وكانت درجاته الدراسية قد تراجعت في ذلك الشهر لكنه لم يكن يريد أن يخفي ذلك عن والديه، فقد تعود معهما الصراحة والوضوح.

قال لأمه والضيق مرتسم على وجهه:

أمي لا تتضايقي مني؛ درجاتي في الفصل الثاني أضعف من الفصل الأول.

ومد يده لشهادته فأخذتها والدته وبدأت تقرؤها.

كان من الممكن أن تعاقب هذه الأم ابنها، بأن تحرمه من أي شيء يحبه لفترة من الوقت حتى يشعر بتقصيره أو تثور في وجهه غاضبة.. لكنها فضلت أسلوباً تربوياً آخر كانت نتائجه رائعة.. ترى ما هو هذا الأسلوب؟

رفعت الأم رأسها وقالت لابنها:

اجلس بجانبي لنتحدث.

جلس الابن مع أمه متهيباً ينتظر لا يدري كيف ستواجه والدته تقصيره الدراسي، لكنه فوجئ بها تحدثه بلطف وحب وحزم وقالت له:

تأخر درجاتك الدراسية هذا الشهر لا يرضيني ولا يرضي والدك؛ لأننا نعلم بأنك تستطيع أن تحصل على درجات أفضل مثلما كنت تفعل من قبل.

وصمتت قليلاً لتتابع حديثها:

أنت تعلم أن بإمكاني عقابك بأن أمنعك مثلاً من مشاهدة الأفلام التي تحبها، أو زيارة أصدقائك أو ممارسة أي هواية تميل إليها لفترة من الوقت حتى أشعرك بتقصيرك الدراسي لكنني لن أفعل ذلك.. أتدري لماذا؟

سألها ابنها: لماذا؟

قالت الأم: لأنني لا أريدك أن تؤدي واجباتك الدراسية وأنت غير مقتنع، إن نجاحك في الحياة مستقبلاً يعتمد أساساً على إحساسك بالمسئولية نحو دراستك. إن تعودك على أداء واجباتك الدراسية بشكل منتظم وبإخلاص سينمو معك وسيؤدي بك إلى النجاح في حياتك العملية فيما بعد، أنت تعلم أني أحبك كثيراً وكذلك والدك وإننا نريد لك النجاح والسعادة في الحياة.

وبعد أن انتهت من حديثها ضمته بحنان وحب صادق قائلة:

أنت ابن ناضج وأفضل من أولاد كثيرين في مثل سنك، ويكفي أنك

تؤدي واجباتك الدراسية اليومية وحدك دون مساعدة مني ومن والدك، وربما افتقدت التركيز في الدراسة هذه المرة، ولا بد أن يكون هناك سبب وسوف تتجنبه في المستقبل وستحصل على درجات أفضل.

ثم ربتت أمه على شعره بحب وقالت له:

أنا واثقة أنك ستفي بوعدك كعادتك.

وكانت هذه الجلسة الهادئة المشبعة بالحب والحنان والحزم بين الأم وولدها قد تركت تأثيراً وإحساساً بالمسئولية في نفس الابن نحو أدائه لواجباته الدراسية أفضل من العتاب الصارم فقد ذهب الابن إلى غرفته واستغرق في استذكار دروسه.

وبعدها بدأت الأم تلاحظ ارتفاع درجات وَلَدِها الدراسية.

***

للعقاب.. قواعد وأصول

تمهيد:

العقاب يعني تقديم منبه مؤلم إثر ظهور سلوك غير مرغوب فيه. وقبل الحديث عن قواعد العقاب نود أن نشير أولاً إلى أن التسليم بأن العقاب أمر ضروري في العملية التربوية خطأ كبير، فمعظم الناس يسلمون بهذا كأنه حقيقة لا تحتمل جدلاً. ويعتقدون أن الأطفال لا يتم توجيههم بغير العقاب، فهناك ما يغني عن العقاب أو على الأقل لا يجعله أمراً ضرورياً في العملية التربوية بل إن علماء السلوك أمثال سكينر وثورندايك ينظرون بشك إلى قيمة العقاب في إضعاف السلوك المرضي فتأثيره مؤقت، كما أن السلوك المرضي عادة ما يعاود الظهور في مواقف أخرى. فعلم ابنك قبل أن تعاقبه حيث هناك أكثر من ٥٠ أسلوباً للمحاسبة والمعالجة، لكن **تقديم العقاب أمر فيه استسهال وابتعاد عن أصول التربية الصحيحة.** وإن شعور الصداقة مع الأبناء لهو أفضل من أي سياسات أخرى في التعامل يمكن وضعها.. هذا إن أردت لنفسك ولأبنائك التميز. فلم يعد العقاب الوسيلة الإيجابية لردع أطفالنا عن السلوك الخاطئ وإنما هناك وسائل أكثر تأثيراً ينصح بها علماء نفس الطفل من أجل تطوير شخصياتهم.

ونحن نؤكد دائماً على أهمية الجوانب الإيجابية في التربية حيث نقدم التوجيه على العقاب ونقدم الثواب على العقاب، ونتعامل بمبدأ المحبة والإقناع والتحاور الهادئ العقلاني، فالطفل الذي يخطئ نعلمه ولا نعنفه ونصحح له ولا نضربه، وعلينا أولاً أن نجعله يؤمن بالقيم، ويستمسك بها

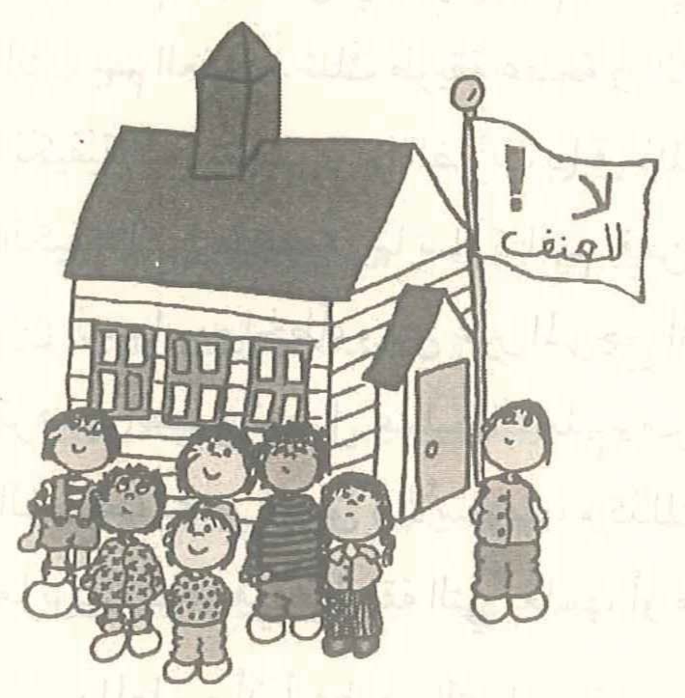
وندربه على السلوك لفترة تتجاوز الثلاث سنوات.

قتل الذكاء:

وإذا كان صبرك ينفد وتفشل فتضرب ابنك كثيراً فلا تفعل ذلك مرة أخرى حتى لا تدمر ذكاءه.. وتقتل مواهبه.

صفعة واحدة كل أسبوعين تكفي للقضاء على ذكاء طفلك كما أكدت إحدى الدراسات، ولقد اتضح فعلاً أن الطفل الذي يتعرض للقسوة والضرب كثيراً في طفولته يقل ذكاؤه ويفشل في حياته العملية حتى وإن بدت لذلك الفشل عوامل أخرى.

أضرار العقاب البدني:



تشير الدراسات إلى أن العنف الذي يمارسه الآباء مع الأبناء والذي يتضمن الضرب بجميع أشكاله، له تأثيران: الأول يتمثل في أن الطفل يصبح أكثر عدوانية وتزيد احتمالات تنمره، والثاني يتمثل في أن الطفل يعاني مشاعر الخزي والغضب.

والعقاب البدني الذي يمارسه الآباء يهدف إلى السيطرة وينطوي على رغبتهم في إخضاع أطفالهم. وهذه الأشياء ليس لها مكان في أي علاقة صحية سواء مع الكبار أو الصغار. نحن في حاجة لأن نعلم أطفالنا

السلوكيات السليمة. وهذا ينبغي أن يتم بحب وقبول وصبر. لسنا في حاجة لأن نحاول السيطرة على أطفالنا. نحن في حاجة لأن نعلمهم بالقدوة والتوضيح والمنطق والحب.

نحن نضرب أطفالنا لأن هذا يحقق لنا نتائج فورية. فهم يكفون عن السلوك السيئ وربما يكون في نهاية الأمر وهذا يغير من ديناميكية الموقف. لكن فكر في مشاعرك الشخصية عندما تكون في موضع عنف أو إيذاء بدني. هل تشعر بالغضب أو الغيظ أو الخوف أو الهياج أو الحزن أو الأسى؟ هل هذه هي المشاعر التي تريد أن تغرسها في طفلك؟

ضرب الأطفال لا يفيد في شيء. كل ما يتعلمونه هو أن هناك شخصاً أكبر منهم لديه الحق في أن يقهرهم جسدياً، فهو يأمرهم بفعل شيء وإلا أنزل بهم العقاب. تلك طريقة عقيمة في التوجيه ونتيجة لها يتعلم الأطفال الكيفية التي يتجنبون بها الضرب بما في ذلك الكذب والخداع ولا يتعلمون الكيفية التي يضبطون بها سلوكياتهم. فمن غير المحتمل أن يفهموا الفرق بين الصواب والخطأ، ومن غير المرجح أن ينمو لديهم الضمير. فعندما نرهب الطفل نعطل عملية التعلم ومن المؤكد أن القوي فيهم يقهر الضعيف بنفس المنطق والأسلوب، وكذلك الكبير يقهر الصغير ليأخذ منه ما يريد؛ فهذه هي الطريقة التي تعلمها أو مورست معه.

والمعلوم أن أسلوب الثواب مقدم على أسلوب العقاب إذ ليس للإثابة ضرر مثلما للعقاب، فإن العقاب يصاحبه قلق وخوف خاصة عند المبالغة فيه كما أنه يؤدى إلى كبت السلوك المعاقب عليه ويجد الطفل له

مساراً آخر بعيداً عن أعين المعاقِب، وقد يؤدى العقاب إلى كراهية الطفل للمعاقِب وللأمر الذي عُوقِب عليه وقد يؤدى العقاب إلى عناد الطفل وتثبيت السلوك المعاقب عليه كالتبول اللاإرادي، وقد يؤدى العقاب المتكرر بالحرمان إلى السرقة أو الاحتيال، كما أن العقاب عند غضب الوالدين يشعر الطفل بالظلم، وبتكرار العقاب ينطوي الطفل ويخاف وقد يضطر للكذب للهروب من العقاب. والمبالغة في العقاب قد تعوق الطفل وتوقف قدراته وانطلاقه وخاصة الذهنية منها والتي تكون مصدر الإبداع والابتكار.. أما العقاب البدني العنيف والذي يحمل إيذاءً وتعذيباً للطفل فأقل ما فيه أنه يزيد من احتمال فعل ذلك الطفل مع أبنائه ما حدث فيه وهو صغير، إذ إن غالبية من يعانون من اضطهاد في طفولتهم يمارسون ذلك مع أبنائهم حتى بلغت النسبة ٨٥٪ كما أثبتت الإحصائيات الحديثة وهكذا تتوالى الأجيالُ المشوهة جيلاً بعد جيل.

ويرى العلماء أن عقاب الطفل يثير في نفسه الرغبة في الثأر من والديه فيبدأ في التفكير بالطريقة التي سيثأر بها منهما، وقد يدفعه ذلك أيضاً إلى الاحتيال أو الكذب فلا يعترف بارتكابه للخطأ خوفاً من العقاب، كما لاحظوا أيضاً أن الآباء الذين يستخدمون العقاب مع أبنائهم يميل أبناؤهم إلى الانحراف وعدم الإحساس بالمسئولية. وعادة ما يتذكر هؤلاء الأطفال عندما يكبرون الطريقة التي استخدمها آباؤهم في معاقبتهم لكنهم لا يتذكرون السبب الذي استحقوا من أجله هذا العقاب.

واعلم أخي المربي أن العقاب المفرط أو غير الضروري يولد شعوراً بالعداء، فالعقاب لابد أن يكون في حدود الرفق والمعقول وبغير عنف أو إهانة أو تعذيب أو إذلال أو مساس بشخصية الأبناء أو تَشَفِّي فيه، وليس علاج الخطأ مسوغاً للعقاب فالتوجيه والتصحيح والعلاج والإرشاد له طرق كثيرة ليس منها الضرب على الوجه أو الأماكن الحساسة بالجسم وليس منها الركل بالقدم أو اللكم باليد أو رفع الطفل وطرحه أرضاً كمن يظن نفسه في حلبة مصارعة.. وقبل هذا وذاك يكون الثواب والتحفيز، وله طرق كثيرة ما بين معنوية ومادية وبعضها يكفي لتوجيه الطفل وتعليمه



ولكن الاستسهال من المربين وحب الانتقام من الأطفال الصغار الذين يقلون عنهم سناً وجسماً وقوةً، والاضطهاد الذي عانوه في صغرهم ويمارسونه اليوم مع أبنائهم لهو الدافع لوضع العقاب في المقدمة، والعقاب عندهم مرادف للضرب والإيذاء وما هو كذلك.

فالواقع أنه لم يستفد شيئاً، وكل ما أورثه ذلك الضرب هو عدم شعور الوالدين بالراحة وإحساسهما بالذنب وقد أكد لي أحد الأصدقاء أنه يشعر بالذنب وتأنيب الضمير لأنه ضرب ابنته الكبرى في السابعة من عمرها

ويشعر أن كل ما يحدث لها من أضرار نفسية حالياً هو بسبب ذلك الضرب رغم أنه لم يفعله مع أحد من أبنائه بعد ذلك.

كما أنبهك لأمر غاية في الأهمية يجب أن تضعه في حسبانك عندما تشتد مع ابنك، ألا وهو أن ابنك إن لم يكن مقتنعًا بما تنهاه عنه أو تأمره بفعله أو ما يتسبب في عقابه فإنه سيضع جل اهتمامه في كيفية ألا تراه وهو يفعل ما تنهاه عنه وليس في ألا يفعل الشيء أصلاً وهذا أمر خطير.

ولقد أوضحت دراسة أمريكية أن الأطفال الذين يتعرضون لإيذاء بدني أو إهمال تزيد لديهم احتمالات التعرض لاكتئاب شديد في مرحلة البلوغ.

وقالت الدراسة أن الأطفال الذين تعرضوا لإيذاء بدني تزيد لديهم مخاطر الإصابة باكتئاب خطير على مدى حياتهم بنسبة ٥٩٪ مقارنة مع نظرائهم من الأطفال الذين لم يتعرضوا لهذه الإساءة.

وكانت دراسات سابقة قد ربطت بين إساءة المعاملة في الطفولة وبين الاكتئاب الحاد لكن الباحثين قالوا إن هذه الدراسة هي الأولى التي توضح أن الاكتئاب هو نتيجة للمعاملة السيئة.

وقارن الباحثون بين حوالي ٦٨٠ طفلاً تعرضوا لمعاملة سيئة وإهمال قبل سن الحادية عشرة وبين ٥٢٠ طفلاً من نفس المرحلة العمرية والعرق والجنس والوضع الاجتماعي. وجرت متابعة كل من المجموعتين إلى مرحلة البلوغ المبكرة وحتى متوسط عمر ٢٩ عامًا.

ووجدت الدراسة أن الأطفال الذين تعرضوا لإيذاء بدني أو إهمال أو

الاثنين معًا كانت لديهم احتمالات أكبر بنسبة ٧٥ ٪ على الأقل للتعرض لاكتئاب شديد بعد البلوغ.

وقال التقرير: إضافة إلى ذلك فإن هذه النتائج تكشف عن أن الاكتئاب بدأ في مرحلة الطفولة عند كثير من الأطفال.

قواعد العقاب

أما إذا اضطررت أخي المربي للعقاب فيجب أن يسير ذلك وفق قواعد نذكر منها ما يلي:

القاعدة الأولى:

العقاب لابد أن يكون هادفاً يقصد به التعليم والتدريب وتصحيح المسار، ولا يكون العقاب لمجرد العقاب وإن علم المربي هدفه من العقاب فقد لا يجد له حاجة إن رأى أن الطفل قد استوعب الخطأ واعتذر عنه ووعد بعدم تكراره، فإن أصر بعد ذلك على العقاب فهو عقاب للعقاب وليس للتربية والتعليم.

القاعدة الثانية:

لابد أن يسبق العقاب حوار وتوجيه وتعليم وتصحيح أكثر من مرة ولا يكون العقاب نتيجة الخطأ من المرة الأولى إذ ربما يكون الطفل قد نسي أو لا يعلم أصلاً بأن الذي فعله هذا خطأ.

القاعدة الثالثة:



ليس العقاب مرادفاً للضرب إذ الضرب آخر وسيلة من وسائل العقاب وهو أسوأها على الإطلاق وأكثرها ضرراً على نفس الطفل ويسبق الضرب من وسائل العقاب: الإبعاد المؤقت والنظرة الحادة والهمهمة وإمساك الأذن والتجهم والهجر والزجر والحرمان مما يحب.

القاعدة الرابعة:

العقاب لا يكون انتقاماً شخصياً من الطفل حيث نسمع من يذكر من مسوغات توقيع العقاب: إنه لم يحترمني.. لم ينفذ تعليماتي.. أشعر أن كلامي لا يجد عنده صدى..

وهذه كلها كلمات عامة من استنتاج الأب أو الأم أو المعلم، وربما لا يكون لها أساس من الصحة بل هي تصورات وتخيلات في عقله هو لإحساسه بأن الطفل أهانه هو بشكل شخصي عندما وقع في هذا الخطأ فيجب حينئذ عقابه وهو ما نسميه بالانتقام الشخصي.

القاعدة الخامسة:

العقاب لا يكون إلا عند الهدوء والاتزان وليس عند الغضب والانفعال كي يتسنى اختيار وسيلة مناسبة لنوع الخطأ وطبيعة المخطئ، ولئلا يقع الطفل فريسة لقرارات عاجلة أو تهديدات غاضبة وكذلك ليتمكن الآباء من قبول اعتذار الطفل بعد الخطأ، وهذا لا يتم في جو مشحون بالإثارة والغضب.





ولا أعتقد أن من السهولة دائماً إيجاد العقاب المناسب عندما يسيء الطفل خصوصاً عندما يكون الوالدان وسط جو المعركة مع ابنهما، لذلك عليهما إبعاد نفسيهما بقدر المستطاع والشعور بالهدوء قبل أن يفرض أحد الوالدين عقابه على الطفل لكي يكون متناسباً مع خطئه.

القاعدة السادسة:

التدرج في العقاب أمر مهم حيث تعويد الأبناء على أن النظرة الحادة تعني أنه أخطأ وربما لا نحتاج لغيرها في توجيهه، فهو ينشأ على أن تلك النظرة قاسية والتي تصدر من أبويه اللذين يحبهما معناها أنه أخطأ فليعجل بالتصويب ولا يكرر الخطأ بعد ذلك.. ويمكن بعد ذلك أن يكون التصعيد، فنصدر صوتاً يدل على الزجر ثم يكون التجهم المؤقت ثم الخصام والهجر وقتاً قصيراً له ثم حرمانه مما يحب كمشاهدة التلفاز أو اللعب على الكمبيوتر مثلاً. ولا يصح أبداً أن نبدأ العقاب بعكس ما سبق حتى لا يأتي الوقت الذي لا نجد فيه ما نعاقب به أبناءنا حيث نكون قد استنفدنا معهم كبرى الوسائل على أخطاء تافهة.

القاعدة السابعة:



نوع العقاب يكون بحسب الخطأ والمخطئ... فهل الخطأ يحتاج إلى عقاب أم لا؟ وهل هو خطأ مؤثر أم لا؟ وهل تكرر أم كان للمرة الأولى؟ وهل سبق التنبيه إليه والتحذير منه أم لا؟ وهل كان أمام الناس أم كان مع أحد الأبوين فقط؟ وهل الخطأ هو سكبه الماء على السجاد أم ضربه لأخيه الأصغر، أم

إهماله في استذكار دروسه أم تعمد إصابة أحد الأصدقاء أم غير ذلك؟

وكذلك يكون العقاب بحسب المخطئ فهل هو دائم الخطأ أم لا؟ وهل هو كثير الخطأ أم لا؟ وهل هو ولد أم بنت؟ وهل هو الأصغر أم الأكبر؟ وهل له قرناء وأصدقاء صالحون أم طالحون؟ وهل يتأثر بالعقاب أم لا؟ وهل هو يتعلم بدون عقاب أم لابد معه من العقاب؟ وهل اعتذر عن خطئه أم لا؟

فالمعروف أن العقاب تتنوع وسائله وتختلف أساليبه باختلاف الخطأ والمخطئ على حد سواء وليس هناك قاعدة ثابتة مع الجميع.

القاعدة الثامنة:

العقاب للتأديب وليس للتعذيب، فلا يكون العقاب قاسياً ومخزياً أو مهيناً أو عنيفاً يحتوي على ضرب وإيذاء أي لا يترك آثاراً نفسية أو بدنية، فليس من العقاب الحرق أو استخدام أدوات حادة أو غير ذلك فإن الطفل حينئذ سيفكر في سلوكك أنت وليس في سلوكه الخطأ.

القاعدة التاسعة:

إقناع الطفل بمسوغات عقابه فربما يعي الدرس ويعرف خطأه ولا نحتاج لعقابه وحتى لا يرتكب المخالفات هذه بعيداً عن أعيننا حيث يسعى جاهداً ألا نراه متلبساً لا أن يسعى لئلا يخطئ.. كل ذلك راجع لإقناعه بخطئه ومسببات عقابه قبل العقاب وليس بعده.

القاعدة العاشرة:

العقاب العنيف ممنوع فلا نلطمهم ولا نرفسهم ولا نصرخ فيهم بشكل هستيري لأننا أطول منهم وأقوى مرتين على الأقل.

القاعدة الحادية عشرة:

تأكد من أن إجراءات العقاب التي تتخذها لها بدايات ونهايات واضحة، مثل «أنت ممنوع من الخروج» لابد وأن يتم تحديد مدة هذا العقاب بمنتهى الدقة مثل «أنت ممنوع من الخروج اليوم».

القاعدة الثانية عشرة:

دائماً يجب أن يسأل المربي نفسه قبل العقاب:

هل في هذا إنصاف؟

هل سيكون مقبولاً؟

هل سيعجبني هذا إن حدث لي؟

هل سيحسِّن هذا من علاقتي بابني؟

أم أنني أحاول أن أثبت به سلطتي الأبوية؟

القاعدة الثالثة عشرة:

تأكد أن ما تنتهجه من أساليب التأديب والعقاب يلقن درساً، ويحقق الهدف المرجو منه.

القاعدة الرابعة عشرة:

لتكن أساليب العقاب التي تستخدمها مناسبة لحجم الخطأ، بحيث تكون عادلة ويمكن تنفيذها. فلا تقل: لن تخرج معنا للتنزه طوال العطلة الصيفية!

القاعدة الخامسة عشرة:

الامتناع عن معاقبة الطفل وهو في قمة غضبه؛ لأننا نضاعف بذلك ثورته دون أن يستفيد من عقابنا ليطور سلوكه، والأفضل من ذلك أن يقول الأب لابنه: حسناً نستطيع أن نتفاهم عندما تهدأ أو الأفضل أن تبتعد الآن عني، وعندما تكون على استعداد للتحدث بهدوء سأكون في غرفتي بانتظارك.

القاعدة السادسة عشرة:

عدم المساس بالحاجات الأساسية كالنوم أو الطعام أو الشراب فلا يحرم الطفل من وجبة أو من نوم بسبب خطأ ارتكبه أبداً.

القاعدة السابعة عشرة:

لا يكون العقاب على سلوك جيد: فالطفلة التي رغبت في أن تفاجئ أمها بشيء قامت إلى المطبخ وغسلت الصحون وذهبت إلى أمها تقول: (أنا عملت لك مفاجأة يا أمي فقد غسلت الصحون) فردت عليها الأم: (أنت الآن كبرت ويجب عليك القيام بمثل هذه الأعمال لكن لماذا لم تغسلي الصحون الموجودة في الفرن هل نسيت؟!!) فالبنت كانت تتوقع من أمها أن تكافئها ولو بكلمات الاستحسان والتشجيع لكن جواب الأم كان

عقوبة وليس مكافأة لأن الأم:

أولاً: لم تعترف بالمبادرة الجميلة التي قامت بها البنت.

ثانياً: وجهت لها اللوم بصورة مباشرة على تقصيرها في ترك صحون الفرن دون غسيل.

القاعدة الثامنة عشرة:

لا يعاقب الأب بينما الأم تعاقب أو العكس فلا يصح أن يكون المعاقب في البيت شخصًا واحدًا وهذا خطأ تقع فيه كثير من الأمهات عندما تقول لابنها: عندما يأتي أبوك سوف يعاقبك رغم أن مسئولية التوجيه والعقاب مشتركة بينهما، وحتى لا يتشتت الطفل فيتجنب الخطأ أمام أبيه ويتعمد الخطأ أمام أمه لأنه لا توجد قواعد صحيحة يسير عليها سواء أمام الأب أو الأم أو حتى وهو منفرد وحده.

القاعدة التاسعة عشرة:

لابد من وجود صلة بين الخطأ المرتكب والعقاب الذي يوقع على الطفل، وذلك من باب [الجزاء من جنس العمل] فبعض الآباء يلجأون إلى عقاب أبنائهم بحرمانهم من مصروفهم الأسبوعي أو من لعبتهم المفضلة لأنهم تصرفوا بطريقة سيئة في المدرسة أو لأنهم لم يؤدوا واجباتهم المدرسية، وهذا النوع من العقاب لا يصلح سلوك الطفل بنفس الدرجة التي يطورها تحمل الطفل لنتائج سلوكه السلبية، إذ يردع هذا الأسلوب الطفل عن تكرار تصرفاته السلبية لأنه يدرك أنه إذا عاد إلى نفس التصرف سيحصل على النتيجة السلبية التي تؤلمه ولا يريد تكرارها.

ولنضرب مثالاً عملياً يوضح لنا ما ذكرته فقد حرمت والدة سامي ابنها الذي لم يتجاوز الثالثة من عمره من لعبته المفضلة لأنه أخذ يلعب بالطعام وينثره حوله إلا أن سامي لا يعلم لماذا حرمته أمه من لعبته؟ إذ ليس هناك علاقة في نظره بين لعبه بالطعام وحرمانه من لعبته، لذلك لم يمنعه هذا العقاب من اللعب بالطعام في اليوم التالي.

لكن عليًّا البالغ من العمر خمس سنوات استفاد من عقاب والدته لأنها جعلت حرمانه من لعبته مرتبطاً بتصرف سيئ، حيث نادته عدة مرات وهو يلعب بدراجته لكي يتركها ويدخل البيت ليأكل طعام الغذاء، لكنه لم يستجب لها لذلك عاقبته قائلة:

علي، لن تركب اليوم دراجتك لأنك لم تلب ندائي مباشرة عندما ناديتك لتتناول غذاءك.

إذن حرمت والدة على ابنها من اللعب بدراجته التي واصل ركوبه عليها عناداً لها، وأدرك بذلك أنه حرم من لعبته المفضلة لأن سوء سلوكه ارتبط بها ومثل ذلك العقاب سيطور سلوكه في المستقبل.

ومن ذلك أيضًا:

إذا رفض تناول السمك فأخبره بأنه لن يأكل الحلوى.

وإذا لم يؤد واجباته المدرسية فلن يسمح له بمشاهدة التليفزيون.

وإذا أضاع إحدى أدواته المدرسية فسوف يقتطع جزءاً من مصروفه اليومي لشرائها.

القاعدة العشرون:

إعلام الطفل بالعقاب مسبقًا: فيعلم الطفل عقابه وحبذا لو كان هو المقترح لهذا العقاب إن وقع في هذا الخطأ (متعمداً طبعاً)، فعندها سيكون لذلك الأثر الكبير للعقاب بما يحقق المرجو منه. وإن الأطفال لن يشعروا بالظلم إذا هم شاركوا في وضع القواعد والعقوبات إن هم أخطأوا.

القاعدة الحادية والعشرون:

التنسيق بين المربين في حالة تعددهم: فقد نجد المعلم يعاقب بالحرمان من النزهة وفي نفس اليوم يصطحبه الأب لنزهة ممتعة أو العكس فعندها لا يؤتي العقاب ثماره.

القاعدة الثانية والعشرون:

لا يكون العقاب على الملأ كأن يكون أمام الأصدقاء أو الأشقاء إلا إذا تعذر ذلك حتى لا يتجرأ الطفل على الخطأ ويعاند.



القاعدة الثالثة والعشرون:

عدم المساس بالملكيات الخاصة للطفل فلا نأخذ هاتفه المحمول أو لعبته أو قصته رغم أنها قد تكون من أموالنا نحن أو هدايانا له لكنها أصبحت الآن في حوزته الشخصية وصارت ملكاً له ولا يجوز الاعتداء على الملكيات الخاصة لأحد أبداً، وإلا فنحن نسمح ضمنياً باعتدائه هو على ممتلكات الآخرين لأنه وجد ذلك شيئاً عادياً منا.

القاعدة الرابعة والعشرون:

يجب أن يقلل العقاب من الحاجة لمزيد من العقاب فلو أنك تعاقب أطفالك خمس أو ست مرات في اليوم على نفس العادة السيئة، فإن هذا العقاب لا يحقق الغرض منه وعليك أن تجرب شيئاً آخر كأن تبحث عن سبب الإساءة أو تزيد من مقدار الحب الذي تغدقه على أبنائك بجميع مظاهره أو تتجاهل السلوك السيئ، فإن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الآباء هو تركيزهم على العقاب أكثر من تركيزهم على السلوك السيئ ذاته.

القاعدة الخامسة والعشرون:

العقاب بالعلم ممنوع حيث إن بعض المعلمين يعاقب تلاميذه بكتابة الدرس عشرين مرة أو يزيد.

القاعدة السادسة والعشرون:

العقاب بأداء عبادات أكثر أمر ممنوع كمن لا يصلي ابنه مثلاً فيأمره بأداء صلوات أكثر.

***

قواعد الإثابة

الإثابة أمر ملائم لفطرة الإنسان في اكتساب السلوك والثبات عليه حيث النفس مهيأة بالترغيب لفعل الحسن والابتعاد عن السيئ ولولا ذلك لما رغبّنَا ربنا سبحانه في الجنة والتي من أجلها يتسابق الناس في فعل الخيرات بل وفي التضحية بالنفس أحياناً في سبيل تلك الغاية والمثوبة.

والمكافأة ليست مؤثرة وفعالة فقط في زيادة السلوك الحسن للأطفال لكنها أيضاً تقلل بل وتحد من سلوكهم السيئ وتزيد من احترام الطفل نفسه.

وكثير منا - للأسف- ينتبه إلى تصرفات أبنائه السيئة ويحاسبهم عليها محاسبة سريعة ولا ينتبه لتصرفاتهم الحسنة فيشجعهم عليها ويمدحهم.

إن مدح السلوك الحسن أو الإثابة عليه ليسهم بشكل فعال في تأصيله وتدعيمه تمهيداً لتكراره والتعود عليه

نوعا الإثابة:



للإثابة نوعان هما:

أولاً: إيجابية: وتنقسم إلى:

١) **مادية** (المال-الحلوى-الطعام-اللعبة-القصة-زيادة مصروفه اليومي)

٢) **نشاطية** (التنزه-قيادة الفصل-

مشاهدة التلفاز-الفسح-اللعب).

٣) **اجتماعية**: وذلك في مثل:

- إظهار الاهتمام والانتباه في مثل: النظرة-الإيماءة بالرأس-التبسم.
- مظاهر الحب في مثل: العناق-التربيت-التقبيل-كلمة أحبك.
- الاستحسان في مثل: التصفيق-الشكر-وضع اسمه في لوحة الشرف-تخصيصه بالتحية-الاتصال به هاتفياً.



- الكلمة التشجيعية في مثل: برافو-بارك الله فيك-شاطر-جزاك الله خيراً-أحسنت.
- الثناء عليه أمام الآخرين من زملائه وأقاربه ومعلميه ليكون ذلك حافزاً له لبذل المزيد.

ثانيًا: سلبية: ومنها: رفع عقاب سابق.

معيار الإثابة:

١) يجب أن تكون المكافأة محبوبة ومرغوباً فيها من الطفل كي يبذل جهداً للوصول إليها.

٢) مراعاة طبيعة الطفل وما يلائمه فإن كان يحب الإثابة الاجتماعية مثلاً فتكون لها الأولوية.

مثال:

- استخدم النجوم أو النقاط اللاصقة كي تبين السلوك الذي تم تغييره بنجاح. ضع لوحة مدونًا عليها القواعد الأسرية المتفق عليها داخل الأسرة وما تتفق أنت وطفلك على تغييره. فمثلاً: «سوف أنظف أسناني بالفرشاة بعد الإفطار. سوف أتعامل بشكل جيد مع أختي. سوف أؤدي واجبي بعد المدرسة مباشرة. سوف أتناول العشاء بدون جلبة أو ضوضاء». ولكل قصة نجاح، أضف نجمة أو نقطة.

- اتفق مع طفلك على مكافأة بشكل مسبق إذا هو حقق عدداً معيناً من النجوم والنقاط. فخمس نجوم يمكن أن تعني علبة حلوى أو خروجاً للتنزه في الحدائق أو الذهاب إلى المكتبة أو ساعة إضافية في مشاهدة التلفاز. وبزيادة عدد النجوم والنقاط تزداد المكافآت. فمثلاً عندما تصل إلى خمسين امنحه تصريحاً بالذهاب إلى الحديقة أو اشتر له قصة يحبها أو زد في مصروفه.

والنجوم والنقاط تؤتي أفضل نتائجها مع المشكلات قصيرة الأجل. وقم بتغيير اللوحة عندما يصبح السلوك الجديد عادة لدى طفلك وإلا شعر بالملل. فإذا فقد الطفل الاهتمام فأرجئ استخدامه لوقت قصير ثم استخدمه عندما تصبح الأمور مهيأة لاستخدامه. لكن لا تستخف بتأثير المكافآت حتى على المدى القصير.

وإن للإثابة قواعد نذكر منها:

القاعدة الأولى:

الإثابة تختلف بحسب الطفل وبحسب الفعل الذي فعله، فكل طفل له احتياجاته الخاصة وله مدخله الخاص به، وكل عمل له جائزته والطريقة المناسبة في الإثابة عليه، ولا يصح تربوياً أن يحسن الأبناء جميعاً فيثابون بدرجة واحدة وبجائزة موحدة.

القاعدة الثانية:

لا تعد بجائزة ولا تعطيها للطفل، فهذا يفقده الثقة فيك ويشجعه على الكذب كما أنه يحبطه ولا يدفعه لبذل المزيد من الجهد فيما بعد.

فإذا وعدت الطفل بشيء في مقابل سلوك جيد أو مساعدته في البيت يجب أن تكون على استعداد للوفاء بوعدك مهما كلفك ذلك. فالأطفال يتعلمون من خلال ذلك الثقة فيك وبأنهم سيحصلون على المكافآت التي تعدهم بها إذا هم قاموا بما هو مطلوب منهم. أما إذا خيبت ظنهم فلن يكون هناك ما يضمن لك أن يتصرفوا بنفس الطريقة



التي تصرفوا بها مرة أخرى. فإذا لم تكن المكافآت واضحة ومتاحة فإنه لن يكون لديهم حافز حقيقي يشجعهم على القيام بما ترغب فيه.

القاعدة الثالثة:

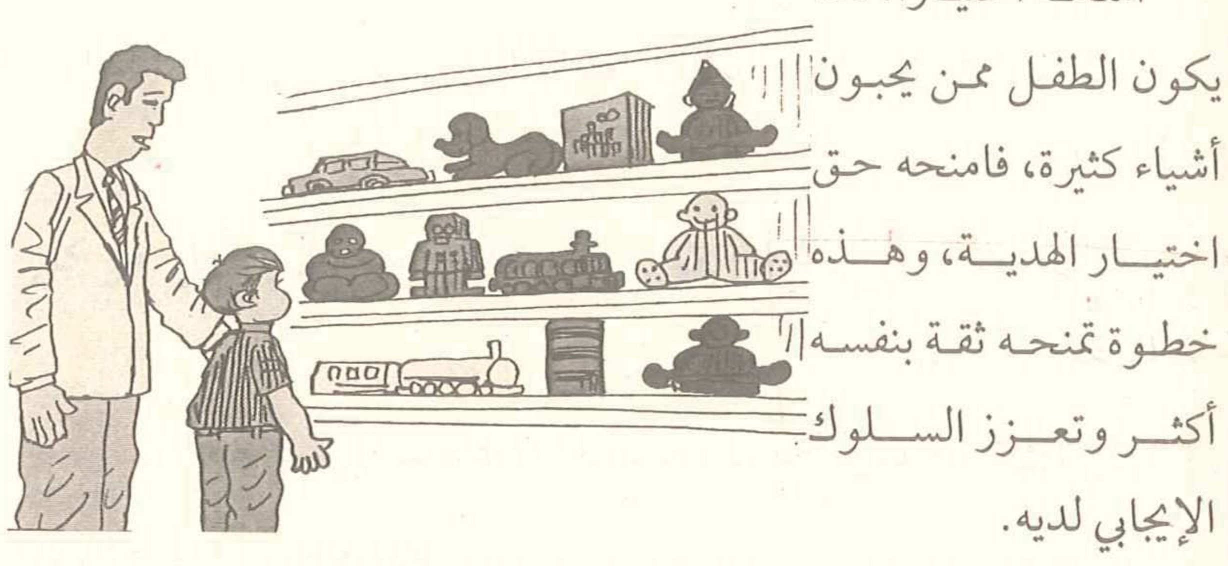
القول بأن الأبناء سيصيرون ماديين نفعيين فيما بعد بسبب إثابتنا لهم قول غير صحيح إلا أن يشترط الأبناء للإحسان والإجادة أن يحصلوا على جائزة، ويكون ذلك بشكل دائم فهذه علامة خطر ينبغي معها توجيه الأبناء.

القاعدة الرابعة:

عدم اليأس عند إثابة الطفل بعد توجيهه، فالطفل طفل بتجاوزاته ونسيانه وكثرة أخطائه وعدم اتزانه ولذلك فالصبر عليه أمر لا بد منه.

القاعدة الخامسة:

امنحه اختياراً: قد يكون الطفل ممن يحبون أشياء كثيرة، فامنحه حق اختيار الهدية، وهذه خطوة تمنحه ثقة بنفسه أكثر وتعزز السلوك الإيجابي لديه.



القاعدة السادسة:

يجب تنفيذ المكافأة تنفيذاً عاجلاً دون تردد ولا تأخير، وذلك مباشرة بعد إظهار السلوك المرغوب، فالتعجيل بإعطاء المكافأة هو مطلب شائع في السلوك الإنساني سواء للكبار أو للصغار.

القاعدة السابعة:

على المربين الامتناع عن إعطاء المكافأة لسلوك مشروط من قبل الطفل (أي يشترط الطفل إعطاءه المكافأة قبل تنفيذ السلوك المطلوب منه) فالمكافأة يجب أن تأتي بعد تنفيذ السلوك المطلوب وليس قبله.

***

الوسائل الفعالة

هي وسائل مبتكرة من أجل الارتقاء بسلوك الطفل والحد من سلوكياته السيئة ولتخفيف الضغط عن كاهل الآباء والأمهات، وهي:

١) أجندته الجميلة

ما أجمل أن تشتري لابنك أجندة خاصة تكتب فيها أفعاله الجميلة إن كان صغيراً ثم يكتبها هو بنفسه إن كان يجيد الكتابة.

أحمد يحب إخوته الصغار ويلاعبهم.

نرمين تساعد أمها في إعداد الطعام.

عمرو يضع ملابسه في أماكنها.

منى تغسل الأطباق مع والدتها.

إبراهيم يخفض صوته عندما يتحدث.

وربما كان شيئاً جيداً أن تكتب عنواناً لكل صفحة في مثل: النظام-العطف-النظافة....

وتحتها تكتب كل سلوك يقوم به أو تطلب منه أن يسجل هو كل سلوك يقوم به.

وفي تلك الأجندة يمكنه أن يرسم نفسه وهو يفعل شيئاً جيداً.

أو يسجل الجائزة التي حصل عليها لعمل جيد قام به سواء كان في البيت أم غيره ويمكن لصق الصور الخاصة بكل تلك الذكريات في

صفحات الأجندة كما يمكن إشراك المعلم أو المدرب في تسجيل ما شاء في تلك الأجندة مع ملاحظة هامة وهي:

لا يتم التسجيل في الأجندة إلا لكل جميل وجيد من عمل الطفل فالسيئ له مكان آخر يختلف عن أجندته الجميلة حيث إن التركيز على كل ما هو إيجابي جميل سيزيد مع الوقت حتى يعم حياة الطفل.

ويمكن إطلاع الأقارب على تلك الأجندة ليروا أعمال الطفل الجميلة وذكرياته الطيبة.

كما يمكن إطلاعه عليها بين الحين والحين الآخر ليقف على ما أحسن فيه سابقاً خاصة عندما تكثر الشكوى منه فبالتالي نقارن الطفل بنفسه ولا نحتاج لمقارنته بغيره فنقع في محظور تربوي نحن في غنى عن أضراره النفسية بالغة الخطورة.

٢) الملصقات واللوحات والرسائل

أحياناً يصم الأطفال آذانهم عن حديث الكبار لكن إذا رأوا شيئاً مكتوباً فإن الرسالة غالباً ستصل إليهم وبشكل جديد وهادئ خاصة إذا لم تفتقر لعنصر الابتكار والتجديد.

فالطفل الذي يهمل في أداء واجباته المدرسية نعلق لوحة في حجرته مكتوب عليها:

أنا الواجب المدرسي وأحتاج منك أن تنتهي مني سريعاً لكي تخرج للعب.

ولوحة مكتوب عليها:

تعليق الملابس في أماكنها أمر ضروري يا فتى.

ورسالة يمكن أن ترسلها لابنك في ظرف يفتحه فيجد فيه [**بنيّ الحبيب نتيجة الشهر الماضي كانت غير مرضية وأنا في شوق لنتيجة أفضل هذا الشهر**].

والدك طارق

٣) الكارت الأصفر




وهو يشبه كارت حكم مباراة كرة القدم الذي يعطي به إنذاراً عندما يخطئ اللاعب بعد تحذيره الشفوي أو عندما يرتكب خطأ جسيماً لا يستوجب الطرد ولا يصح معه التحذير الشفوي.

ونحن ننصح الأمهات أو الآباء برفع هذا الكارت عندما يخطئ الطفل وقبلها نوضح له أن رفع الكارت خمس مرات (مثلاً) يستوجب العقاب ويحدد نوع العقاب ويجوز عدم التحديد لكن مع التأكيد بوجوب توقيع عقاب مع مراعاة عدم الاستعجال في رفع الكارت لكي لا يفقد فاعليته بحيث نتجاهل بعض السلوكيات وتتغافل عن البعض ونوجه وننصح وغير ذلك ثم يكون رفع الكارت هو الخاتمة.

٤) لوحة العلامات

وهي ورقة تحتوي على مجموعة من المربعات نقوم فيها بكتابة اسم الطفل (ورقة لكل طفل) ونعلقها في غرفته أو في مكان ظاهر على الحائط ونتفق مع الطفل على أن كل سلوك حسن يقوم به سوف نعطيه علامة (صح) وكل سلوك سيئ نعطيه علامة (×) وإذا ما وصل عدد العلامات الصحيحة إلى خمسة (أو عشرة مثلاً) فإنه يستحق جائزة وإذا ما وصل عدد العلامات الخطأ إلى خمسة (أو عشرة مثلاً) فإنه يستحق حرمانه من إحدى الميزات كالخروج للعب في هذا اليوم أو مشاهدة التليفزيون أو ما شابه ذلك. وننصح بالتغافل عن بعض السلوكيات السيئة أو الاكتفاء فيها بالتوجيه أو التحذير الشفهي لكي لا تفقد لوحة العلامات قيمتها مع مراعاة تجديدها كل فترة. وهذه اللوحة من أكثر الأساليب التي تساهم عندي في البيت في تقويم أبنائي فقد جربتها أنا وزوجتي مع أبنائنا وكان لها الأثر الفعال في مهمتنا التربوية.

٥) عقد اتفاقيات

فمع الطفل نجلس ويتفق كل منا (الأب أو الأم مع الطفل) على ما يريده كل واحد من الآخر وليكن في سلوك معين أو في عمل محدد كالنجاح أو التفوق مثلاً ثم نكتب ما اتفقنا عليه في بنود تشبه العقود المتعارف عليه في البيع أو الإيجار أو المشاركة أو غير ذلك وتتم بشكل واضح ثم يكون توقيع الطرفين على هذا العقد، فمثلاً:

يتعين على الطرف الأول (الأب):

١) توفير كتب خارجية إضافية.

٢) توفير مدرس في مادة كذا أو اشتراك في مجموعة مدرسية إضافية.

٣) السماح باللعب لمدة ساعة كل يوم.

٤) السماح بمشاهدة التليفزيون لمدة ساعة كل يوم.

٥) إعطاء جائزة (كذا) في نهاية العام الدراسي وعند تحقيق المستهدف.

٦) توفير الاسطوانات التعليمية في مادة (كذا) أو في جميع المواد.

٧) ويتعين على الطرف الثاني (الابن):

٨) النجاح بدرجة (كذا) في نهاية العام.

٩) استذكار الدروس لمدة لا تقل عن ساعتين في اليوم.

١٠) الاستماع إلى البرامج التعليمية اليومية بالتليفزيون.

١١) الانتهاء من الواجب المدرسي فور العودة من المدرسة مباشرة.

وفي حالة إخلال أحد الطرفين ببنود الاتفاق أو بعضها فإنه يفعل كذا أو يعاقب الابن بكذا.

ويمكن كتابة هذا العقد على جهاز الكمبيوتر وتعلق الورقة بعد طباعتها في مكان واضح بغرفة الطفل وتكون حكماً دائماً بين الطرفين.

***

هيئ للماء طريقاً

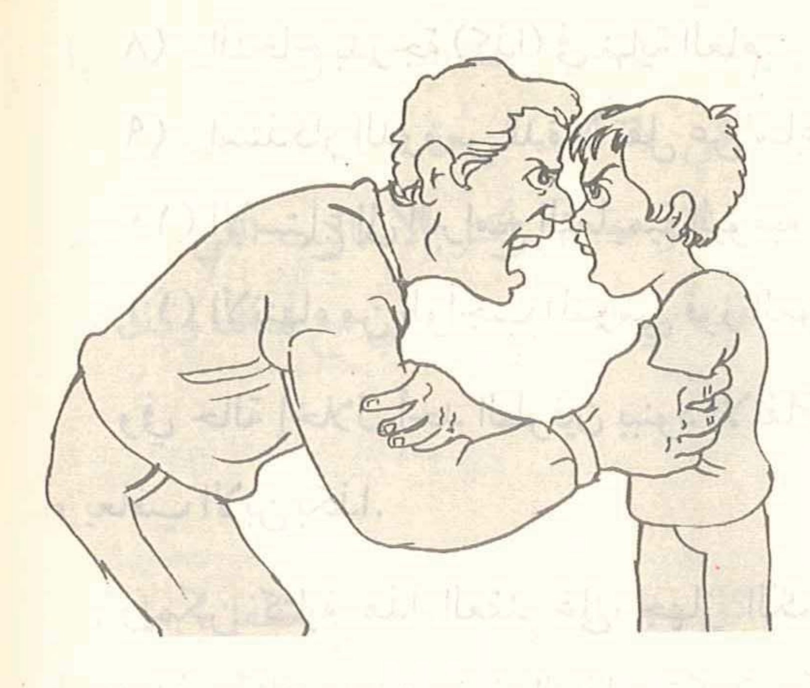
ينسى بعض الآباء أحياناً أنهم هم الكبار وأبناؤهم الصغار فقد تجد الكبير يقف نداً مع الصغير وكثيراً ما نسمع منهم:

الولد يرد عليَّ كلمة بكلمة.

البنت تناطحني وتجادلني.

الولد لا يسمع الكلام.

البنت تعاندني.



وينسى الأبوان هدوءهما واتزانهما إزاء عناد الأبناء معهما وربما وجدنا كثيراً من المشاكل الصغيرة قد تم تضخيمها بشكل سينمائي مؤثر لا مبرر له من قِبل الآباء والأمهات.

* * *

انظر -أخي المربي- إلى موقف هذا الطفل الذي دخل الحضانة مع أمه فنظر إلى رسوم الأطفال المعلقة فوق الحائط وسألها بنبرة عالية:

- من الذي رسم هذه الرسوم القبيحة؟

خجلت أمه من سؤاله وقالت له:

عيب أن تصف هذه الرسوم بالقباحة وهي جميلة جداً.

لكن المعلمة كانت حاضرة وفهمت بالضبط ماذا يعني الطفل بسؤاله، فقالت له:

ليس من الضروري أن ترسم في الحضانة رسوماً جميلة، باستطاعتك أن ترسم أيضاً رسوماً قبيحة إذا شعرت أنك تريد ذلك.

وارتسمت على وجه الطفل ابتسامة كبيرة لأنه حصل على الإجابة التي يريدها من وراء سؤاله، فهو يريد أن يعلم: هل يضرب الطفل الّذي لا يرسم بشكل جيد؟ واطمأنت نفسه بعد إجابة المدرسة.

ثم صار في أرجاء الحضانة وعندما رأى لعبة مكسورة سأل أمه: من كسر هذه اللعبة؟

أجابت الأم: لا تقل: من الذي كسر هذه اللعبة؟ فأنت لا تعرف أي طفل في هذه الحضانة كسر اللعبة، وإنما سل عما سيحدث له لو أنه كسر لعبة بالمصادفة في هذه الحضانة، أما المشرفة التربوية فقالت له:

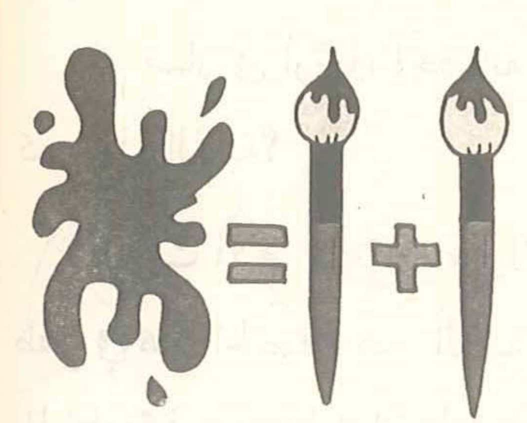
- الألعاب هنا للعب، وهي معرضة أحياناً للكسر.

وبدا الارتياح واضحاً على وجه الطفل لأنه حصل على الإجابة التي تمنحه المعلومات الضرورية التي يريدها لتطمئن نفسه خلال الفترة التي سيقضيها في الحضانة، ومن المؤكد أنه قال لنفسه: (**تبدو هذه المرأة طيبة، لا تتضايق بسرعة ولا تعاقب الأطفال هنا إذا رسموا رسوماً قبيحة أو عندما**

يكسرون لعبة من الألعاب المتواجدة، فلماذا الخوف إذن؟ المكان آمن بالنسبة لي) ثم لوح الطفل إلى أمه، ودخل مع المعلمة ليبدأ أول يوم من أيامه في الحضانة.

وكثير من هذه المشكلات يصحبها مبالغة من الآباء والأمهات، فالطفل لا زال صغيراً وقد أثرت فيه بعض العوامل معظمها من البيت أو من وسائل الإعلام أو من البيئة التي يعيش فيها، ولكن في النهاية يكون الأبوان هما المسئولين عن ذلك بالدرجة الأولى.

قصة سعاد والحبر الأسود



سعاد فتاة في التاسعة من عمرها أرادت أن تخط بالحبر الأسود ملصقاً تساهم به كعمل إضافي في الفصل وتحصل مقابله على درجات دراسية، لذلك ذهبت إلى والدها لتطلب منه استخدام ذلك الحبر وكان في إمكان الأب أن يرفض طلب ابنته إذ قد ينتج عن استخدامها للحبر الأسود انسكابه على أرض الغرفة المغطاة بالسجاد فيملؤها بقعاً من الصعب إزالتها فيما بعد، لكنه فكر بأنه إذا فعل ذلك فإن ابنته ستثور وتغضب وسيدور نقاش حاد بينها وبينه لتحصل على ما تريد، لذلك قرر أن يشرح لها سبب رفضه حتى تنفذه وهي مقتنعة.

قال الأب لابنته: أليس من الأفضل لك أن تستخدمي أصباغك الملونة؟ إذا انسكب الحبر الأسود على الأرض فإنه سيوسخ السجاد ومن الصعب تنظيفه.

ردت سعاد: لكنى أريد خطوطاً جميلة وواضحة والحبر الأسود سيساعدني على القيام بها، أرجوك يا أبي أعطني إياه.

أجاب الأب بهدوء: لكن من الممكن أيضاً أن تفسدي الملصق كله إذا لم تحسني استخدامه خصوصاً إذا انسكب قليلاً منه على الورق وستضطرين عندئذ إلى إعادة العمل كله.

لكن الابنة ألحت قائلة: لا سآخذ حذري ولن أفعل ذلك.

وافق الأب قائلاً: خذي الحبر والقلم من مكتبي وسأجلس هنا أراقبك وأنت تعملين على أوراق مسودة أولاً، فقط خذي حذرك.

وهنا تراجعت سعاد عن قرارها بعد أن خشيت أن يضيع الكثير من وقتها في التجربة على الأوراق، كما أنها فكرت بأنها قد تفسد الملصق نفسه فتضطر إلى إعادة تصميمه وكتابته مرة أخرى فقالت لأبيها: أعتقد أنك على حق يا والدي عندما قلت لي: إنني قد أوسخ السجاد بالحبر الأسود. أعتقد أن من الأفضل لي أن استخدم الأقلام الملونة التي اشتريتها لي الأسبوع الماضي.

نلاحظ في هذا المثال أن والد سعاد لم ينتقدها بطريقة تستفزها بأن يقول لها:

مثلاً: أنا أعرفك سوف تنسين الحبر مفتوحاً كعادتك فينسكب.

أو إنك مهملة لذلك قد ينسكب الحبر على السجاد فيفسده، لكنه اختار طريقة انتقاد بناءة لا تجرح شعورها إذ قال لها:

لكن من الممكن أيضاً أن تفسدي الملصق كله إذا لم تحسني استخدامه خصوصاً إذا انسكب قليلاً من الحبر على الورقة وستضطرين عندئذ إلى إعادة العمل كله.

أي أنه جعل ابنته تنفر بنفسها من استخدام الحبر الأسود لأنه قد يفسد عملها كله، وجعلها ذلك الإحساس تفكر في الرجوع عن رأيها دون أي ضغط من والدها، واختارت بنفسها الطريقة الأسلم وذهبت لاستخدام الأصباغ الملونة.

ومن هنا يتضح لنا أن الطفل لا يريد من والديه التقليل من شأنه وإنما يريد منهما احترامه؛ لأن ذلك يجعله واثقاً من نفسه، وعلينا كآباء أن ندعم هذه الثقة في نفوس أبنائنا لأنها الأساس في بناء شخصياتهم السوية، والانتقاد الإيجابي هو خير وسيلة لبناء هذه الثقة في نفوسهم وأساليبه عديدة نستطيع أن نتعلمها بالتمرين والصبر.

والسؤال الآن: لماذا نصطدم مع أبنائنا؟ ولماذا لا نوجد مساحة للحوار أو الحل بعيداً عن المناطحة؟ ألا يمكن أن نبسط المشكلة ونضع الحلول الكثيرة لها ولا نقف عند حد الشكوى فقط؟

فالقيادي نوفر له الجو الملائم لنعلمه فن القيادة ونعلمه أن القائد الناجح يتعب أكثر من الجنود أو العمال، ويظل يفكر في أمرهم ويقترح

المزيد لنجاح العمل، فمثلاً نضعه رئيسًا (كابتن) لفريق الكرة فيقوم بتنظيم الفريق وتوفير ما يحتاجون إليه أثناء المباراة ونطلب منهم طاعته.

ويمكن كذلك أن نشركه في فريق الكشافة ليكون قائداً فيفرغ طاقته فيما يفيد وينفع.

ويمكن أن نقول له: أنت اليوم رئيس البيت فانظر ماذا تصنع من طعام ونحن نساعدك وما هو برنامج اليوم، ونخبره أننا سنسمع له ونطيعه، وبهذا نكون قد استثمرنا طاقته وحبه للقيادة فيما ينفع ولم نحبطه ونعاقبه ونلقي عليه سيلاً من الاتهامات المزعومة، والبعض يشتكي من أن ابنه يريد امتلاك كل شيء ويريد السيطرة على من حوله وقد أصبح أنانياً أو عدوانيًا أو... أو...

ولكن الذي ينبغي أن نعرفه أن من حق الصغير أن يشعر بذاته وأن يشعر بأنه يمتلك شيئاً وليس هذا أنانية منه، فهو يتمنى أن يملك كل لعبة في محل اللعب، وبدلاً من زجره ووصفه بالطماع نقول له: «أنت تتمنى أن تحصل على كل اللعب، ولكن اختر لعبة الآن، وأخرى للمرة القادمة»، أو اتفق معه قبل الخروج «مهما رأينا فلك طلب واحد أو لعبة واحدة»، وبذلك تتجنب كثيرًا من المعارك، وتشعر الطفل بأنك تحترم رغبته وتشعر به.

إن الطفل المفعم بالطاقة والحيوية لا ينبغي قمعه أو التحكم فيه، لكن ينبغي تعليمه السلوكيات الملائمة في المواقف المختلفة. والطفل الخجول لا ينبغي أن ننتظر منه أن يقوم بمحادثة طويلة مباشرة مع شخص كبير، لكن يمكن أن نطلب منه أن يكون مهذباً. انظر إلى السمات الفريدة والمميزة

لأطفالك وساعدهم على الشعور بالفخر والاعتزاز بأنفسهم. فالاعتزاز بالنفس هو أحد أهم جوانب احترام النفس وحبها. والأطفال الذين يحبون أنفسهم ليسوا في حاجة كبيرة لأن يتصرفوا بطرق غير مقبولة.

فينبغي ألا نسرع بالحكم عليه وننسى طفولته وعقله الذي لم يكتمل نضجه بعد، وليس من الطبيعي أن نكبت الطفل ونحبطه، بل يجب تشجيعه وتوجيهه وعلاج ما به من قصور بالتصريح تارة وبالتلميح أخرى، **ونكون بذلك قد هيأنا للماء طريقاً ولم نسد عليه الطريق فيكون طوفاناً يفسد علينا حياتنا.**

قصة الشمس والريح

إننا بالحب نستطيع أن نأخذ ما نعجز عنه بالقوة والقهر، ولعل قصة الشمس والريح تؤكد لنا ذلك حيث تناقشت الشمس والريح ذات يوم حول أيهما أكثر قدرة على التحكم في العالم؟

قالت الريح بغرور: بالطبع أنا أكثر منك قدرة فأنا أستطيع اقتلاع الأشجار وعندما أشتد بقوة أحطم المدن، كما أنني أقذف السفن وأرسلها إلى وسط المحيطات.

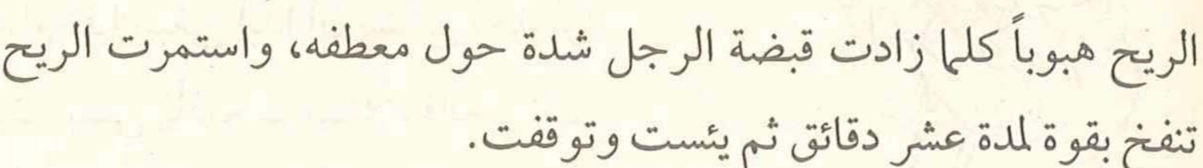
قالت الشمس بهدوء: ربما كنت كذلك.

ووجدتها الريح فرصة لتقول: «هل لديك شك في ذلك؟ سأثبت لك هذا الآن دعينا أيتها الشمس نقيم مباراة بيننا»

وافقت الشمس..ثم التفت الريح حولها وقالت:

«هل ترين ذلك العجوز الذي يسير في الطريق؟ هل لاحظت المعطف الذي عليه والقبعة التي على رأسه حسناً سأنفخ عليهما وسترين ماذا سيحدث!»

أخفت الشمس ابتسامتها وبدأت الريح تنفخ وشعر الرجل بهبوب العاصفة فقبض على قبعته وأخذها بين يديه وعندما اشتدت الريح لف معطفه حوله وأخذ يضغط عليه وكلما ازدادت الريح هبوباً كلما زادت قبضة الرجل شدة حول معطفه، واستمرت الريح تنفخ بقوة لمدة عشر دقائق ثم يئست وتوقفت.



قالت الشمس للريح: «هل انتهيت؟ لقد حان دوري الآن»

وبزغت الشمس من وراء الضباب، وبدأ الرجل العجوز يشعر بالدفء وعندما اشتدت حرارة الشمس، ازداد إحساسه بالحر وبعد خمس دقائق لم يستطيع أن يتحمل حرارتها. وخلع الرجل معطفه.

وفي النهاية نؤكد أننا نستطيع أن نتجنب العديد من المواجهات اليومية العنيفة مع أطفالنا لو أننا تعلمنا كيف نسيطر على مشاعرنا، ونتعامل مع المواقف التي تواجهنا يومياً معهم بهدوء وحكمة تستلزم منا تفكيراً مسبقاً لما نريد قوله لهم ونحن ننتقدهم لتقويم سلوكهم؛ لأننا نستطيع بذلك أن نحقق الهدف الذي نسعى إليه وهو تطوير شخصياتهم بأنفسهم وهم مقتنعون أن تحقيق ذلك لصالحهم.

لا تضرب الذبابة بمدفع!

إن المدفع لا يستخدم لقتل الذبابة التي يحركها قليل من الهواء يميناً ويساراً والتي تموت بقليل من الغازات والسوائل لكنه يستخدم لتحطيم المدرعات والدبابات والمباني والتحصينات.



ومن هنا نقول بأن العقاب على قدر الخطأ هو مبدأ معلوم في تربية الأولاد، بل هو مبدأ إنساني بشكل عام، فما ينبغي أبداً أن يسبني أحد أو يضربني فأذبحه مثلاً، فالعقاب يكون على قدر الخطأ فالذي يهمل في استذكار دروسه يختلف عقابه عن الذي يعصي أمه، وكلاهما يختلف عن الذي يضرب أشقاءه أو يؤذي الحيوانات، فكل خطأ له عقاب يناسبه ولا يتعداه. وكذلك العقاب يكون على حسب المخطئ إذ قد يخطئ الصغير للمرة الأولى في هذا الموضوع وقد تكفيه عند خطئه الإشارة فما يصح معه حينئذ الحرمان، وقد يكفيه الحرمان فلا يصح معه الهجر والخصام، وقد يردعه الخصام فلا يحتاج إلى الضرب والإيلام، تمامًا كما لو احتاج علاج الجرح لمضاد حيوي أو لمطهر فقط فلا يصح أبدًا علاجه بالجراحة أو الكي؛ فلو أخطأ الصغير فضربه الأب أو الأم فماذا يفعلان إن تعود الضرب ولم يجدا له وسيلة أخرى للعقاب؟!

تربية الدقيقة الواحدة

يقول الدكتور «سبنسر جونسون» في كتابه «أب الدقيقة الواحدة»: أسلوب الدقيقة الواحدة أسلوب حديث، ربما تشعر في بداية تطبيقه بأنه أسلوب غريب، ولكنك سترتاح بعد ذلك وتمارسه بشكل طبيعي، أخبر أبناءك أولاً بأنك لا تريد أن تحكمهم أو يحكموك، ولا تريد أن تكون ديكتاتورًا في البيت، أخبر أبناءك أنك ستتبع هذا الأسلوب معهم، وأنه ستكون هناك بداية جديدة لطريقة التأديب، دع أبناءك يشعرون بعدم الرضا عن تصرفهم الخاطئ، ولكن بالرضا عن أنفسهم، فإذا ما ارتكب ابنك خطأ ما انظر في عينيه مباشرة، وأعد عليه ما فعله باختصار دون أن يأخذ من وقتك إلا ثواني معدودات، أشعره بعدها أنك غاضب من فعله، ودعه يشعر بما تحس به في النصف الأول من الدقيقة، فلا يكفي أن يتلقى الابن أو الابنة التأنيب، ولكن المهم جدًا أن يشعروا بهذا التأنيب، دعه يشعر بأنك لا تحب ما فعل، وقد يرافق ذلك إحساس بالانزعاج منك، خذ نفسًا عميقًا، واشعر بهدوء نفسي، وانظر إلى وجهه في نصف الدقيقة الثاني، بطريقة تجعله يشعر أنك إلى جانبه ولست ضده، وأنك تحبه، ولكنك لا تحب سلوكه فقط، أخبره أنه ولد طيب، وأنك راض عنه، ولكنك لست راضيًا عن سلوكه، وأنك ما أنبته إلا لأنك تحبه، وهكذا في كل الأمور عامله بنفس الطريقة في سهولة ويسر.

إذن سيكون التهذيب مؤثراً خلال النصف الأول من الدقيقة عندما:

١) توبخ أطفالك بأسرع وقت ممكن.

٢) تقول لهم بالتحديد ماذا فعلوا.

٣) تخبر أطفالك بطريقة مؤكدة عن شعورك نحو ما قاموا به من تصرف.

٤) تسكت لعدة ثوان حتى تدعهم يشعرون بما تشعر به.

خلال النصف الآخر من الدقيقة:

٥) تهدأ وتلمس أطفالك بطريقة تشعرهم وتؤكد لهم أنك لا تقف ضدهم وإنما معهم.

٦) تذْكر لأطفالك أنك لا تقبل بسلوكهم الحالي لكنهم هم أشخاص طيبون.

٧) تقول لأطفالك: «أحبكم» وتحتضنهم.

٨) أخيراً..وخلال اليوم نفسه استمع إلى ما يريد أن يقوله أطفالك لك.

***

أنت السبب فلا تلومن إلا نفسك

اتصلت بي إحدى الأمهات لتخبرني عما يجب أن تفعله مع ابنها الذي أصبح لصاً، فلما سألتها عن تفاصيل ذلك أخبرتني أنها أدخلت ابنها مدرسة خاصة غير حكومية ولكنها لاحظت أنه يأتيها أحياناً بأشياء من بائع الحلوى والألعاب في المدرسة وهي تزيد عما يأخذه من نقود كل يوم، وبالبحث تبين أنه يسرقها من البائع دون علمه. وسألتها عما تعطيه له من مصروف فقالت: خمسون قرشاً!!

كما سألتها عما تصنعه لها من سندوتشات فأجابت بأنها من الجبن البيض واللانشون كل يوم. فقلت لها: إن المدرسة الخاصة التي دخلها بنها لا تناسبه من الناحية المادية، لأن أصدقاءه يأخذون كل يوم ما لا يقل عن خمسة جنيهات بينما يأخذ هو خمسين قرشاً وطعامهم هو البيفي والبرجر والكبد والبانيه والكباب والبفتيك والروزبيف وأنواع أخرى لم يسمع عنها ابنها. وهو بالطبع يرى ذلك أمامه ويشعر بالعجز عندما ينفق مصروفه الزهيد مقارنة بزملائه ويجد أقرانه يشترون ما يحتاجون إليه وتفيض معهم الأموال مما يضطره للسرقة من البائع لئلا يسخر منه أصدقاؤه. ونصحتها بأن المدرسة الخاصة لا تعني دفع مصروفات أول العام بالاستدانة أو التقسيط ولكنها حياة لطفلها مع أقران لابد أن يكون في مستواهم الاجتماعي أو قريباً من ذلك وإلا استهزءوا به وسخروا منه فعليها أن تحوله من مدرسته هذه وإلا أصبح لصاً محترفاً.

لا تعطه المفتاح:



إن بعض الآباء والأمهات يعطون لأبنائهم مفاتيح المشكلة والجريمة دون أن يشعروا، فتجد أحد الآباء يقول لابنه: لا تشاهد قناة كذا لأن بها أفلاماً غير لائقة، وبما أن الممنوع مرغوب فتجد الابن من باب حب الاستطلاع ينتظر خروج أبيه أو غيابه ليشاهد هذه القناة.. وقد كان من الممكن ألا يراها أو يسمع عنها لولا تنبيه الأب بذلك.

وتجد الأم تقول لابنها: اطرق الباب عندما تريد الدخول على أختك لأنها قد تكون عارية فتراها وهي على هذه الحالة.. وكان من الممكن الاكتفاء بأن تعلمه الاستئذان قبل الدخول على أحد دون تفصيل قد يعلق في ذهنه ويدفعه الفضول إلى التجريب والاستكشاف.

إن حالة إحباطية واحدة يتعرض لها الطفل أثناء طفولته قد تؤثر سلباً عليه طيلة حياته..والذين يشتكون مثلاً من انعدام الثقة بالنفس أغلبهم تعرضوا لحالات استهزاء وسخرية أو وصف بالفشل أثناء طفولتهم.. وكذلك الانطوائيون وشديدي الخجل.

إن إخوة يوسف على ما يبدو من سياق الآيات في القرآن الكريم كانوا مختلفين فيما بينهم في الطريقة التي يتخلصون بها من أخيهم يوسف عليه السلام، والمؤكد أنهم شعروا بالسعادة عندما أهدى إليهم أبوهم الحجة التي يأتون بها إليه فقال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ

غَافِلُونَ﴾[1] فجاءوا إليه زاعمين مقتل نبي الله يوسف عليه السلام رغم أنهم وضعوه في البئر ولم يقتلوه ولم يأكله الذئب، خاصة وأنه كما تذكر بعض التفاسير من أنهم أتوا بقميص يوسف عليه السلام غير ممزق فقال لهم: لقد كان الذئب رحيماً إذ أكل ابني ولم يأكل قميصه!!

فليذكر المربون دائماً ألا يعطوا لأبنائهم مفاتيح الجريمة كما تفعل الأفلام والمسلسلات اليوم، وكالبرامج التي تحكى تفاصيل الجرائم التي حدثت بدعوى تنبيه الناس وهي في الحقيقة تعطي المجرمين الثغرات ليتفادوها فيما بعد عند ارتكابهم الجريمة كما تعلِّم الصغار أصول الجريمة.

وما ذنبهم؟

وليعلم المربون أن قسوة آبائهم عليهم وهم صغار لا يمكن أبداً أن تكون مسوغاً لقسوتهم هم على أبنائهم، ومن الغريب أن نسمع من يقول: «لقد ضربنا حتى كان الدم يسيل منا ومع ذلك صرنا رجالاً» ومن كان أبواه يعلقانه كالبهيمة ويعذبانه وهو صغير على خطأ ارتكبه فهو يمارس مثل ذلك مع أبنائه، ومن كان يقذف به في حجرة مظلمة يأكل فيها ويعيش وحيداً منعزلاً لأيام طوال فهو أيضاً يمارس ذلك مع أبنائه، فـ ٨٥٪ ممن كانوا مضطهدين في طفولتهم يمارسون هذا الاضطهاد والعنف والقسوة مع أبنائهم.

ولهذا تبين الدراسات أن اضطرابات الأطفال تكون انعكاساً لأخطاء

(١) من الآية ١٣ من سورة يوسف.

أو اضطرابات عند البالغين أنفسهم. وقد جرت عادة المعالج النفسي أنه لا يحكم سلوك الطفل بمعزل عن سلوك المحيطين به. وربما لهذا السبب نجد أن البحوث تكشف عن تزايد في مشكلات الأطفال إذا ما كان الجو الأسري نفسه مفعماً بالمشاكل والصراعات، فيخرج جيل وراء جيل لا يسلم الواحد منهم من التشويه النفسي والافتقاد لإحدى الحاجات المهمة من حاجاته النفسية.

وإن الغالبية العظمى من مشكلات الأطفال تكتسب بسبب أخطاء في عملية التعلم نتيجة أخطاء بيئية، فالطفل الذي يحاكي ما يلاحظه في أبيه أو أمه من اندفاع وعدوان أو أصوات عالية وكلمات نابية لا يدري أنه بمحاكاته تلك يتعلم سلوكاً مرضياً أو شاذاً، وبالتالي فالمخطئ هو الأب أو الأم وليس الطفل.

إن هذا الذي يضرب أمه أو يقتلها مهما كان السبب هو أيضاً بسببها هي أي بسبب ضعف شخصيتها معه وهو صغير، واختيارها الطرق السهلة لا التوجيه والتصويب والتعليم، فعندما يخطئ كانت تقول له: «عندما يأتي أبوك سوف أخبره بما تفعل» وكان الأحرى بها أن تعلمه في الحال وتوجهه وتعاقبه إن احتاج الأمر، فلا يطبع في ذهنه ضعف شخصيتها لأن الذي يحاسبه ويعاقبه هو أبوه وليس أمه فيطيع أباه ويعصي أمه ويظل هكذا حتى يكبر. ومثله إذا منع عنه الوالد شيئاً وفي غيابه أعطته الأم له فهي أم ضعيفة الشخصية، وعندما تضعف بدنياً حال كبرها سوف يضربها ليأخذ مالها لأنها لم تبذل معه وهو صغير وما علمته شيئاً.

وهذه الأم التي تشتكي أن ابنها عدواني ويضرب إخوته وأصدقاءه ويحطم ألعابه قد نسيت أنها السبب في عدوانيته عندما فضلت عليه أخاه ومنعت عنه الحنان عندما ولد أخوه الصغير، وظلت تضربه بقسوة على أقل الأخطاء، وكثيرًا ما كانت تجلسه أمام التلفاز وحده ساعات طوال ليشاهد أفلام الكارتون مثل (توم وجيري) والقائمة على العدوان على الآخر.. ولهؤلاء جميعاً نقول:

أنتم السبب فلا تلومن إلا أنفسكم

***

التربية بالألوان

الألوان من العناصر المؤثرة في الاتصالات الإنسانية وهي عامل مهم في نشاطات الإنسان سلباً وإيجاباً. ولقد خلق الله الطبيعة بألوان جعلها مريحة لأعيننا ومناسبة لنا.



ولا نعجب من هذا العنوان (**التربية بالألوان**) إذ إنه من الأهمية بمكان أن نعرف ما للألوان من تأثير كبير على حواسنا والتي هي أول من يتأثر بالألوان، فالمفروض ألا يكون اختيار اللون عشوائياً ولكن طلاء الحوائط لكل غرفة لابد أن يكون مستهدفاً ومختاراً بعناية شديدة وكذا اختيار الملابس والمفروشات والستائر والوسائد ولون الأرضيات حيث يؤثر هذا في أبنائنا تأثيرًا كبيراً ومن ذلك ما يلي:

١) الحجرة المطلية باللون الأصفر أو المزودة بالإضاءة الصفراء ستزيد من توتر الطفل وانفعاله مع مرور الوقت، وقد تم طلاء أحد المباني في ولاية نيوجيرسي الأمريكية باللون الأصفر فتقدم سكان المبنى المقابل بعدة شكاوى يقولون فيها أن اللون تسبب في زيادة التوتر والصدمات النفسية والجسمانية لديهم.

٢) ثبت علمياً أن الإنسان الذي يعاني التعب والإرهاق والغثيان عليه أن يتجنب رؤية اللونين البني والأصفر فهما يزيدان الإحساس بالغثيان والرغبة في التقيؤ.

٣) اللونان الأصفر والأحمر معاً من الألوان الحارة التي تعطي الحيوية والطاقة وبالتالي كثرة الحركة، ويمكن الاستفادة من ذلك بدهان المنضدة التي يوضع عليها التلفاز أو فرشها بهذا اللون وكذلك الجدران المحيطة به حتى لا يدمن أبناؤنا مشاهدة التلفاز ساعات طويلة.

٤) اللون الأحمر الصافي يزيد من نشاط الإنسان بحوالي ١٠٪ تقريباً فطلاء المكان به يفيد في تنشيط الطفل الكسول والخمول.

٥) اللون الأحمر من الألوان المثيرة لغريزة الطعام والشراب وهذا ينفع مع الطفل الذي يرفض الطعام أو يرفض أنواعاً كثيرة منه، فمائدة باللون الأحمر أو مفرش الطعام باللون الأحمر يفتح الشهية لطلب المزيد من الطعام.

٦) دهان الغرفة باللون الأحمر أو تعليق اللوحات الحمراء بها يعطي إحساساً بالقوة والطاقة ولكنه في نفس الوقت يثير غضب الطفل وثورته كما أنه يسبب ارتفاعاً في ضغط الدم وكثيراً من المشاجرات بين الصغار، وقد تم تغيير لون الضوء الأحمر لأحد معامل التصوير الفوتوغرافي في فرنسا مما كان ينتج عنه مشاجرات يومية بين العمال وبعد تغييره لم تعد هناك مشاجرات.

٧) اللون الأسود يدعو للكآبة ويشعر بالثقل والمعاناة لامتصاصه الحرارة واختزانه لها حتى إن عمال أحد المصانع كان يشتكون من ثقل الصناديق السوداء التي كانوا يحملونها يومياً ولكن عندما قرر مدير المصنع تغيير اللون من الأسود إلى الأخضر الفاتح توقفت الشكاوى بالرغم من عدم تغيير وزن الصناديق؛ لذا علينا أن نجنب أبناءنا هذا اللون في المنزل قدر المستطاع فلا تكون حقيبتهم المدرسية سوداء ولا نكتب على سبورة سوداء؛ حيث إن الصغار كثيراً ما كانوا يشعرون بالكآبة وصعوبة الدرس حتى اكتشف أن المسبب الرئيسي في ذلك هو لون السبورة.

٨) اللون الأخضر هو لون الأشجار الهادئ وهو أحد الألوان الباردة ويساعد على زيادة الصبر والتحمل حيث ترى من يعيشون في المناطق الريفية أكثر هدوءاً وتحملاً ويتمتعون بطباع هادئة؛ ولذلك يستخدم في طلاء المستشفيات ليساعد على هدوء المرضى والأطباء الذين يلبسون أيضاً ملابس باللون الأخضر في المستشفي وعند إجراء العمليات الجراحية خصوصاً، وقد اشتهر الكوبري الأسود في لندن بحوادث الانتحار التي تقع في نهر التايمز فتم تغيير لونه إلى الأخضر وبالفعل قلت بعده الحوادث كثيراً.

٩) يمكن الاستفادة من اللون الأزرق في انخفاض ضغط الدم وإبطاء ضربات القلب السريعة واستلهام الأفكار والتخيل الواسع حيث يعبر هذا اللون عن الهدوء، كما ينصح أن تكون الوسائد باللون الأزرق بدرجاته لأنه يساعد على عدم القلق والتوتر خاصة أثناء الليل كاللون الأخضر فيما سبق،

كما أنه يمنع عسر الهضم فيمكن وضع الطعام على مفرش أزرق لمن يعانى هذه المشكلة.

١٠) الطفل الذي لا يثق بنفسه كثيراً ولا يشعر بالولاء لمدرسته أو لبيته ولا يشعر بالأمان يفيده كثيراً أن يرى اللون الأزرق فيما حوله وهو الذي يعتبر رمزاً ملازماً للملكية والطبقات الاجتماعية العليا، كما تم اختياره في شعارات كثير من الشركات الكبيرة لتوصيل رسالتها الإعلانية وكذا استخدمه البحرية في الزي الرسمي للجنود ليوحي بالثقة والولاء.

١١) اللون الأبيض هو لون نقي صاف وأنيق ويرمز إلى البراءة والانسجام ويعطي في الديكورات الداخلية جواً من الراحة والهدوء وإحساساً باتساع المكان.

١٢) من المستحب أن نسأل أبناءنا عما لو كانت السماء باللون الأحمر أو كانت الأشجار باللون الأبيض أو الماء باللون الأصفر، وماذا لو كان لون الموز أزرق ولون التفاح أسود. ونخلص من هذا إلى أن الله سبحانه قد أبدع الكون وخلق الطبيعة بالألوان التي جعلها مريحة لأعيننا وأي استبدال فيما بينها سيترك في نفوسنا التأثير السيئ. فسبحان الله مبدع الكون[١].

***

---

(١) معظم مادة هذا الفصل مقتبسة بتصرف شديد من سلسلة محاضرات للدكتور فؤاد أسعد عطية خبير تكنولوجيا الاتصالات الإنسانية على قناة "سمارت" عام ٢٠٠٤م.

التجاهل

هذه الفكرة تأتي كنتيجة للتركيز على السلوكيات الجيدة وهي بمثابة وسيلة مهمة في التعامل مع الأطفال الذين يسعون باستمرار إلى جذب الانتباه أو يتصرفون بشكل سيئ. وتجاهل السلوكيات السيئة ليس معناه إتاحة الفرصة للطفل كي يفلت بجريمته من العقاب وإنما يعني ببساطة تجاهل السلوكيات الغريبة الموضوعة من أجل إثارتك ومضايقتك.



هذا قد يبدو متعارضاً مع الطرق والأساليب التأديبية السليمة إذ يتراءى لنا وكأنه يتيح الفرصة للسلوكيات غير المقبولة أن تستمر. لكن يحاول الأطفال في معظم الأوقات جذب انتباهك بالطريقة الوحيدة التي يعرفون أنها مضمونة في إثارتك. وعندما تفشل في السيطرة على غضبك فإنك تظهر لهم أنك لن تحتمل أفعالهم. عندما تستخدم هذه الطريقة فإنه حتى أكثر الأطفال عناداً سيستسلم في نهاية الأمر (لكن لا تتوقع أن يحدث ذلك على الفور). وحتى تكون هذه الطريقة فعالة من المهم أن تثبت عليها وتستمر في التظاهر بعدم الاهتمام بما يصدر عن طفلك. لكن إذا استسلمت

مرة واحدة فسوف تجد أن طفلك لديه القدرة على أن يستمر في أسلوبه هذا في المستقبل بمجرد أن يراك استسلمت مرة ومن الممكن أن تستسلم في المرات القادمة أيضاً.

واحتفظ بهدوئك وانخفاض صوتك ولا تظهر له أن هناك شيئاً لا يعجبك. ركز بدلاً من ذلك على الأشياء الإيجابية كترتيبه للفراش بشكل جيد هذا الصباح أو عطفه على شقيقه أو تحدث معه عن أحداثك اليومية.

الأفضل أن تلتفت إلى الأسلوب الإيجابي وسوف يدرك طفلك بسرعة أن الطريقة الوحيدة التي يفوز من خلالها باهتمامك وانتباهك هي التفاعل الإيجابي واتباع القواعد.

إن الأطفال في نهاية الأمر في حاجة لأن يتعلموا أن التصرف بطريقة سيئة لا يوصلهم إلى شيء، وأن أفضل الأوقات هي تلك التي يكونون فيها على انسجام تام مع آبائهم.

إن التوبيخ أو التعنيف أو مجادلة أطفالنا على وجه الخصوص قد يؤدي إلى نتائج عكسية في الوقت الذي لا يدركون هم ما الذي دفعهم للتصرف بهذا الشكل، ومن ثم فتجاهل سلوك الطفل أحياناً قد يكون أنسب الحلول وأفضلها. إن التجاهل يكون حلاً في بعض الأحيان فبدلاً من إظهار المزيد من الاهتمام تعامل معه بعلم النفس العكسي أو المضاد، وتذكر أن صغار الكلاب دائماً ما تكون متوترة ولا تدري ماذا تفعل فبدلاً من تأتي إلى صاحبها عندما يناديها تذهب في الاتجاه العكسي لكن إذا جلس متجاهلاً بلا تصفيق أو مداعبة أو مد اليد فساعتها تقترب منه وهي تتمسح.. لماذا؟

لأنه ليس مهتماً.

ومن الأساليب الأخرى في هذا الشأن توجيه اهتمام الطفل لشيء آخر في البيئة المحيطة به وذلك لصرفه عن عمل شيء غير مرغوب فيه.

ومن الأمثلة على أنواع السلوك التي يمكن علاجها بتجاهلها: البكاء المستمر والعزوف عن الطعام والشكاوى المرضية العابرة، وكذلك أنواع السلوك أو الاستجابات التي تصدر للمرة الأولى من الطفل كقضم الأظافر أو شد الشعر أو تحطيم شيء.

ولكي يكون التجاهل فعالاً ويؤدي إلى النتيجة المرجوة وهي الامتناع عن السلوك السلبي فلابد من توافر شروط منها:

١) الصبر والاستمرار في تطبيق طريقة التجاهل، فمن المعروف أن التجاهل -خاصة بعد أن يكون الطفل قد اعتاد الانتباه من الآباء فلم يجد منهما التجاهل- قد يزيد من السلوك السيئ عن ذي قبل لكي يضغط على الأبوين لكي يلبيا له ما يريد.

٢) عند تطبيق التجاهل يجب تجنب الاحتكاك البصري بالطفل، ويكون الالتفات بعيداً عنه حتى لا يرى تعبيرات وجه المربي.

٣) ابعد نفسك مكانياً أي لا تكن قريباً منه خلال ظهور السلوك الذي أدى إلى استخدامك التجاهل! إن مجرد القرب البدني يعتبر تدعيماً للسلوك غير المرغوب فيه، وغالباً ما سيتوقف الطفل عن صراخه مثلاً إذا كان متأكداً من أن أحداً لا يسمعه أو يراه.

٤) احتفظ بتعبيرات وجهك محايدة، فاختلاس النظر للطفل أو إظهار الغضب أو وقوفك أمامه لكي ينهي تصرفاته كلها تفسد من التجاهل المنظم، لأنها تكافئ الطفل بالانتباه لأخطائه.

٥) خلال فترة التجاهل ينبغي ألا تدخل في حوار أو جدل مع الطفل.

٦) يجب أن يكون التجاهل فورياً أي حالما يصدر السلوك غير المرغوب فيه.

٧) هناك اضطرابات سلوكية ومشكلات ترتبط بالطفل قد يكون تجاهلها خطراً، كالاعتداء على الأطفال الآخرين بالضرب والشتم وتدمير الملكية.

انتبه:

ينصح العلماء كقاعدة رئيسية من قواعد نجاح العلاج أن تتجاهل السلوك ولا تتجاهل الشخص، ويتطلب ذلك أن تدعم الطفل إيجابياً وبشتى الوسائل بما فيها إظهار الود والاهتمام والمشاركة في شيء إيجابي حالما يتوقف السلوك الخاطئ.

إن المقصود من التجاهل هو التخلي عن بعض الجوانب السيئة، لكن الاهتمام الإيجابي والرعاية وامتداح قدرات الطفل تعتبر من أقصر الطرق لتكوين طفولة ناجحة، كما أنها تقوي العلاقة بين الأبوين والطفولة مبكراً مما يجعل آثارها التالية لا تقدر من حيث الارتباط الوجداني الإيجابي بينهما.

***



فكر معنا

صوّب العبارة الخطأ فيما يلي:

١) الإفراط السلوكي هو السلوك المزعج المبالغ فيه مثل العدوانية والإفراط في تناول الطعام.

٢) المدح والإثابة يتبعهما سلوك سيئ.

٣) تحويل الفشل إلى همة ونشاط هو من مظاهر الإسعافات النفسية.

٤) العقاب من أصول العملية التربوية.

٥) ٨٥٪ ممن اضطهدوا وهم صغار يمارسون ذلك مع أبنائهم.

٦) يتنوع العقاب بحسب الخطأ والمخطئ.

٧) ضرب الطفل يصيبه بالاكتئاب.

٨) مكافأة الطفل تزيد من سلوكه الحسن لكن لا تحد من سلوكياته السيئة.

٩) الحجرة المطلية باللون الأصفر أو المزودة بالإضاءة الصفراء تزيد من توتر الطفل وانفعاله مع مرور الوقت

١٠) العقاب والضرب وجهان لعملة واحدة.

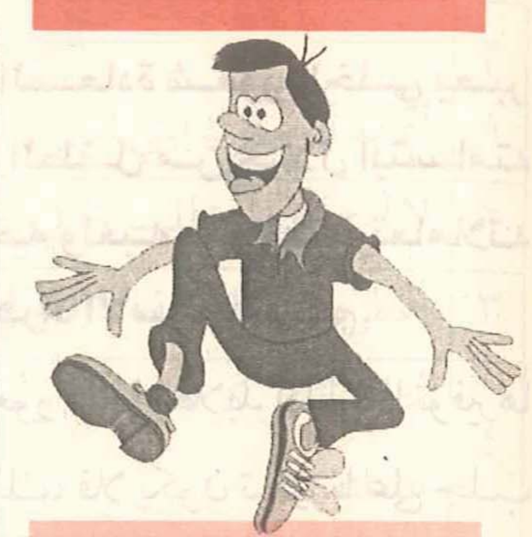
***



في الباب الرابع هذا تناولنا الأساليب المثلى من أجل تعديل سلوك الأبناء بدءاً من بيان بعض المفاهيم المغلوطة والتصرفات الخاطئة لبعض المربين مروراً بالتفريق بين التطرف السلوكي أو القصور السلوكي للطفل ثم الخطوات الواجب اتباعها عند تصنيف السلوك كي يتم تعديله وذلك ضمن خمس خطوات أساسية، وأوضحنا بعض المعايير التربوية المهمة من أجل التمييز بين ما هو مشكل فعلي وبين ما هو طبيعي في سلوك الطفل، وذكرنا بعض الأساليب الحديثة من أجل تعديل السلوك ومن ذلك أسلوب الإسعاف النفسي وتربية الدقيقة الواحدة والاستخدام التربوي للألوان وأسلوب التجاهل، وكذلك أوضحنا قواعد الثواب وقواعد العقاب وكيفية استخدامهما بشكل أمثل.

***

الباب الخامس



كيف تسعد أبناءك؟

- تمهيد
- استبانة
- احترم مشاعره
- ابتسم له
- لاعبه
- اغرس فيه الثقة
- أحببه
- لا تحطم إنجازاته
- عامله رجلاً وحاسبه طفلاً
- لا تكن نائبًا عنه
- تجنب إهانته
- دعه لعالمه الخاص
- أصغ إليه
- تواصل معه
- أطلق العصفور من قفصه
- فكر معنا
- الخلاصة



السعادة شعور داخلي يعبر عنه الطفل من خلال ابتسامته وفرحه ولعبه ومواقفه وتعاملاته مع أفراد الأسرة وغيرهم.

وعندما نتحدث عن السعادة أنها شعور داخلي فلابد إذا أردنا توفيرها لأبنائنا أن نركز على الأشياء الداخلية كذلك، فلا يكون تركيزنا على جلب اللعب والهدايا والملابس والأطعمة والأشربة حيث إن أفخم أنواع هذه الأشياء لا توفر لأبنائنا السعادة الحقيقية بقدر ما توفرها لهم المقومات التي سنتحدث عنها بعد قليل.

ولذلك يصبح من غير اللائق تربوياً بل وإنسانياً أن يرد الآباء على تساؤل عن الوقت الذي يقضيه مع ابنه بقوله: أنا أحضرت له ألعاباً كثيرة وعنده الكمبيوتر والبلاي ستيشن يلعب كيفما شاء ويشاهد التلفاز وقتما شاء، فهو لا يدري بهذا أنه قد وكل هذه الأشياء في تربية الطفل نيابة عنه، وهو أمر جد خطير وأقل ضرره هو حرمان الأبناء من السعادة الحقيقية عكس ما يعتقد الآباء تماماً، ويتأكد هذا إن علمنا أن إسعاد الأبناء يكون من خلال رؤيتهم هم وليس من رؤيتنا نحن، وفي الفصول التالية سنورد مقومات السعادة الحقيقية للطفل.

استبانة
(هل حقًا تسعد أبناءك؟)

م	البيان	نعم	أحياناً	لا
١	أعتقد أن سلوك ابني السيئ يقلل من رصيد حبي له.			
٢	لا أرى ضرورة للمبالغة في احترام مشاعر الطفل.			
٣	أعطي لابني الحرية الكاملة في كل شيء فهذا حقه.			
٤	أعامل ابني كرجل بالغ وأحاسبه عندما يخطئ كما عاملته.			
٥	اعتقد أن الأطفال في حاجة لمن يصغي إليهم كحاجتهم لمن ينفق عليهم.			
٦	ألتمس العذر لابني عندما يغضب ولو شتمني.			
٧	أرى ضرورة منع الطفل من البكاء تعاطفاً معه.			
٨	أعتقد أن ابتسامتي الدائمة لطفلي لا تفيد في العملية التربوية.			
٩	لا أتحرج من اللعب مع أبنائي ولو بركوبهم فوق ظهري.			
١٠	أقول لابني أحبك في اليوم أكثر من مرة.			
١١	لا يهمني إن كان ابني يسعد بوجودي معه أم لا فهو طفل لا يفهم شيئاً.			

احترم مشاعره

إن التعامل السيئ مع مشاعر الطفل هو من الأخطاء الفادحة التي يرتكبها بعض المربين، ولعل السبب الرئيسي في ذلك يعود إلى أن المربين أنفسهم لم يعلمهم آباؤهم أن يفعلوا ذلك، ولعلهم يعتقدون أن الطفل ليس بكائن حي له أحاسيس ومشاعر.

والمعلوم أن الطفل منذ بداية السنة الثانية من عمره تبدأ حاجته إلى التقدير والاحترام وأن يشعر بأن له مكاناً في الأسرة وليس مجرد شيء في البيت، وإذا لم تشبع هذه الحاجة لديه فقد يلجأ إلى سلوكيات مزعجة ليثير اهتمام الوالدين ولسان حاله يقول: لابد أن تشعروا بأن لي قيمة وبأني شخص مستقل.. قد نراه يعاند أو يتناسى أو يتمارض أو لا ينفذ أمراً أو يصرخ أو يأكل قليلاً، وما هذه بأمراض بل هي أعراض لحاجة غير مشبعة عنده وهي حاجته بأن يشعر بأنه مقدر ومحترم في البيت.

مظاهر احترام المشاعر

فالنصح والتوجيه يكون للطفل على انفراد وإن أخطأ أمام الناس حيث يمكن الانفراد به في ذلك الوقت بعيداً عن الحضور أو الهمس في أذنه دون إسماع أحد.

ولا يكون الخطأ مسوغاً لجرح المشاعر أو الإهانة، فالعقاب من قواعده ألا يمس المشاعر كمن يعاقب الصغير بإيقافه أمام زملائه أو أشقائه ويظل يوبخه بما استطاع من ألفاظ ساخراً منه ومستهزئاً به، فهذه الأساليب لن تردع الصغير عن

ارتكاب الخطأ بعد ذلك بل قد تجرئه عليه انتقاماً من عقابه بهذه الطريقة.

لقد كان أحد الآباء يصلح سيارته ويعتني بها بينما ابنه يحدثه والأب لا يلتفت إليه فقال له ابنه: كم تساوي هذه السيارة يا أبي؟ فقال له: كثير وعندما نعتني بها تساوي أكثر. فقال له الابن: أما أنا فلا أساوي شيئاً وإلا لكان اهتمامك بي كاهتمامك بالسيارة!

ومن المهم تخصيص وقت للطفل، فاترك أخي المربي ما في يدك عندما يكلمك، توقف عن إصلاح السيارة - توقف عن قراءة الجريدة - توقف عن مشاهدة التلفاز..... وإلا فأين سيتعلم الطفل أدب الحوار وكيف سيعلم أنه محترم في البيت وله قيمة؟!

التجاوب مع مشاعر الطفل:

إن الطفل لا يستطيع أن يخفي ما يشعر به، **وأكثر ما يؤلمه أن نستخف بمشاعره أو نتجاهلها**، فهو يريد من والديه أن يتفهما شعوره عندما يكون غاضباً أو غيوراً أو حزيناً أو خائفاً، وعندما لا يجد ذلك التجاوب فإنه يثور عليهما وربما لا يدرك الوالدان سبب ثورته إلا أن الآباء بشكل عام في إمكانهم أن يتعلموا كيف يفهمون تصرفات



أبنائهم وكيف يتعاملون معهم، وبالصبر والتمرين سيمتلكون هذه المقدرة.

هذه طفلة في التاسعة من عمرها جاءت من المدرسة غاضبة تشتكى لوالدتها سوء معاملة المعلمة لها وقائلة لأمها:

أكره معلمتي لقد صرخت في وجهي لأني نسيت كتاب الحساب.

سألتها أمها وهي تحاول احتواء غضبها: وهل ضايقك تصرفها كثيراً؟

أجابت الابنة: نعم لقد نسى أحد زملائي كتابه ولم تصرخ في وجهه مثلما فعلت معي.

ردت الأم: وأنت شعرت أن تصرفها غير عادل.. أليس كذلك؟!

أجابت الابنة على الفور: بالطبع كنت أتمنى لو بإمكاني أن انتقم منها.

أجابت الأم محاولة امتصاص غضب ابنتها: كلامك يدل على أنك غاضبة جداً منها.

وفي هذه اللحظة بدأ غضب البنت يخف حدة وما هي إلا لحظات حتى خرجت لتلعب مع شقيقها بالدراجة بعد أن نسيت غضبها من معلمتها.

إذن كانت الطفلة تريد من والدتها أن تفهمها وتعترف بما شعرت به نحو معلمتها، وقد منحتها أمها ما أرادت ولم تحاضرها وإنما احتوت غضبها بمهارة فائقة يستطيع أي أب أو أم أن يكتسباها بالصبر والمران.

إن ردة الفعل لكثير من الأمهات في مثل هذا الموقف ستكون إما بلوم الطفلة وتعنيفها على إهمالها وستقول لها بأنها تستحق العقاب، أو أنها ستقف إلى جانب ابنتها ضد المعلمة أو أنها لا تبدي اهتماماً لما حدث لابنتها.

ولكن الأم هنا وصلت إلى النتيجة الإيجابية وأفرغت شحنة الغضب المتراكمة عند ابنتها أثناء حديثها معها.

الإصغاء وإعادة المشاعر:

يؤكد العالم الأمريكي النفساني «فيتزوف ديدسون» في كتابه: [كيف تكون حازماً بالحب؟]: إن هناك طريقة حديثة ذات تأثير فعال في امتصاص ضيق الطفل أو غضبه تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هي:

١) إصغاؤك باهتمام لما يقوله ابنك.

٢) محاولتك تشكيل ما يريد أن يعبر عنه في ذهنك.

٣) إعادتك لمشاعره أمامه من خلال تعبيرك الخاص بك.

عندئذ سيدرك طفلك أنك فهمت مشاعره لأنه سيسمعها مرة أخرى صادرة منك وسيساعده ذلك على استعادة هدوئه النفسي ونظرته الموضوعية لما أثار ضيقه.

لننظر معاً إلى موقف طفلة في العاشرة من عمرها كانت خائفة من امتحان الرياضيات الذي ستخوضه في اليوم التالي، وتحدثت مع والدتها عن مشاعر الضيق والقلق التي تشعر بها وكان هذا الحوار:

الطفلة: أمي، هل أستطيع أن أتحدث معك عن شيء يضايقني؟

الأم: طبعاً هيا أخبريني ماذا يضايقك؟

الطفلة: عندي غداً اختبار في الرياضيات وأنا خائفة منه جداً.. أخاف أن أرسب في هذه المادة.

الأم: ما هذا التفكير السخيف يا ابنتي لقد كانت درجاتك جيدة دائماً في مادة الرياضيات، وكثيراً ما دخلت امتحان الرياضيات من قبل.. أليس هذا صحيحاً؟

الطفلة: لكن يا أمي....

الأم: ولكن ماذا.. دعي هذه الأفكار السلبية ولا تتصوري أن هذه الأشياء السيئة ستقع لك وفكري بإيجابية وادرسي جيداً وستنجحين.

الطفلة: نعم يا أمي سأحاول.

وانتهي الحوار بعد أن يئست الطفلة من توصيل مشاعرها لأمها وبعد أن فشلت الأم في التجاوب مع مشاعر ابنتها.

إن الأم في هذا الحوار لم تنجح في امتصاص ضيق ابنتها والتجاوب مع مشاعرها ونظرت لكلامها بشكل عقلاني رغم أنه يتصل بالمشاعر والأحاسيس والعاطفة بشكل أكثر.

ولكن لما تعلمت الأم ذلك دار بينها وبين ابنتها نفس الحوار بعد فترة كما يلي:

الطفلة: أمي هل أستطيع أن أتحدث معك عن أمر يضايقني؟

الأم: طبعاً هيا أخبريني ماذا يضايقك؟

الطفلة: عندي غداً اختبار في الرياضيات وأنا خائفة منه جداً.. أخاف أن أرسب في هذه المادة.

الأم: هل يمكنك أن تخبريني أكثر لماذا أنت خائفة من الفشل هذه المرة في تلك المادة رغم أن درجاتك فيها كانت جيدة وكثيراً ما دخلت هذا الامتحان من قبل.

الطفلة: أعلم ذلك لكن الامتحان هذه المرة مختلف، فعلينا أن نحل المسائل بطرق جديدة عن ذي قبل وأنا لم أتدرب على ذلك، ولذا فأنا خائفة جداً.

الأم (وهي تعيد عبارات ابنتها بصياغة جديدة): هذا الامتحان يخيفك إذن لأنه مختلف عن الامتحانات السابقة حيث إن عليك حل المسائل بطريقة جديدة لم تتدربي عليها.

الطفلة (بحماس): هذا ما أشعر به بالضبط، لقد درست طريقة الحل الجديدة أربع مرات لكنى لم أفهمها.

الأم: خوفك أمر طبيعي لأنك درست الحل أربع مرات لكن لم تفهمي بعد.

الطفلة: هل يمكنك يا أمي أن تساعديني في حل هذه المسائل الصعبة فإنني لو فهمت المبادئ الأساسية حول كيفية حلها سأطمئن.

الأم: إذن ما يضايقك أنك لم تفهمي بعد المبادئ الرئيسية في حل هذه المسائل.. أليس كذلك؟

الطفلة: هذا ما يضايقني بالضبط.

الأم: وأنا يسعدني أن أساعدك.

لاحظنا إذن أن الأم كانت تقوم بإعادة مشاعر ابنتها لكي تشعرها أنها تشاركها مشاعرها، وتريد أن تستمع إلى المزيد منها عما يضايقها حول امتحانها القادم لتصل إلى حل عملي يساعدها بدل أن تقدم لها أفكاراً ونصائح وتأكيدات حول مقدرتها على التفوق دون أن تعلم ماذا يضايق ابنتها مثلما فعلت في المثال الأول.

لقد أخذت الأم هنا مشاعر الخوف لدى ابنتها بجدية، ولم تحاول أن تقلل من شأنها وإنما أعادتها لابنتها بعباراتها الخاصة.. الأمر الذي جعلها تدرك أن أمها فهمت سبب ضيقها وعندما عبرت هذه الابنة عن تلك المخاوف وحدث تجاوب وتعاون من أمها لكى تساعدها على فهم القواعد الجديدة الصعبة في مادة الرياضيات ارتاحت بذلك الابنة نفسياً وواصلت دراستها بروح متفائلة إيجابية راغبة في التفوق.

احترام مشاعر الغضب:

الطفل وهو غاضب قد يقول كلاماً شديداً مثل: أنا أكرهك..أنت أسوأ أب في الدنيا..أنا لا أحبك. ولذلك فتَحَمَّله أمر ضروري لك وله، وتهدئته تكون هدفك الأول، فلا عقاب ولا سخرية ولا تهديد ولا إهمال له أثناء غضبه مع عدم الوقوف كثيراً أمام ما قاله وهو غاضب، فهي مشاعر قد أخرجها وقت انفعاله وقد لا تكون إلا نتاج موقف فلا يقال له: (كيف تجرؤ على ذلك؟)، (لا تتحدث معي بتلك اللهجة مرة أخرى)، (احذر أن تغضب مني مرة ثانية)، وذلك لأن إثارة موضوع غضب الطفل وليس الحزن أو الأذى الذي كان سبباً له يدفع الطفل أحياناً إلى التمادي في غضبه.

وتجد الطفل يقول لأخته: «أنا أكرهك» فيستنكر عليه الأب ذلك قائلاً: أنت بالتأكيد لا تعني ما تقول..أنت تعلم أنك تحب أختك الصغيرة، أو يستنكر عليه ذلك الشعور فيقول: لست أنت بالتأكيد الذي تكره أختك وإنما هو الشيطان بداخلك.

أو يهدده فيقول: إن قلت ذلك مرة ثانية سأعاقبك فإن الأطفال الطيبين يجب ألا يكرهوا أحداً.

ولكن لو خاطبنا الطفل بمثل: نعم يبدو أن أختك ضايقتك كثيراً اليوم. ومن المؤكد أنك لا تريدها أن تفعل ذلك مرة ثانية..أنا سوف أحاول معها لتكون أكثر لطفاً معك ولكنك تعلم أنها صغيرة وبالتالي فإن أخطاءها كثيرة وهي بالتأكيد لا تتعمد إيذاءك. وهكذا نتعامل مع مشاعر أبنائنا السلبية بلا سخرية أو استنكار أو تهديد.

رحلة علي:

عاد علي من المدرسة واضح على ملامحه لأن المعلمة ألغت رحلة كان متشوقاً إليها بسبب نزول المطر.

قالت له أمه (وهي تحاول اتباع الأسلوب الجديد): تبدو حزينًا لأن أملك قد خاب بسبب إلغاء معلمتك للرحلة.

هز عليّ رأسه موافقاً.

قالت الأم: كنت راغباً جداً في هذه الرحلة.

رد علي: نعم كنت أنتظرها طوال الأسبوع.

قالت الأم (وهي تتعمد وصف شعوره): لقد جهزت كل شيء لهذه الرحلة وفجأة نزل هذا المطر.

أجاب علي: هذا ما حدث وقد أغاظني هذا كثيراً.

سكت قليلاً ثم قال مستسلماً للواقع:

لكني لماذا أتضايق، هناك أيام أخرى لرحلات قادمة.

إذن كان علي غاضباً عندما جاء من المدرسة وينوي إثارة غضب من حوله في البيت لأنه وسط مشاعر ضيقه لا يريد أن يصغي إلى أحد، ولا يريد أمه أن تنصحه أو تنتقده بأن تقول له أن انفعاله لا يتناسب مع تفاهة ما حدث له، كان كل ما يريده هو أن تفهم أمه ضيقه، دون أن تتجاهل الحدث الذي أثار عنده ذلك الضيق، على أن يفضفض هو بالقليل وتخمن أمه الباقي وتشاركه مشاعره ليرتاح وهذا ما فعلته هذه الأم.

التعاطف مع الطفل:



الأطفال الأصغر سناً بوجه خاص يريدون أن يشعروا أنهم مفهومون. تجنب أن تتهاون بالمشكلة. فهذا البالون الذي انفجر له

مكانة خاصة عند الطفل الصغير، وقولك إنك سوف تحضر له بالوناً جديداً لا يعد تصديقاً على شعوره بالخسارة. ما يعد تصديقاً على مشاعره هذه أن تقول عبارة مؤكدة مثل: «**أعرف مدى حبك لهذا البالون الأحمر. أنت حزين جداً لفقدك إياه**» هذا يؤكد له أنك تتفهم مشاعره، وقبل كل شيء أنك تهتم بأمره.

استمع إلى الكلمات التي يقولها طفلك عندما يتحدث عن نفسه، وبلطف أعد تركيب التعبيرات السلبية التي يعبر بها عن نفسه، وامنحه مفردات جديدة إيجابية لوصف تصرفاته، ولا تناقشه بل علمه.

مثال على ذلك حديث الطفلة ليلى مع والدتها..

ليلى: إنني أتحدث كثيراً وأكره نفسي بسبب ذلك.

أم ليلى: لا، بل إنك صاحبة وجهة نظر وعفوية.

ليلى: وما معنى ذلك ؟

أم ليلى: صاحبة وجهة نظر تعني أن لديك رأياً في كل ما يدور حولك، وعفوية تعني أنك تتصرفين بسرعة دون أن تفكري فيما تفعلين.

ليلى: نعم هذا صحيح.

إن عباراتنا هذه تشعر أطفالنا بأننا نصغي إليهم وندعوهم للإفصاح عما يضايقهم، وقد نبدو أننا أكثر تجاوباً معهم عندما نعبر عما يضايقهم بجمل تعبر عن المعنى الذي يريدون التعبير عنه.

مثال على ذلك هذه النماذج الواقعية التي تحدث لأكثر الآباء، إذ قد

يأتي طفل إلى والده ليشتكي أن صديقه قد استهزأ بنظارته الجديدة، إن الإجابة المناسبة لهذه الشكوى أن يقول الأب لابنه:

- **لابد أنك تضايقت مما فعل صديقك**. أي أنه شاركه شعوره.

وعندما تشتكي ابنة لأمها أن صديقتها دعت جميع صديقاتها إلا هي، عندئذ على الأم أن ترد على ابنتها معبرة عن اعترافها بشعورها قائلة:

- **اعتقد أنك شعرت بخيبة أمل أو أنك غاضبة لأنها لم تدعك مع بقية الصديقات**.

إذن أبناؤنا يريدون منا مشاركتهم أحاسيسهم لا أن نقلل من شأن الأمور التي تضايقهم أو نلومهم على تقصيرهم

لقد استفادت والدة محمد من هذا الأسلوب التربوي عندما جلس ابنها البالغ من العمر عشر سنوات ليحل واجباته الدراسية في غرفة المعيشة.

كان قد مضى عليه ربع ساعة وهو يعض قلم الرصاص ويتأفف من صعوبة المسائل الحسابية التي يقوم بحلها، وفجأة رمى دفتر الواجبات على الأرض قائلاً بغضب:

- ما أقبح هذا الواجب الثقيل، طرح وجمع وضرب، لا أدري متى أنتهي منه؟

أجابت الأم بمهارة تدل على إدراكها لأسلوب فهم مشاعر الطفل

والاعتراف بها قائلة: إنك تتعب كثيراً في المدرسة ثم عليك أن تؤدي واجباتك الدراسية عندما تعود إلى البيت وهذا أمر صعب أعلم ذلك.

- نظر إليها ابنها في دهشة، لأنه كان يتوقع منها غير ذلك.

وشعر محمد بالارتياح لتجاوب أمه مع مشاعره وأمسك بالقلم ليكتب وهو يقول:

- سأحاول أن أركز أكثر في حل المسائل.

لاحظنا إذن:

أن حديث الأم مع ابنها الذي عكس إحساسها بما يشعر به وما يضايقه امتص غضبه وضيقه، وجعله يحاول أن يؤدي عمله بنفسه..لقد ساعدته والدته في دراسته دون أن تشاركه في حل مسألة حسابية واحدة، وبالطبع لا نتوقع أن تكون ردود الأفعال كلها متشابهة، لأن لكل طفل شخصيته وصفاته التي يتميز بها، لكننا علينا أن نفهم أبناءنا ونحاول أن نواصل تجاربنا بهذا الأسلوب لأن نتائجه ستكون إيجابية.

علِّم طفلك بعض الطرق المقبولة للتعبير عن الإحباط والاستياء، وعلِّمه كيفية التصرف في مشاعره بدون إيذاء الطرف الآخر وذلك في مثل قولك لابنتك:

«أنت تعلمين يا فاطمة أنه من المقبول أن تغضبي من أخيك لأنه استفزك ولكن ليس من المقبول أن تضربيه. ماذا أيضاً كان يمكنك أن تفعليه غير الضرب؟ دعينا نفكر في أشياء أخرى لتفعليها عندما تشعرين

بالغضب من أخيك».

وعلِّم أطفالك احترام الطرف الآخر حتى وإن اختلفت الآراء، قل له: «إنك لست مضطراً للموافقة على ما يقوله أخوك فهو ينظر إلى الموقف بطريقة وأنت تنظر إليه بطريقة أخرى، وهذا شيء مقبول أن يكون لديكما اختلاف في الآراء في هذا الشأن ولكن ليس مقبولاً أن تنشب بينكما معركة.

عدم منع الطفل من البكاء:

البكاء يرقق الحس والمشاعر، والدموع تنظف العين وتمنع التهابها.. والبكاء في بعض الأحيان يكون تنفيساً عما يعانيه الإنسان من انفعالات حزينة أو سعيدة ويكون البكاء مطلوباً عندئذٍ وليس من الرجولة منعه، كما أنه ليس البكاء للنساء فقط فقد بكى الرسول ﷺ حزناً على موت ابنه إبراهيم، فلما عجبوا من ذلك قال: **«إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا»**[1]. ولذلك فمن الخطأ أن نمنع الأبناء من البكاء ونقول لهم: الرجال لا يبكون ونأمرهم بالتوقف عن البكاء فوراً بل نساعدهم على البكاء لينفسوا عن مشاعرهم وانفعالاتهم.



(١) رواه البخاري.

خطأ شائع:

معظم الأطفال يتم تشجيعهم على عدم إظهار عواطفهم وانفعالاتهم، ويتعلمون أنه من الأفضل أن يخفوا مشاعرهم وانفعالاتهم بدلاً من إثارة غضب آبائهم المتعبين أو أشقائهم أو زملائهم.

ولكي يتعلم أوضح له مشاعرك وقل له: «أشعر بالألم عندما تصيح وتسب وتشتم أمامي»، «أشعر بالحزن عندما تجادل طيلة الوقت»، «كَوْني قادراً على التحدث إليك بهذه الطريقة يرفع من معنوياتي»، «أشعر بالإحباط لأنك لست على استعداد للتفكير في وجهة نظري». فإذا تعلم الطفل أنه من المقبول أن يعبر المرء عن مشاعره وانفعالاته، فلن يشعر بالخجل في أن يعبر عن مشاعره وانفعالاته الذاتية.

وكثير من السلوكيات العدوانية يكون سببها عدم القدرة على التعبير عن المشاعر والانفعالات. فعندما نكبت المشاعر والانفعالات فإنها تميل إلى الغليان من وقت لآخر. وفي الأطفال بوجه خاص يمكن أن تخرج هذه المشاعر في صورة عنف أو فقدان للسيطرة الذاتية. معظم السلوكيات العدوانية تؤدي إلى جذب الانتباه ويمكن تجنبها من خلال التعبير المنتظم عن المشاعر وتبادلها.

***

ابتسم له

أثبتت الدراسات التي قام بها علماء النفس الألمان أن الضحك وخاصة من الأعماق له أثر فعال في نمو الطفل في سنوات عمره الأولى.. وأكد العلماء أن الضحك لا يقل أهمية عن الطعام وأن الطفل الذي يضحك كثيراً ينمو نمواً سليماً.

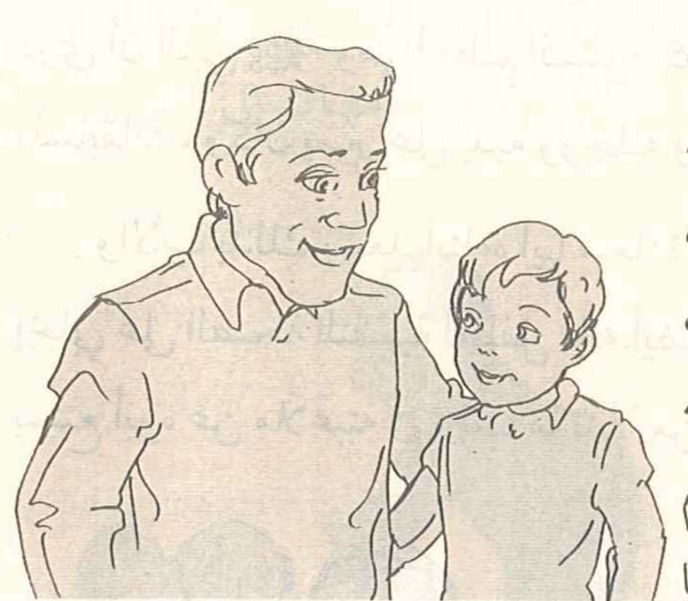
وتكرار الابتسامة يريح الإنسان ويجعله أكثر استقراراً، بل إنهم وجدوا أن هذه الابتسامة تقلل من حالة الاكتئاب التي يمر بها الإنسان.

يقول الأطباء: وتفيد الابتسامة والضحك الخفيف في إرخاء العضلات وإبطاء إيقاع النبض القلبي وخفض التوتر الشرياني، كما تزيد الابتسامة من نشاط الذهن، وتقوي القدرة على تثبيت الذكريات بتقوية الذاكرة، وتوسع ساحة الانتباه والتعمق الفكري، وتزيد قدرة الفرد على التخيل والإبداع ودقة التفكير. كما تزيد من صفاء الذهن وعدم تشتته.

وأخيراً بدأ العلماء في استخدام الابتسامة كأساس لاستراتيجية علاجية حقيقية.

ومن خلال الابتسامة يمكنك أن توصل المعلومة بسهولة للآخرين، لأن الكلمات المحملة بابتسامة يكون لها تأثير أكبر على الدماغ حيث بينت أجهزة المسح بالرنين المغناطيسي الوظيفي أن تأثير العبارة يختلف كثيراً إذا كانت محملة بابتسامة.

وتعد الابتسامة من المحفزات التي تستحث إفراز [الإندورفين] والذي يسهم بدوره في زيادة الطاقة الطبيعية والقضاء على ما يعانيه الجسم من تعب.



فَأَضْحِك طفلك واضحك معه أنت أيضاً، فإن الضحك يزيد الاستيعاب (١٤) مرة. واعلم أن الابتسامة لا تكلفك سوى تحريك (١٤) عضلة من عضلات الوجه السبعين، بينما التجهم تستخدم معه عضلات وجهك كلها مما يعجل بتجاعيد الوجه وظهور علامات الشيخوخة عليه إلى جانب ما يترك التبسم في نفوس الصغار من أثر طيب وراحة نفسية وذكريات سعيدة تجاه الأبوين.

وصدق النبي ﷺ حينما قال: **«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»**.

ومع التبسم حاول أن تحدث اتصالاً بين عينيك وعينيه ولقاء تطبعه ابتسامتك المعبرة عن تقديرك لسلوكه وحبك له، واحرص أن تكون الابتسامة من داخلك ومعبرة عن شعورك وإعجابك، فالابتسامة المصطنعة يدركها الطفل بسهولة.

***

لاعبه

بعض الآباء يرى في اللعب مع أبنائه ذهاباً لوقاره وتضيعاً لوقته، وما درى أن النبي ﷺ -وهو أعظم البشر- كان يوقف الأبناء ويجري بينهم المسابقات، وكان يسير على يديه ورجليه وفوق ظهره الحسن أو الحسين!!

والأب بذلك يسعد أبناءه أيما سعادة وفضلاً عما يكون له من مردود إيجابي على الصحة النفسية للطفل فإنه أيضاً يكون وسيلة عقاب للطفل أن يمتنع أبوه عن ملاعبته في وقت ما بدلاً من اللجوء إلى الضرب والعنف.





ولا يمكن لأي لعبة مهما كانت أن تنوب عن الأب أو الأم في تربية الطفل.

إن ملاعبة الطفل تعني أنك متواجد معه، وهذا يجعله ينفتح عليك ويتقبل منك وتطمئن على سلوكه الإيجابي، الأمر الذي يمنحه ثقة قوية بقدراته وإمكاناته ويشكل لديه القيم والمعايير الإيجابية.

اغرس فيه الثقة

١) إن مساعدة الابن على تحقيق النجاح عنصر أساسي في تنميته، فالطفل إنسان يحتاج إلى النجاح ليكسب ثقة في نفسه وينال احترام من حوله وبالفشل يحبط ويكسل، وإذا افتقر الآباء والأمهات إلى القدرة على بناء الثقة داخل نفوس أبنائهم، فهؤلاء الأبناء في خطر كبير. وسيعانون حتماً من مشكلات ومصاعب كثيرة في التعامل مع الآخرين بل وفي سائر حياتهم. إشعار الطفل بالنجاح يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد ليستمر في هذا النجاح الذي رأى أثره فيمن حوله من خلال النظرات والتعليقات.



وهنا ننصح إخواننا المربين بما يلي:

١) لا ينبغي أبداً تكليف الطفل بما يفوق طاقته وقدراته مما يؤدي به إلى الإخفاق والفشل فيشعر بالعجز والإحباط فيحجم عن مواصلة نشاطاته، ومن أراد أن يطاع فليأمر بما يستطاع، وربنا تبارك وتعالى لم يكلفنا إلا بما في وسعنا..قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لا

---

(١) مَن الآية ١٦ من سورة التغابن.

﴿يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وسْعَهَا﴾[١].

٢) فشل الطفل لا يكون مسوغاً أبداً للنيل منه والسخرية والاستهزاء والتحقير والإهانة، ولكنه يشجع ويؤخذ بيديه نحو تحقيق النجاح تماماً كما إذا سقط فأخذنا بيده ليقوم.

٣) لكي تكون نظرة الأبناء لأنفسهم جيدة، لابد أولاً أن تكون نظرة آبائهم وأمهاتهم إليهم جيدة.

٤) اثبت لطفلك أنه جدير بالحب ويستحقه وذلك بأن يكون حبك له واضحاً وغير مشروط؛ عندما يحقق نجاحاً أو يواجه فشلاً، ومن النماذج الإيجابية أنه من حين لآخر كانت تضع واحدة من الأمهات عبارة «إني أحبك» على صندوق الغذاء الخاص بابنها، عبارة بسيطة تعبر بها عن حبها، ويعد هذا شيئاً لطيفاً يبدأ به ابنها طعامه، وقالت أم أخرى إنها لم تكن تنتظر أعياد ميلاد أبنائها أو أي مناسبات أخرى كي تمنحهم هدايا، كانت تمنحهم الهدايا بدون مناسبة.

٥) شجع طفلك على المشاركة في كل أوجه الحياة-المدرسة والعبادة والرياضة والنوادي والهوايات والعمل والأصدقاء-، مثل هذه المشاركات تساعده على أن يصبح أكثر حزماً، وتعلمه صفة القيادة وتكسبه مهارات وخبرات وتجارب مع دائرة رحبة من الأصدقاء.

٦) صحح أفكار ابنك وانطباعاته عن ضرورة أن يكون أداؤه خاليًا

---

(١) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

من الأخطاء، أخبره في وضوح لا لبس فيه أن هذا الكمال غير ممكن.

٧) علم ابنك الاعتماد على النفس الذي يقود إلى الاكتفاء الذاتي، وذلك بأن ترفض تدليله أو تقديم العون له في كل مرة يطلب فيها المساعدة، اتركه يطور قدرته على التصرف وعمل كل شيء دون مساعدة الآخرين.

٨) أكد لابنك أن مواهبه وقدراته كافية ومناسبة تماماً حتى وإن لم تظهر طوال الوقت، وأنه طفل متميز، ولكن ليس في كل شيء وهكذا نحن أيضاً.

٩) إن احترام النفس وتقديرها ليس هبة أو منحة نعطيها أو نمنحها لأي فرد؛ إنها شيء لابد من اكتسابه. علم طفلك أن يتحمل مسئولية سعادته، وأن يخرج للعالم ويضع قدراته موضع التنفيذ بتجربته للأشياء. قال أحد الآباء إن القول المأثور المفضل لديه هو: «لا تأسف أبداً لشيء فعلته بل من الأفضل أن تأسف لشيء لم تفعله» **لذا علم أبناءك أن يبحثوا عما يسعدهم ويفعلوه إن لم يكن عيباً أو محرماً**

١٠) كن حذراً في اختيار الأنشطة التي يمارسها طفلك. لأنك بلا شك لا تريد أن تهدر فرصة في النجاح باختيارك أنشطة تكون فوق مستوى قدراته، وعليك أيضاً أن تلاحظ اختياراته لأنشطته الخاصة، فإذا اختار أنشطة صعبة وخارج حدود قدراته سيكتشف أنه لن يستطيع الاستمرار وسيفقد حماسه ويتوقف في منتصف الطريق ولكن ساعده بالرأي عندما يختار وأقنعه باختيارك.

١١) امتدح في طفلك تميزه في مجال ما وأضف إلى هذا أن تسأله النصيحة أو الرأي في أمور تتعلق بهذا المجال.

١٢) أخبره أنه لا أحد يتفوق في كل شيء. فاللاعب الذي يتألق في ساحات الملاعب قد لا يكون ممتازاً في العلوم، والعالم الكيميائي قد لا يستطيع أن يقذف بكرة القدم! لكن لكل منهما مساهماته الرائعة في المجال الذي اختاره، لم يتحسروا على الأشياء التي لم يستطيعوا إنجازها وبدلاً من ذلك وجهوا كل تركيزهم في الأشياء التي يستطيعون عملها ثم صمدوا وثابروا حتى تفوقوا.

١٣) شجع ابنك على اتخاذ القرارات. عوِّد نفسك على أن تقول له عندما يطرح أسئلة: «ماذا تعتقد أنت؟» أو «قرر أنت». حيث يقوم كثير من الآباء والأمهات باتخاذ أبسط القرارات لأبنائهم ويجهلون أنهم قادرون تماماً على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم. أيضاً استخدم سؤال «ماذا ترى في....؟» فسؤال كهذا يشعرهم أنك تقدر آراءهم وترغب في الاستماع لما يريدون قوله. وإذا كنت حقاً تقدر آراءهم عليك بتجنب العبارة الهجومية التالية: «أنت مخطئ» عندما يصدر أحدهم خطأ واضحًا في رأي أو حكم.

١٤) حدد ما تتوقعه من ابنك، بناءً على قدراته الظاهرة لك، ثم اهدأ ولا تتوتر؛ لأنك حين تتوتر تصبح كمن يقول له: «اعتقد أنك تستطيع أن تنجز هذا العمل، لكنني غير واثق من هذا»، كرر له أنه ما يهم في المسألة هو أن يبذل أقصى جهد لديه وأن ينهي العمل الذي بدأه وأن يتعلم من أخطائه.

١٥) احرص على أن تخفف عنهم الإحساس بالذنب الذي يشعرون به عندما يرتكبون أخطاء، فأنت لا تريد لأبنائك أن يشعروا كل يوم كأنهم يمشون على أطراف أصابعهم عبر حقل ألغام.

١٦) من الأساليب التربوية المهمة التي تعزز ثقة الطفل بنفسه أسلوب قبول الطفل كما هو في الواقع، ليس الصورة المثالية التي نتمنى أن يكون عليها. فإن مهمة الآباء والمربين التعامل مع الطفل كمن يبحث عن كنز مدفون ليكتشف مواطن القوة في شخصيته والتركيز عليها وتعديل الأشياء التي يمكن تعديلها وقبول تلك التي لا يمكن أن تتغير. فإن كل طفل في هذا الكون وحدة فردية من نوعها، وكل طفل فريد بملامحه وقدراته وشخصيته.

واعلم أن:

الأطفال الذين يعانون من عدم الثقة في أنفسهم يسيطر عليهم إحساس دائم بالضآلة، وبالتالي فهم يتصفون بالصفات التالية:

١) تجنب المواقف التي تسبب القلق: اليوم لن أذهب إلى المدرسة لأن لدي امتحانًا صعبًا.

٢) يحط من قيمة نفسه وإمكانياته: إن رسومي ليست جميلة.

٣) شعوره بأن الآخرين لا يقدرونه: أصدقائي لا يحبونني وأبي يكرهني.

٤) يلوم الآخرين على فشله: لقد رسبت في الامتحان لأن المعلمة لم

تشرح الدرس جيداً.

٥) يتأثر بالآخرين: صديقي علمني أن أغش في الامتحان.

٦) يستثار بسهولة: أنا سوف أكسر هذه اللعبة.

٧) يشعر بالعجز: لا أستطيع أن أحل هذه المسألة.

٨) يعبر عن مدى ضيقه من الانفعالات: أنا لا أهتم إن جاء أبي أم ذهب.

٩) خجول يهاب طرق مجالات جديدة ومقابلة أناس جدد.

١٠) يعتمد على أبويه في أبسط القرارات.

١١) يسبب له النقد خزياً وحرجاً شديداً.

١٢) يكبله الخوف من الفشل.

١٣) يسحقه الفشل مهما كان صغيراً.

١٤) يهتم بشكل مبالغ فيه بالتفوق والتميز.

١٥) في حاجة دائمة للتأييد والمساندة.

***

أحببه

أحبب ولدك يتغير! نعم، أحببه بصدق فإن المحبة الصادقة، والحنان، والعطف، وإظهار ذلك بالحركات والتواصل الكلامي وتعابير الوجه له أثر كبير في نفس الابن، وابدأ من مساء اليوم، تناسَ كل ما عمله خلال النهار، قل له تصبح على خير يا حبيبي. افعلها مرة، وتخيل أثرها عليها.. جرِّب ذلك لمدة أسبوع وستلمس الفرق بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

إن مسائل الرفض لتصرفات الأبناء غير اللائقة يجب أن تكون أقل حدة فلا نخرجهم من نطاق حبنا وقبولنا لهم بكلمة تقال في لحظة غضب أو بتصرف نجبرهم على القيام به.

ليس معنى ذلك أن نوافقهم على أي عمل خاطئ يقومون به في سبيل تقبلهم وعدم إخراجهم من دائرة محبتنا، ولكن نشعرهم دائماً بأنهم محبوبون ومفضلون لدينا حتى وإن لم نكن راضين عن بعض تصرفاتهم أو أدائهم في المدرسة أو عن علاقتهم مع إخوانهم.

ولتكن دائماً هناك رسائل واضحة للأبناء أنه مهما اختلفنا أو مهما أخطأت وقمنا بتصويب الخطأ فإننا والداك وما زلنا نحبك ونقف إلى جانبك ولن يتغير شعورنا هذا أبداً.

ولنتبع رسائل العتاب أو الاعتراض على الخطأ برسائل من الأمان حتى لا يشعر الابن يوماً أنه إنسان منبوذ فيتمادى في الخطأ والعناد.

إن البحث عن كلمات أقل حدة ننقل بواسطتها للأبناء عدم رضانا عن

تصرفاتهم لهو أمر جدير بالاهتمام، فمثلاً يمكن أن تقول للابن: «من الممكن الحصول علي درجات أفضل من هذه الدرجات، وعلى العموم لو أردت ذلك لنجلس معًا ونرى كيف يمكننا أن نحسن من هذه الدرجات» فمثل هذه الكلمات المغلفة بالحب تشعر الابن أن والديه يتقبلانه ويحبانه مهما كانت أخطاؤه مما يزيد من شعوره بالثقة والقبول.

إن مشاعر الحب تلك التي تولد في النفس مع أولى صرخات للطفل لابد ألا يغيرها أي تصرف خاطئ يقوم به هذا الابن العزيز.

عاد الابن من المدرسة حاملاً معه شهادته ذات الدرجات المنخفضة فوقف الأب غاضباً وهو يقول: «ليس ابني من يحصل على مثل تلك الدرجات» بعض الكلمات يتفوه بها الكثير من الآباء مثل: «ابتعد عني لا أريد أن أراك» ومثل هذه العبارات تقذف بالأبناء خارج نطاق الحب والحنان الأسري، وكثيراً ما يستخدم الآباء هذا النوع من الجمل ليظهروا للأبناء عدم رضاهم عن تصرف معين قاموا به.

ومثل هذه الكلمات تشعر الأبناء بعدم قبول الآباء لهم وربما تشعرهم أنهم أشخاص غير مرغوب بهم.

وفي أحدث استطلاعات للرأي تبين أن (١٠٪) فقط هم الذين يحبون أبناءهم، والآباء يعجبون من هذه النسبة عندما يسمعونها للوهلة الأولى بل ويكذبها بعضهم كما يعجبون من العنوان (أحببه) إذ المفترض أن الآباء يحبون أبناءهم بالفطرة ومن لا يحب أبناءه.

ولكن الواقع أن هناك بعض الإجراءات إذا قام بها الأب أو الأم فعندئذ يمكن أن تكون ملاحظاتنا وتعليقاتنا دقيقة إلى حد ما وهي التي كان بعضها بنوداً في استطلاعات الرأي السابقة:

١) هل تعبر لابنك عن الحب باللسان فتقول له مثلاً: (أنا أحبك يا أحمد ـ أنا أحبك يا زينب)؟ وكم تقولها لابنك في اليوم: مرة أم مرتين أم ثلاثًا؟

إنك يجب أن ترددها في اليوم لابنك أكثر من عشر مرات حتى تكون محباً له بشكل صحيح، فالحب إن لم يعبر عنه لا يتم على الوجه الصحيح وعلى العكس فالتعبير عنه يؤصله ويقوِّي أواصره.



٢) كم مرة في اليوم تحتضن ابنك فتأخذه بين ذراعيك بحنان ولطف وكأنك لم تره منذ زمن بعيد، فهذا حتماً سيشعره بأنك تحبه كما أن دفء الحضن يعطيه شعوراً بالأمان كما تفعل الأم وهي ترضع ابنها إذ يمكن

بالوسائل الحديثة شفط اللبن من الثدي ووضعه في معلبات ولكن المهم هو الحضن الذي لا تقل تغذيته النفسية عن التغذية البدنية لهذا الرضيع وربما تزيد.

٣) هل تبتسم لابنك في اليوم أضعاف ما تتجهم له؟

٤) متى كانت آخر مرة قمت فيها بتقبيل ابنك؟ إن هذا من واجبات المحبة للأبناء ومن علاماتها وبغير ذلك لا يكون حباً بل جفاءً وغلظة، وبعض الآباء صرح أن له عشرة من الولد ما قبَّل واحداً منهم.

٥) هل تشعر أطفالك من خلال معاملتك لهم أنك سعيد بهم كما أنهم سعداء بك وأن وجودهم في البيت يسرك وأنهم ليسوا عبئاً عليك؟

ولكي تتأكد من أثر ما فعلت مع ابنك تستطيع ذلك من خلال ما يلي:

إذا سأله أحد عن مثله الأعلى فقال: أبي.

إذا سأله أحد عن صديقه الحميم فقال: أبي.

إذا سأله أحد عن أكثر شخص يحبه فقال: أبي.

إذا انتظر مجيئك من عملك بتلهف.

إذا تمنى صحبتك دائماً وتمنى ألا تتركه أبداً.

إذا تمنى المزاح معك وبادلك الضحكات.

إذا جلس بجوارك دائماً.

إذا أطاع كلامك ونفذ على الفور ما تريد.

إذا ضايقه أن تسمع عنه شيئاً قبيحاً.

إذا أظهر تألماً لمرضك أو سفرك.

إذا سألك مشاوراً له في أموره الخاصة جداً.

وليعلم الآباء والأمهات أنهم سيأخذون بالحب ما لا يستطيعون الوصول إليه بالأوامر الصارمة والقسوة والعنف، وأننا نجني البغض والحقد والفشل في نيل ما نريد منهم عندما نستخدم القوة والعنف معهم بينما نسعد ويسعدون معناً بالحب الذي نفيضه عليهم.

حبك لطفلك لا يكون مشروطاً:

لا تربط محبتك لطفلك بأن يتأدب أو يتوقف عن الشتم أو العناد.

والحب غير المشروط لا يعني أن كل شيء يفعله طفلك لا بأس به، لكنه يعني أنك تحبه بغض النظر عن أفعاله أو سلوكياته أو إنجازاته أو أي شيء آخر. وهذا شيء عزيز هذه الأيام. فبسبب ضغوط الوقت والعمل ومصاعب الحياة، غالباً ما يشعر الأطفال بأنهم مضطرون إلى الأداء أو النجاح أو الفوز أو التميز كي يحظوا بحب واهتمام آبائهم. ولهذا السبب، هم يشعرون بالإحباط المستمر وعدم التقدير. إذا كان هناك شيء واحد لا ينبغي أن يكون الأطفال في حاجة إلى العمل من أجل الحصول عليه، فهو حبك.

الحب مسئولية صحية، فإذا كنت تعرف شخصاً يحبك ويثق فيك فمن

الأسهل بكثير أن ترقى لمستوى توقعاته وآماله. والسبب الأول وراء ذلك هو أنك لا تريد أن تخيب ظن من يحبك كل هذا الحب ويثق فيك كل هذه الثقة. والسبب الثاني هو أنك تؤمن بكونك شخصاً جيداً لأنك جدير بكل هذا الحب وكل هذه الثقة. وعندما يشعر الأطفال بالرضا عن أنفسهم، يتصرفون بشكل أفضل. الأمر بهذه البساطة لست في حاجة لأن تكون شخصاً قاسياً أو جافاً كي توصل رسالتك. قليل من الحب يصنع المعجزات.

إن اللمسة الحانية تنشط جهاز المناعة وترفع نسبة الهيموجلوبين (التي تحمل الحديد) في الدم بشكل هائل.

ويعد التواصل الجسمي أحد الفيتامينات الأساسية لكل الناس فضلاً عن الأطفال ولذلك فنحن ننصحك بدوام التواصل الحسي مع طفلك أو أطفالك بالتدليل والملاطفة والتربيت والمداعبة والحمل والهدهدة والتدليل وتمشيط الشعر وإمساك اليدين والأرجحة والمشاركة في الضحك وما شابه ذلك.

ومن ذلك المسح على صدره برفق فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاءه يستأذن في الزنا في الحديث المعروف وفي نهايته: مسح رسول الله على صدره وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه.

ومسح على صدر عبد الله بن عباس بعد أن علم أنه الذي وضع له ماء الوضوء ودعا له قائلاً: **اللهم علمه الكتاب**.

ويأتي التقبيل علامة من علامات التواصل البارزة والهامة مع الطفل فهو يقلل التوتر حيث يطرح الأدرينالين والأنسولين ويخفض مستوى السكر في الدم ويحطم السكريات والدهون والمواد الضارة كما أثبتت الدراسات الحديثة.

وأؤكد لكم أنني رأيت آباء وأمهات لا أجد فرقًا بينهم وبين الأقرع بن حابس ذلك الأعرابي الذي جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه يقبل إحدى أحفاده فقال له: أتقبلون؟! إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم واحداً فقال له رسول الله الحنون الرءوف: أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك.

وهناك رواية أغرب منها ينهى الرجل فيها نبي الله قائلاً: لا تقبله يا رسول الله إن لي عشرة..........

وأختم بتلك القصة لتأكيد ما أردت:

في عام ١٩٤٥؛ انتهت الحرب العالمية الثانية وكانت أوروبا تعيش في حالة دمار. وكان من بين المشاكل الإنسانية التي يجب مواجهتها العناية بآلاف الأيتام الذين فقدوا آباءهم في الحرب، إما بسبب الوفاة، أو بسبب الانفصال الدائم نتيجة الحرب.

فقامت سويسرا-التي نجحت في أن تبقى بمنأى عن الحرب-بإرسال بعثة طبية للمساعدة في حل بعض هذه المشاكل، حيث تولى أحد الأطباء مهمة البحث عن أفضل وسيلة للعناية بالأيتام الرضع.

سافر هذا الطبيب إلى كل أنحاء أوروبا وشهد الكثير من أنواع العناية بالأيتام كي يختبر أكثر هذه الأنواع نجاحاً. وفي أثناء جولته، رأى الكثير من التناقضات. ففي بعض الأماكن كانت المستشفيات الأمريكية الميدانية توفر للأطفال أسرة من الصلب في عنابر صحية حيث يحصل الأطفال على وجبتهم الغذائية كل أربع ساعات من اللبن المخصص للرضع بواسطة ممرضات متمرسات يرتدين زياً خاصاً.

وعلى الطرف الآخر، رأى في بعض القرى الجبلية النائية إحدى الشاحنات وهي تحمل عدداً من الأطفال؛ وإذا بقائد السيارة يتوقف ويسأل: «هل يمكنكم العناية بهؤلاء الأطفال؟» ثم يترك نصف دستة أطفال وهم يبكون ليتولى أهل القرية رعايتهم. وهناك يعيش الرضع محاطين بالأطفال والكلاب والماعز في أحضان الريفيات؛ يتغذون على ألبان الماعز في ظل حياة عشوائية.

وقد اتبع الطبيب السويسري طريقة بسيطة للمقارنة بين الطرق المختلفة للعناية بالأطفال. لم يكن بحاجة حتى إلى قياس وزن الأطفال أو البحث عن الابتسام والتواصل البصري. ففي أثناء تلك الأيام التي كانت قد تفشى فيها مرض الأنفلونزا والدوزنتاريا، لجأ الطبيب إلى أبسط طريقة إحصائية وهي قياس معدل الوفيات بين الأطفال.

غير أن ما توصل إليه كان بمثابة مفاجأة. فبينما كانت الأوبئة تجتاح أوروبا وتحصد أرواح الكثيرين؛ أثبت الطفل الذي كان يحيا في القرى البدائية كفاءة تفوق نظيره الذي يحظى بكل الرعاية الصحية داخل المستشفيات!

لقد اكتشف الطبيب شيئاً ما كانت العجائز من السيدات قد اكتشفنه منذ زمن بعيد. لقد اكتشف أن الأطفال يحتاجون إلى «الحب» لمواصلة الحياة.

لقد كان الأطفال في المستشفى ينالون كل شيء عدا الحب. أما الأطفال في القرى؛ فقد كانوا يحظون بقدر أكبر من العناق والمداعبة ويتعرضون لأشياء جديدة أكثر بكثير مما كانوا يعرفونها. ولقد ساعدهم هذا -بالإضافة إلى العناية المعقولة بالمتطلبات الأساسية للطفل- على مقاومة الأمراض.

وعبر عن الأشياء المهمة للطفل بقوله:

- التواصل الجسدي الحميم من جانب اثنين أو ثلاثة من الأشخاص المقربين من الطفل.
- الحركة الرقيقة ولكن النشطة مثل حمل الطفل والسير به، وهدهدته وما شابه ذلك.
- التواصل البصري والتبسم في وجه الطفل والبيئة الحية زاهية الألوان.
- الأصوات مثل الغناء، والحديث، وأغاني الأطفال وما شابه ذلك.

لقد كان كشفاً هاماً؛ كما كان ذلك أول تسجيل علمي يصرح بأن الطفل بحاجة للتواصل الإنساني والحب (وليس فقط للغذاء والدفء والنظافة). وإن لم يحصل الطفل على هذه الخصائص الإنسانية، فقد يموت بسهولة.

***

لا تحطم إنجازاته

بعض الآباء والأمهات تجده متخصصاً في تحطيم إنجازات أبنائه حتى إن الطفل الصغير ذا العامين عندما يكون في بداية تعلمه الحركة ويحاول الصعود إلى مقعد قريب منه تجد الأم تصرخ فيه لينزل قبل أن تدنس قدماه الرقيقة فرش المقعد، وكان الأصوب أن تشارك ابنها الصغير فرحته بإنجازه وصعوده على المقعد لأول مرة في حياته وأن تكافئه وتمدحه وتوجهه.

فإحساس الطفل بالقدرة على الإنجاز يسعده حتماً ويدفعه للنجاح كأن يضع أشكالاً بعضها فوق بعض أو يقوم بفك شيء وتركيبه أو يقوم بتجميع صور البازل أو يرسم ما يراه مناسباً ويعبر عنه بفكره وقلمه وألوانه كما يحلو له. وهنا يجب أن نتعلم فتح المجال لأبنائنا كي ينجزوا وإذا أنجزوا لا نحبطهم بل نكافئهم، والصغير عندما يرسم شيئاً يجب أن نمدح ما قام به ونوجهه لتعديل ما أمكن بشكل غير مباشر ونكافئه على ما بذله من جهد ولو كان الأبوان أنفسهما لا يحبان الرسم. والطفل عندما يذهب إلى المدرسة يخرج إلى بيئة جديدة ومناخ جديد ويكون تكوين أصدقاء له هو أول إنجازاته فإن حرمناه من أصدقائه هؤلاء فنكون قد حرمناه من إنجازاته التي حققها وحطمنا بذلك فيه شيئاً أساسيًا. وكذلك عندما يخطئ الطفل فيعاقبه أبوه بحرمانه من حضور مباراة كرة القدم التي ينتظرها قبل موعدها بعدة أيام، ولذلك فإن إشعار الطفل بقدرته على الإنجاز وتشجيعه أمر يسعده كثيراً.

ومن غير اللائق عندما يقدم الطفل للأم عملاً قد أنجزه وسعد به أن تحطمه وتنهره وتسخر من عمله ذلك وتطلب منه عدم إزعاجها بمثل تلك الأمور التافهة، كذلك الحال عندما يحضر الطفل درجة مرتفعة ما في إحدى المواد الدراسية لا يكافأ ماديًا ولا معنويًا بينما إن حصل على درجة منخفضة تجده يوبخ ويسخر منه مثلما حدث مع أحمد طالب الابتدائي الذي استلم شهادته من المدرسة وكانت درجاته جيدة، وعاد من المدرسة ووجد والده يقرأ الصحيفة وقال له: (انظر يا أبي لقد نجحت ولاشك أنك ستفرح بي). وبدلاً من أن يقطع الوالد قراءته ويكافئ الطفل بكلمات الاستحسان والتشجيع قال له: (أنا الآن مشغول اذهب إلى أمك واسألها هل أنهت تحضير الأكل ثم بعد ذلك سأرى شهادتك).

وهذا بلا شك يحرم الطفل من حاجته إلى الإحساس بالنجاح والإنجاز، ومع تكرار ذلك يفقد الطفل مكانته في الأسرة ويشعر تجاهها بالعدوانية وفقدان حبه لها، وعندما يكبر هذا الطفل يجد في الجماعة التي ينتمي إليها من ينمي هذه الحاجة لديه ويجد مكانته فيها ويجد العطاء والحب الذي حرم منه، وهذا يفسر بلا شك هروب بعض الأبناء من المنزل إلى شلة الأصدقاء ليجدوا ما يشبع حاجاتهم المفقودة في المنزل. ومن نتائج تحطيم الإنجازات إصابة الطفل بالتبلد الانفعالي وعدم الاكتراث بالأوامر والنواهي التي يصدرها الوالدان.

***

عامله رجلاً وحاسبه طفلاً

معاملة الصغير على أنه رجل يصقل شخصيته وينمي فيه صفات كثيرة إيجابية وهو أفضل من تذكيره بطفولته واحتقاره واستصغاره والتقليل من شأنه وإبعاده عن مجالسة الكبار.

فأخبروني بالله عليكم هل يستوي من يقول لابنه: وما رأيك أنت يا بني الحبيب في هذا الكلام؟ ومن يقول: اسكت وما شأنك أنت بكلام الكبار مع بعضهم.

وهل يستوي من يقول لابنه: أنت عندي رجل مهم مثل أفضل أصدقائي؟

ومن يقول لابنه: أنت ما زلت طفلاً صغيراً.. ولا تنس نفسك!!

وهل يستوي من يصطحب ابنه إلى دور العبادة وإلى زيارة الأقارب والأصدقاء ومن يترك ابنه مهملاً في جنبات البيت منتظراً حتى يكبر.

وهل تستوي الأم التي تعلم ابنتها الطبخ ونظافة البيت ومن تهملها وتسخر منها إن حاولت الوقوف في المطبخ معها؟

شتان بين الاثنين هذا يغرس في أبنائه الرجولة والثقة في النفس وذاك يغرس فيهم السلبية ويطيل مرحلة الطفولة في حياتهم.

ومن ذلك الباب أن توضح مشاعرك وتوقعاتك إزاء تصرفات ابنك السيئة وذلك كأن تقول: اللعب إما نصر وإما هزيمة وأنا أحب أن أراك

تتحلى بالروح الرياضية.

أو تقول: كان عليك أن تستذكر دروسك قبل موعد العشاء كما اتفقنا وكنت أتوقع أن تلتزم بما قلته لك.

وانتهز الفرص لتبين لأبنائك صورًا جديدة لأنفسهم كأن تقول:

أحمد خذ علبة الحلوى هذه ووزعها على جميع إخوتك واحرص على أن يحصل كل منهم على نصيب متساوٍ.

أو تقول الأم:

يا علي، أنا أنتظر مكالمة من والدك فكن بجانب الهاتف لتخبره أن يحضر معه الخبز للغداء حتى أذهب لتغيير ملابس أختك.

ومن احترام الطفل ومعاملته كالرجل الناضج أو على الأقل إشعاره بذلك أن نساعده من أجل إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الناتجة عن تصرفاته الخاطئة، وهي تعد إحدى الوسائل البديلة لعقاب الطفل فيكونون هم جزءاً مؤثراً في عملية إيجاد هذه الحلول التي سيلتزمون بها لأنهم ساهموا في اتخاذها بأنفسهم ولم تفرض عليهم من قبل آبائهم، ومثال ذلك القصة التالية:

اتصل مدرس عادل بوالده ليخبره عن سلوك ابنه السيئ في باص المدرسة، أدرك هذا الوالد أنه إذا بدأ في عتاب ولده فإنه سيدافع عن تصرفاته؛ لذلك قرر أن يطلب منه أن يجد حلاً لسوء سلوكه بدلاً من أن يعاقبه لأنه سيقتنع بما قرره وسيلتزم بتطبيقه خصوصاً أنه سيكون نابعاً من

اختياره؛ لذلك بدأ حديثه قائلاً:

عادل أريد أن أتحدث معك حول موضوع مهم.

تساءل الابن: نعم يا أبي ماذا تريد؟

قال الأب: اتصلت بي معلمتك وقالت لي: إنك كنت فوضوياً في [باص] المدرسة ولا تحترم كلام السائق ولا تصغي له، كما ذكرت بأنك يجب أن تذهب إلى مكتب المديرة لتحاسبك على ما فعلت وأنها قد لا تسمح لك بركوب [باص] المدرسة بعض الوقت.

بكى أحمد وقال مدافعاً عن نفسه: لكنني لم أكن الوحيد الذي تصرف بهذه الطريقة.

أجاب والده: أنا واثق من صدقك، لكنك ابني وأنا أحبك ولا أريدك أن تقع في أي مشكلة، أعلم أن من الصعب عليك عدم ركوب [الباص] لأنك لن تستمتع بوقتك مع أصدقائك لكنني أظن أنك تستطيع أن تساعدني على إيجاد حل لهذه المشكلة فهل لديك أي حل؟

أجاب عادل بعد فترة صمت: يمكنني أن أجلس بجانب السائق لا مع أصدقائي المشاغبين.

علق الأب قائلاً: هذه فكرة حسنة.

وفي اليوم التالي ذهب والد عادل به إلى [باص] المدرسة وأخبر السائق بأن ابنه يريد الجلوس بجانبه بعض الأيام، وانقطعت شكوى المدرسة حول تصرفات عادل في باص المدرسة، فقد التزم بالحل الذي وضعه لتحسين سلوكه.

كان في إمكان والد عادل أن يعرض عليه بعض الاختيارات لكنه اكتفي بالحل الذي عرضه عليه ابنه لأنه كان قراراً نابعاً من ذاته وسيهتم بتطبيقه.

ولكنا مع ذلك نؤكد أن المعاملة شيء ومحاسبته على التزامه بما نقوله أو التقصير فيه شيء آخر، حيث إن عقل الصغير لم ينضج بعد ولا زالت دنياه تختلف عنا نحن وكذلك تختلف تصوراته وتخيلاته؛ ولذلك يجب أن نحاسبه على أنه طفل وربما لا يدرك بعض ما نقصده أو يشعر أننا لا نريده ولا نحبه، ولذلك كان عنوان حديثنا (عامله رجلاً وحاسبه طفلاً) فالمعاملة شيء والمحاسبة شيء آخر.

***

لا تكن نائبًا عنه

من الخطأ الذي نرتكبه أحياناً أن ننوب عن أطفالنا فنتكلم بلسانهم ونفعل ما يجب أن يفعلوه مما يضعف شخصيتهم ويلغي كيانهم، فعندما يقف الأب مع أصدقائه ويسألون ابنه عن اسمه فيسرع الأب فيقول: اسمه فلان وكان الأحرى به أن يقول: قل لعمك ما اسمك ؟ وكذلك عندما تجلس الأسرة في نقاش ينبغي أن يكون السؤال: وما رأيك أنت يا بني ؟ حتى يتعلم الصغير ألا ينوب عنه أحد.

إنك قد تنوب عنه اليوم وأنت موجود فإن غبت عنه فإنه لن يعرف الطريقة الصحيحة للتعامل والتفاعل مع الآخرين، لأنه ليست عنده الخبرة وليست عنده الثقة في النفس التي تسمح له بهذا القدر من التفاعل.

فعليك أخي المربي الحبيب أن تترك ابنك يعبر عن نفسه وإن أخطأ، ويقوم بما يجب عليه القيام به.

***

تجنب إهانته

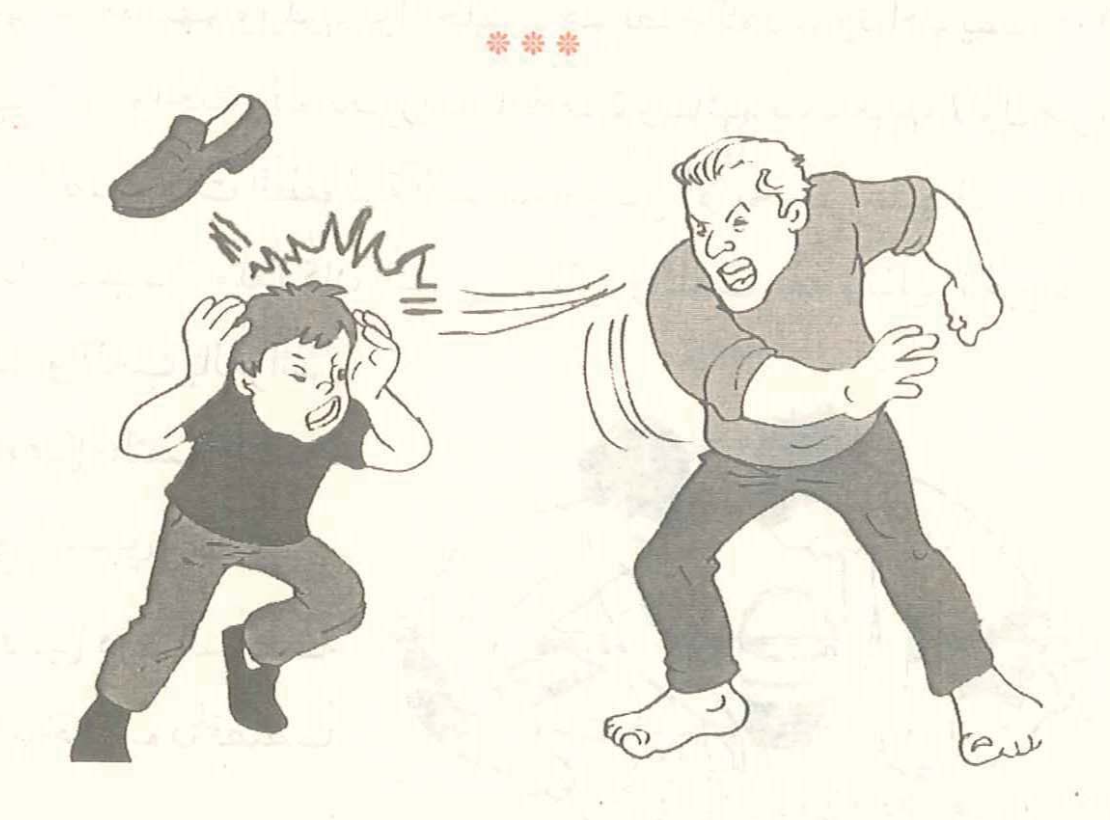
إهانة الطفل بالسب والشتم واللطم والركل والبصق عليه وغير ذلك من مظاهر الإهانة الذميمة يفسد الطفل ويجرح إنسانيته وآدميته.

وكيف ينتظر المربي من ابنه خيراً وبراً وهو قد أهانه وأذله بصنوف الإيذاء المستقبحة جميعها.

كيف بأب يعلق ابنته ذات السنوات العشر في السقف كالمروحة والمصباح، وكيف بأم تجلد ابنها وهو عريان وتمنعه من الأكل مع أفراد الأسرة لمدة أسبوع يظل فيها يأكل وحده وفي غرفته كالكلب الأجرب.

إن تجنبك لإهانة ابنك يعني تجنبك لمشاكل كثيرة في تربيتك لهم وحياتك معهم.

***



دعه لعالمه الخاص

للأبناء عالم جميل يختلف عن عالمنا، عالم مليء بالخيالات واللعب وتمثيل الأدوار وتقليد الآخرين وحب الاستطلاع لمعرفة المزيد عن الأشياء، هم يمرحون ويضحكون ومع الدمى يتحدثون، فالأب الذي لا يحب المرح والضحك يقهر أبناءه على ترك المزاح والمرح ظناً منه أنهم يجب أن يتعلموا الجدية وهو لم يعلم أن المرح والضحك من خصائص عالمهم الخاص بهم وهو الذي يضحك مبتسماً بفتح شفتيه بحركة تكاد تكون ميكانيكية مصطنعة. أما لو نظرنا إلى الأطفال فنجدهم يضحكون بكل أجسامهم حيث تهتز بطونهم ورءوسهم وأيديهم وأرجلهم وهم يضحكون.. وتراهم يضحكون بسبب كلمة واحدة ولو تكررت مائة مرة وكأنهم يسمعونها لأول مرة. وهذه الضحكات الطفولية الصافية ينبغي ألا نحجر عليها أو نزجر الأطفال بسببها.. ولذا كان التصابي للطفل واللعب معه وتقليد الحيوانات والغناء واللعب بالعرائس أمرًا مهمًا بالنسبة لنموه النفسي السوي.



ففيما دون السادسة تراهم يخترعون قصصاً

من خيالهم يظن الآباء عندما يسمعونها أن أبناءهم أصبحوا كذابين فيما يقولون وما علموا أن لأبنائهم عالمهم من الخيال ونسج القصص فيحكى لك مثلاً الرجل الذي دخل من الباب وكان ضخماً فأخذه الطفل وقذف به من النافذة ثم طار الرجل وطار الطفل وراءه ووقف الرجل على جذع شجرة فانكسر الجذع وسقط الرجل و.....و...

وهذه البنت التي تحب تقليد المعلمة فتجلس الأطفال الأصغر منها أمامها وتبدأ في توجيه الحديث لهم أوقاتًا طويلة تماماً مثلما تفعل المعلمة معهم في المدرسة أو الروضة.

وهذا الذي كان يرى ابنه ينفِّس عن غيظه بضرب الدمية أو وضع إصبعه في عينها أو رميها على الأرض ثم ركلها، واكتفي الأب بأن يراقبه بعين محايدة ويتجاوب معه بشفقة لكنه لا يجب أن لا يبدو عليه أنه فوجئ بعنف مشاعر ابنه العدائية، إن الطفل هنا يعبر عن مشاعر صادقة في نفسه وضربه لن يضر الدمية وأفضل لنا وله أن ينفِّس عن غضبه بهذه الطريقة بدل أن يوجهه إلى أخيه أو يعبر عن غيرته بالتبول اللاإرادي مثلاً.

وبعض المربين الناجحين كان يأتيه ابنه برسومات لا يُفهم منها شيء وهي كقلم انسكب حبره على الورق ليس له معالم واضحة فنجده يمسك بالورقة ويقول لطفله:

هذا شيء جميل ورائع ولكن لو رسمت رأس الرجل هكذا ولو أوضحت رجله ويديه هكذا، ولو قمت بتلوين الأرضية بلون كذا سيكون جميلاً جداً.

ففرح الصغير رغم أن الأب اعترض بشكل غير مباشر وغير محبط على إنتاج ابنه كاملاً، وهذا يدل على أن الأبناء يحتاجون للرعاية والعناية والتحفيز والتشجيع وليس الإحباط والتيئيس، فللطفل عالم وللكبير عالم فينبغي علينا احترام عالم الصغير ورعايته.

إننا لا نتيح مساحة كافية لأطفالنا كي يعيشوا طفولتهم. فنحن ننتظر ونطلب منهم أن يتوافقوا ويمتثلوا للقواعد؛ في مثل عدم إحداث جلبة أو ضوضاء وعدم المقاطعة والتركيز في المدرسة والتركيز في ملاعب الرياضة والتركيز في الواجب وتناول العشاء وارتداء الملابس بدون تذمر أو همهمة والاستحمام بهدوء والذهاب إلى الفراش حيث ينتظر منهم أن يناموا بسرعة ويستغرقوا في نومهم.

أين المتنفس إذن؟ متى يتم إتاحة الفرصة لأطفالنا كي يعبروا عن مشاعرهم وعواطفهم، ويخففوا من توترهم، وينفسوا عن غضبهم، ويكونوا أطفالاً، يتمتعون بروح الطفولة وبهجتها الطبيعية؟

ينبغي إتاحة الوقت بل وتشجيع الطفل على المرح أو الضحك أو اللعب أو الصياح أو الابتهاج أو البكاء أو مجرد الجلوس والاسترخاء. وإذا كانت تظهر على طفلك علامات التوتر أو السلوك السيئ فاعلم أنه لا يجد متنفساً ملائماً وأنك في حاجة إلى توفيره له.

وأحياناً يدفع التطفل بعض المربين لمعرفة كل ما يدور في عقل الطفل، ما يقوله وما يريد أن يقوله بل ينبش فيما وراء الكلام من معان. وعندما يشعر الطفل بالأمان وبالارتياح وبروح الصداقة مع أبويه أو أحدهما سوف

يتحدث إليه ويخرج من قوقعته. أما إن نظر خارج تلك القوقعة فرأى الوحش حاملاً مطرقته ليفتح القوقعة عنوة فلن يخرج منها أبداً.

وأخيراً:

فلندع أبناءنا على سجيتهم ولا نقف لهم عند كل كلمة يقولونها، ولنساعدهم على معرفة العالم من حولهم عندما يسألون عن شيء جديد وإن تكررت الأسئلة كثيراً، ولنوفر لهم الأماكن الفسيحة بدل أن نحدد إقامتهم في مكان معين ومحدد لا يتجاوزنه.

ولا تتدخل - أخي المربي- بشكل مزعج في خياراتهم الخاصة بالتسلية. فإذا استلقى طفلك على الأرض ليقوم بقراءة قصة كوميدية لمدة ساعة، فلا تدفعه للقيام بشيء تعليمي أو شيء مفيد ينطوي على تحدٍ. فكل طفل لديه نشاط مثالي بالنسبة له في الاسترخاء. ابحث عن الشيء الذي يحتاجه طفلك من أجل الاسترخاء ووفره له بقدر الإمكان. أحياناً يكون كل ما يحتاج إليه الطفل هو أن يقضي بعضاً من وقت الفراغ بعيداً عن الروتين كي يشعر بالاسترخاء. حقق له ما يريد وتأمل النتائج.



أصغ إليه

إن الإصغاء للطفل خطوة ضرورية في التربية الإيجابية لا غنى عنها للمربي ..فكما أننا نخصص أوقاتاً لشراء ما يحتاجه أبناؤنا ووقتاً للاهتمام بصحة أبدانهم ونظافتها فكذلك نحتاج إلى تخصيص وقت للإنصات لهم مهما قل هذا الوقت.

إن دقائق قليلة ينصت فيها الأب لابنه قد تجعله يتفادى تضييع ساعات طويلة في معالجة مشكلات ناجمة عن قلة التواصل وعدم الإصغاء الجيد.

بضع دقائق لا أهمية لها عند عامة الناس.. تعني أنك تود التواصل مع ابنك وتحاول فهمه وتفهم حاجاته ورغباته وأنك تشعر به، وقبل هذا وذاك تعني أنك تتقن فن الأخذ والعطاء وتمهد قلوب الأبناء وبصيرتهم للإنصات الفعال، وبمعنى آخر أنك أخي المربي تقوي (الذكاء الوجداني) لديهم والمعروف لدينا بالبصيرة.

إننا في حياتنا ومنذ صغرنا نتعلم كيف نتصل مع الآخرين بالوسائل المتعددة؛ الحديث والكتابة والقراءة، ويتم التركيز على هذه المهارات في المناهج المدرسية بكثافة ولكن بقيت وسيلة اتصالية لم نعطها أي اهتمام مع أنها من أهم الوسائل الاتصالية ألا وهي [**الاستماع**].

لابد لكل إنسان أن يقضي معظم حياته في هذه الوسائل الاتصالية الأربع: **الحديث والكتابة والقراءة والاستماع**؛ لأن ظروف الحياة هي التي تفرض هذه الأشياء عليه.

ويعد الاستماع أهم وسيلة اتصالية، فحتى تفهم الناس من حولك لابد أن تستمع لهم وتستمع بكل صدق، لا يكفي فقط أن تستمع وأنت تجهز الرد عليهم أو تحاول إدارة دفة الحديث فهذا لا يسمى استماعاً على الإطلاق.

إنك عندما لا تستمع لأبنائك فكأنما ترسل إليهم رسالة مفادها: [اصمت فرأيك ليس له أهمية] وبالتالي يأخذ الأبناء بالنصيحة ويكفون عن الحديث، وفي غمرة هذا يكفون عن الاستماع أيضاً. تماماً مثل آبائهم وأمهاتهم، ومن هنا تأتي الشكاوى بأن الأبناء مزعجون لا يطيعون أمراً وهم في الحقيقة لم يسمعوا الأمر أصلاً.

الاستماع ليس مهارة فحسب بل هو وصْفة أخلاقية يجب أن نتعلمها، إننا نستمع لغيرنا لا لأننا نريد مصلحة منهم ولكن لكي نبني علاقات وطيدة معهم، وأبناؤنا لهم أولوية في ذلك.

إن الصغار لا يحتاجون إلى محادثة فكرية دقيقة، هم فقط في حاجة لأن يعرفوا أنك -عزيزي المربي- معهم وأنك مهتم بهم وأنهم ليسوا كالدمى التي يلعبون بها.

وتذكر أن المحللين النفسيين يعتمدون على الاستماع لا الحديث وهذا لعدة أسباب:

الأول، يحتاج المرء أن يسري عن نفسه حتى يخفف من الضغوط التي تتراكم داخله.

الثاني، أنه بدون الاستماع لن يستطيع المحلل النفسي أن يعرف مشكلة المريض. وما يحدث مع المحلل النفسي في الجلسات التحليلية يمكن أن يحدث بالمنزل.

فإذا أراد ابنك أن يسري عن نفسه لن تفيده محاضرة كلامية بل ستجعله ينغلق أكثر، وعندما تتحدث في وقت يجب أن تكون فيه مستمعاً فأنت بهذا تبعث له برسالة تقول: «أيًا ما يكون ما سوف تقوله لا جدوى منه، أنا الأب الذكي وأنت الابن الغبي، فلتصمت إذن واستمع لي». من يقف هذا الموقف من الآباء لا يفهم حقيقة الوضع إطلاقاً. فالابن لا يحتاج في مثل هذا الوقت إلى إجابات! كل ما يحتاجه هو فتح الصمام حتى يفرغ ما بداخله من ضغوط، أما عندما يواجه بمحاضرات كلامية، فإن هذا الصمام يغلق تماماً.



وإذا كان عدم المقاطعة سوف ينقل ابنك من مرحلة التمهيد السطحية إلى مرحلة عاطفية أكثر عمقاً حيث تظهر المشاعر الحقيقية، فإنك بالاستماع الصامت سوف تساعده على الوصول لهذه المرحلة بينما أنت ترسل له هذه

الرسائل الصامتة: «يمكنك أن تحدد ما تريد أن تشركني فيه»، «أنا تواق لأن أسمع أي شيء تريد أن تقوله»، «أنا أتعاطف مع مشاعرك»، وهي رسائل بعيدة تماماً عن تلك الرسائل الغالبة «أنا الأب وأنت الابن»، «عليك أن تسمع ما أقوله»، «أنا أعرف كل شيء»، «أنا أعرف مصلحتك أكثر منك».

مفتاح الإنصات الفعال:

إن مفتاح الإنصات الفعال يكمن في الرسائل غير اللفظية وفي الاتصال غير الشفوي الذي يرسله الأب لابنه.. من خلال الابتسامة ولغة الجسم وملامح الوجه ونبرات الصوت المعبرة عن الحنان والمحبة والود التي تنبعث معبرة عن موافقتك وتفهمك لما يقوله الابن، ولذلك لا تنس الوصايا التالية عند الاستماع لابنك:

١) **اربط علاقة تواصل بين عينيك وعيني ابنك** وتفادي أن تشيح بوجهك عن ابنك، فإن ذلك يوحي بقلة اهتمامك بما يقوله وعدم احترامك له.

٢) **اجعل ثمة علاقة اتصال واحتكاك جسدي مباشر** من خلال لمسة الحنان وتشابك الأيدي والعناق ووضع يدك على كتفيه.. فإن ذلك يوطد العلاقات المبنية على المحبة ويسهل لغة التواصل العاطفي وييسر التفاهم ويفتح لدى الطفل أجهزة الاستقبال للرسائل التربوية الصادرة من الوالدين.

٣) **ابتسم باستمرار** وأظهر ملامح الاطمئنان لما يقوله، والانشراح

بالإنصات له مع الحذر من إشعار الطفل أنك تتحمل كلامه على مضض أو أنه مضيع لوقتك ولا تنظر للساعة وكأنك تقول له: لا وقت لدي لكلامك.

٤) **حاول أن تتوافق مع حالته النفسية**، فإن كان غاضباً لا تطلب منه أن يهدئ من روعه بل كن جاداً واستمع له بكل هدوء، وإن بكى فلا تطلب منه التوقف عن البكاء وإن وجدته حزيناً فاسأله ما يحزنه ثم استمع له لأنه يريد الحديث لمن سيستمع له.



٥) **عندما تستمع لابنك تعامل معه من مستوى أقل** حتى إنه يمكنك أن تجلس على الأرض بينما هو جالس على فراشه فإن هذا يشعره بالأمان فيخبرك حينئذ بما يعبر عن صداقته لك.. واعلم أن كثيراً من رؤساء العمل المتميزين يعتمدون على هذا النوع من التفاعل ليستحثوا طاقة الموظفين بدلاً من محاولات إخضاعهم.

٦) **لا تسرح بعينيك بعيداً عن ابنك** ولا تنشغل عنه وهو يتحدث لئلا يشعر بالإحباط من إهمالك له وتقليلك من شأن ما يقول ولو كان ما يقوله غير ذي أهمية.

٧) **الاستماع الصامت لا يعني بالضرورة الصمت التام**، عليك أن تتجاوب مع ما يقال ببعض الإيماءات البسيطة، أو الابتسامات أو «آه، هاه» من آن لآخر، فذلك يؤكد لابنك أنك تنصت إليه حقًا.

٨) **دعه يواصل كلامه وسوف يتضح موضع شكواه وهمومه**، وهذا هو الوقت الذي تنتقل فيه إلى المرحلة التالية، حيث تستطيع أن تشارك بقدر أكبر من التحاور والتفاعل.

٩) **استرجع في كلمات من عندك ترجمتك لما قاله ابنك**، لكي تؤكد له أنك تسمعه وتفهم ما يشعر به، ، قد تندهش عندما تجد نفسك بعيداً جداً عن المعنى المقصود. ربما أن تفسيرك لم يوضح حقيقة شعوره، أو ربما أعطت مجرد تلميح لما لا يستطيع أن يعلن عنه صراحة. كن حريصاً على أن تلتقط من الحديث مفاتيح تساعدك على تجنب الفهم الخاطئ، لكن عليك أيضاً أن تتذكر دائماً أنها مجرد مفاتيح ولا شيء أكثر من ذلك.

١٠) **لا تخمن ما يقصده ابنك في حديثه** إذا قال: «لن أستطيع أبداً أن أنتهي من كتابة موضوع التعبير في الوقت المحدد» أجبه بقولك: «إنك تشعر بتوتر وعدم ثقة في أنك ستؤدي واجباتك بشكل جيد، أليس كذلك؟»

وليكن ما تقدمه له استرجاعاً لا نصيحة. فالاسترجاع الهادئ ينتج عنه إحساس بالرعاية والصداقة الحميمة.

١١) **تحقق من أنك تفهم ما تسمع بأن تسأل ببساطة**: «أعتقد أن ما تقوله هو كذا...وكذا. هل أنا محق؟ »مجرد سؤال. في هذا التوقيت من الحوار، سؤال كهذا لا يعني فقط الاسترسال فيه، لكنه سؤال ضروري.

إذن هناك هدفان رئيسيان للإنصات الفعال:

١- فهم ما يفكر فيه طفلك ويعتقده من منظوره الخاص.

٢- التحاور مع طفلك من أجل التأكد من فهمك له.

أحياناً يكون كل ما يحتاج إليه الطفل جمهورًا هادئًا يمنحه الاطمئنان ويطرح أسئلة في الأوقات الملائمة. وطالما يشعر طفلك بأنه يُسمع، فإنك تكون قد أقمت بذلك نوعاً من التواصل يحد من مشكلات سلوكية خطيرة وطويلة الأمد.

***

تواصل معه

إلى أي مدى تجيد التواصل مع أطفالك؟ اطرح هذا السؤال على نفسك بأمانة. هل تكون مشغولاً بقراءة الجريدة أو بطهي الطعام أو بالتفكير في شئون العمل وهم يتحدثون إليك؟ هل تعتقد أن إيماءك برأسك للآخرين كافياً لإظهار اهتمامك؟

إن الأطفال يدركون بسهولة ما إذا كانوا يحظون بالانتباه الكامل من قبل الآباء أم لا. ومن ثم تسمع أحدهم يقول: «أنت لا تسمعني!» أو «لا أحد يهتم بي!».

كل طفل يختلف عن الآخر ويحتاج إلى اهتمام شخصي. أي أن كل طفل يستحق معاملة خاصة حتى يشعر بالحب والتقدير. أحياناً يكون من الصعب توزيع اهتمامك على أطفالك خلال يومك المشغول بالشكل الملائم لكن حتى الدقائق القليلة التي تمنح كلاً منهم إياها يمكن أن تصنع فارقاً كبيراً في الطريقة التي يشعر بها كل طفل نحو نفسه. أيضاً يعد هذا أمراً ضرورياً من أجل التواصل الناجح والمنتظم الذي يتيح لك رصد المشكلات في حياة كل طفل من أطفالك ومساعدته على إيجاد الطرق التي يتغلب بها عليها.

وعندما تقضي وقتاً منتظماً مع أطفالك -كل منهم على حدة- فإن هذا يتيح لك تنمية علاقة ألفة ومودة لا تظهر في ظلها المشكلات. فعندما تظهر فهمك وحبك غير المشروط وقبولك واستعدادك لرؤية الأشياء من منظور

طفلك سوف تنمو لديه الثقة التي يحتاج إليها كي يدلي إليك بأسراره وهو مطمئن البال. أيضاً فإنه سيتعلم أن المشكلات يمكن السيطرة عليها وأن حلولها ليست في الانفجار غضباً أو البكاء أو النحيب أو الثورة العارمة لكنها تتمثل في المناقشة المنطقية.

جميع الأطفال يشعرون بالسعادة والتقدير عندما يصبحون محور اهتمام وتركيز آبائهم حتى وإن كان هذا لوقت قصير.

واعلم -أخي الحبيب- أن كثيرًا من السلوكيات السيئة وغير المرغوبة التي يسلكها الأطفال تكون بدافع جذب انتباه آبائهم. فإذا علم الطفل أن الأدب والهدوء لا يوصلان إلى شيء يمكنك أن تتوقع أن يزيد من الفوضى والشغب؛ لأن هذه الأمور تجدي في جذب الانتباه. حتى الكلمات الغاضبة والعقاب أفضل عنده من لا شيء.

وإن إحساس الطفل بأن المحيطين به يفهمونه ويقدرونه وينصتون إليه ويتفاعلون معه يشعره بالسعادة لا محالة، فتجاهل الطفل والانصراف عنه والتوقف عن مدحه وتقديره وإسكاته وعدم الإنصات إليه والانشغال عنه يحزنه ويفقده الشعور بالسعادة، فبعض الأمهات يتحدث إليها طفلها فتأمره بالابتعاد عنها لأنها تطبخ أو تصفف شعرها أو تحادث صديقتها في الهاتف أو أنها منشغلة بمتابعة أحداث الفيلم أو البرنامج التلفازي. ويأتي الوالد من عمله متعباً فلا يستطيع التفاعل مع ابنه أو التجاوب معه والرد على أسئلته، وكذا المعلم في المدرسة تراه منشغلاً بشرح الدروس ولا يسعفه الوقت للرد على استفسارات الأطفال.

وإذا لم تستطع أن تتواصل مع أبنائك فسيكون للمجتمع ساعتها اليد العليا في التعامل معهم.

اختلاف الأجيال:

وينبغي أن تعرف أخي المربي أن جيلك يختلف عن جيل أبنائك كما اختلف -ولو بنسبة قليلة- عن جيل آبائك وهنا نتذكر القول المأثور لأمير المؤمنين علي ﷺ: [**لا تقسروا أبناءكم على آدابكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم**].

إن فجوة عدم التواصل لدى بعض المربين تكون مجرد شق صغير بينما تتسع لدى البعض الآخر لتصبح مثل واد سحيق يفصل بين الأبناء وآبائهم.

وبعد هذه المعرفة يجب أن نعمل على ألا يكون اختلاف الأجيال مؤدياً لفجوة في التواصل بين الآباء وأبنائهم.

احرص دوماً -أخي المربي- على استيعاب أبنائك، وكرر بعض ما يصدر عن ابنك من خلال عملية التقليد مثل إعادة بعض كلامه أو إحداث صوت معبر عن لعبة بيده، وهذا التقليد نوع من المجاراة والمسايرة التي تحدث انسجاماً كبيراً في التواصل بين الطفل والوالد.

وعندما يأتيك أحدهم وقد قطع بنطلونه بشكل كاريكاتيري مضحك ليرد على اندهاشك بأنها الموضة، أو يأتيك وقد حلق جزءاً من رأسه وترك

جزءاً بشكل يدعو إلى الغثيان والتقيؤ.

إن زجر الطفل والصراخ في وجهه حينئذٍ لا يكون حلاً بل قد يكون حجر عثرة في طريقك للتعامل معه وتوجيهه.

إن التحاور مع الطفل والاستماع إليه بهدوء ومحاولة إقناعه باحترام هو الطريق الصحيح، وإن لم يقتنع الطفل فالأحرى تركه على حاله بدلاً من خسارته للأبد.

التقارب البدني:

تأثير التلامس والتقارب البدني أمر ضروري ومهم لجميع البشر سواء كانوا كباراً أو صغاراً، والقرب من الطفل بدنياً يلعب دوراً قوياً في نموه. وتشير الأبحاث إلى أن هذا الأمر يبقى مهماً كطريقة لتبادل الحب والاهتمام بين الآباء وأطفالهم.



والتواصل البدني له لغته الخاصة فهو يمنح الطفل مشاعر الاطمئنان والأمان والحب التي تعجز الكلمات عن منحها له، فمجرد التربيت على الكتف أو الحضن الدافئ أو إمرار اليد على شعره يمكن أن تنقل جميعها معاني القبول والحب التي تخبر طفلك بمشاعرك نحوه. اجعل أمر التواصل البدني يأتي بصورة طبيعية. راقب علامات حاجة طفلك إلى شيء من الاطمئنان والحنان وامنحه إياهما.

والطفل الذي يسعى إلى جذب الانتباه قد لا يحتاج شيئاً سوى قدر يسير من الاهتمام. اجلسا معًا ومعكما كتاب وضع ذراعك حوله. وإذا رأيته يقوم بأداء الواجب فاحتضنه. وإذا كان يبكي فلا تنتظر منه أن يكون أكثر نضجاً. اجلس بجانبه وامنحه الحب والحنان من خلال التواصل البدني.

التفهم:

في كتاب [**كيف تتحدث بحيث يستطيع الأطفال التعلم منك**] تتحدث أديل فاير، وايلين مازليش عن الاستماع إلى مشاعر الأطفال واحتياجاتهم ثم تلخيص وجهة نظرهم ثم التعبير عن مشاعرنا واحتياجاتنا نحن كآباء وأمهات ومعلمين وأهمية ذلك في التواصل مع الأطفال، ومن ذلك:

تعبير الطفل عن مشاعره

- أنا أشعر بالغضب والضيق عندما يضربني.
- أنسى ما أريد أن أقوله عندما يقاطعني.
- لا يعجبني أن يصفني أحد بالغباء.
- سخريته مني تحزنني وتحبطني.
- احتاج لمن يعلمني لا لمن يحرجني أمام زملائي.
- منعي من اللعب يغضبني كثيراً.
- لا أحب أن أقوم من أمام التليفزيون.

تلخيص وجهة نظره

- الضرب يضايقك ويشعرك بالخزي.
- الانتقاد الحاد يؤذيك.
- يحزنك وصفك بالغباء.
- إحراجك أمام زملائك أمر مؤلم بالنسبة لك.
- من الواضح أن مقاطعتك عند الكلام ينسيكَ ما كنت تريده.
- إذن أنت تريد وقتاً أطول للعب.
- أنت تستمتع بمشاهدة التليفزيون كثيراً.

التعبير عن مشاعرنا نحن

- أتأذى من الإصرار على عدم استذكار الدروس والاستعداد الجيد للامتحانات.
- خوفي عليك يضطرني أحياناً للتجاوز رغماً عني.
- أنت تترك كل شيء حتى اللحظة الأخيرة وهذا أمر مزعج لي.
- سهرك يتعبني عند إيقاظك في الصباح.
- ما يضايقني هو أنك لا تستمع إلى نصائحي.

***

أطلق العصفور من قفصه

قليل من الآباء من يذكر كيف كان عفريتًا في طفولته، وأقل من هؤلاء من يسمح لصغاره بتقمص الدور الشيطاني الذي لعبه مئات المرات في سني حياته الأولى! والغالبية من الآباء تتوقع من الصغار التصرف بحكمة الكبار ورزانة الشيوخ ونبل الأمراء! وغني عن الذكر أن توقعات الآباء في هذه الحالة في غير محلها، ولا يمكن اعتبارها توقعات معقولة بأي مقياس من المقاييس.



لذا تأتي الخطوة الأولى من الوالدين وذلك بإدراك معنى الطفولة والنزول إلى مفهومها الواقعي، وليس بمطالبة الصغار بالارتفاع إلى مستوى أحلام وأماني آبائهم، وهذه النظرة الواقعية إلى عالم الصغار كفيلة بتغيير الموقف تغييراً جذرياً، فالصغير نبتة نامية من حقها استكشاف بيئتها والعالم من حولها، في حرية فطرية لا تعرف قيود الكبار! ثم إن الصغير كائن برئ لم يتقن التمثيل بعد ولا يجيد فن ارتداء الأقنعة؛ لذلك يجب ألا تفرض عليه قيود التمثيل الاجتماعي التي يتقنها الكبار ويسمونها [إتيكيت] وإنما

يجب أن تترك له حرية التعبير البريء مطلقة من كل قيد مع التصرف بحكمة تسمح له أن يعيش طفولته في حرية وبراءة.

وأفضل طائفة من الآباء تلك التي تتيح لأطفالها حرية التعبير عن المشاعر والرغبات، وتتيح لهم مجالاً لأن يعيشوا طفولتهم، وحرية لأن يكونوا أنفسهم، وفي نفس الوقت تكسب أطفالها احترام حقوق الآخرين وحاجاتهم.

إن الطفل في حاجة إلى حرية الحركة والمشي والجري والقفز والكلام والتسلق والحفر والفك والتركيب والسؤال والرسم والتلوين والقراءة واللعب بكل مظاهره مع نفسه ومع الصغار ومع الكبار، في النادي وفي البيت وفي المدرسة وفي الشارع.

فلا يمنعن الخوف على الطفل أحداً من أن يترك طفله بحريته غير مقيد بالتوجيهات الصارمة أو بالمساعدات الدائمة، فإن الطفل عندما تزداد المبالغة في حمايته يفقد نشاطه وبراءته وتلقائيته التي تميزه خشية أن يصاب بمكروه.

فإن التمتع بالاستقلالية والاعتماد على النفس واتخاذ القرار والمشاركة برأيه فيما يدور حوله، من الأمور التي تسعد الطفل وتبهجه رغم أن قراراته قد تكون غير صائبة، ووجهة نظره قد تكون ضعيفة بالنسبة للكبار طبعاً، ولكنها تعني بالنسبة له الكثير. فالمربي الناجح هو الذي يُعلِّم ابنه أن يكون له إرادة واستقلالية فيقول: «أنا أريد هذا». ولا يقول: أبي يريد هذا. ولسنا نقصد بالاستقلالية الحرية غير المنضبطة ولكننا نقصد منها عدم التسلط

والتدخل في حركات أبنائنا وسكناتهم فيصيرون كأنهم دمى نحركهم على مسرح العرائس، لا إرادة لهم ولا قرار ولا رأي ولا مشاركة.. فهذه حتماً سيكون نتيجتها تعاسة الأبناء وسلبيتهم تجاه مواقف تحتاج منهم لرد فعل واتخاذ قرار والمشاركة بآرائهم وملاحظاتهم واقتراحاتهم. والديكتاتورية من السلوكيات السيئة التي تفقد الأبناء سعادتهم.

إن هدفنا طويل الأمد هو ألا نفرض سيطرتنا على أبنائنا للأبد. فاترك الأطفال يشتركون في المناقشات ويعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم، فإن هذا هو جوهر الأسلوب العادل والصحيح في التربية والذي يبنى على أساس الاحترام والتفاعل وليس الأوامر العسكرية.

ومن الفوائد الجانبية لمشاركة الأطفال، أنهم يشهدون ما يحدث وهم يناقشون ويفهمون ويوافقون على هذه القواعد، مما لا يترك مجالاً للجدل فيما بعد عندما يحدث تجاوز منهم لهذه القواعد التي ساعدوا في وضعها.

الخيارات لا المسارات:

نحن جميعاً نتفهم الإحساس الذي نشعر به عندما نكون عاجزين أو مقيدين بسبب رئيس متسلط أو ظروف مالية صعبة أو حتى بسبب ضيق الوقت. كيف تكون ردود أفعالنا؟ بالطبع فإننا نشعر بالإحباط أو الغضب أو اللامبالاة. فلماذا إذن ننتظر من أطفالنا أن يستجيبوا بطريقة مختلفة عندما نسلبهم أي شعور بالتملك أو السيطرة أو غيرهما؟

إن الحياة تقوم على أساس الاختيار والتعلم مما يحدث. وهذا هو جوهر أسلوب التأديب: **تعليم أطفالنا اختيار السلوكيات والأفعال الملائمة،**

فحتى يتعلم الأطفال فن صنع القرارات مثلاً، هم في حاجة لأن تتاح لهم حرية الاختيار بشكل منتظم.

وتقديم البدائل والخيارات ليس معناه التخلي عن القواعد. لكن العكس هو الصحيح. إنه يتضمن إفساح مجال للقرارات الشخصية في إطار منظومة القواعد والتوقعات الخاصة بالأسرة. وهو يعطي للأطفال بعضاً من السيطرة على بيئتهم وسلوكياتهم، ويعلمهم أن هناك عواقب تترتب على أفعالهم. وإليك الكيفية التي تجدي بها طريقة الاختيار بصورة عملية.

- «إذا فعلت واجبك المنزلي الآن، يمكنك أن تشاهد التلفاز لمدة عشرين دقيقة بعد العشاء. وإذا لم تفعله فسوف يتعين عليك الذهاب إلى الفراش بعد العشاء مباشرةً».
- «إذا عدت إلى البيت في الساعة العاشرة مساء، فسوف أثق بك وأسمح لك بالذهاب للتنزه مع أصدقائك. أما إذا لم تعد إلى البيت في الوقت المحدد، فلن أستطيع أن أثق بك أو أسمح لك بالذهاب بمفردك».

وأياً كان الموقف، أعط طفلك فرصة الاختيار وأخبره بعواقب كل خيار.

وهذه الطريقة تجدي حتى مع الأطفال الصغار، الذين سيتعلمون سريعاً أنهم إذا اختاروا خياراً يحقق لهم مكسباً أو اهتماماً قصير الأمد، فسوف يخسرون مكافأة أو متعة متوقعة. والأطفال الأكبر سناً سيشعرون

بأنهم مشاركون في الطريقة التي تسير بها حياتهم.

ومن الحرية عدم فرض شيء عليهم إلا إذا دعت الضرورة لذلك كأن تسأله:

- ✍ هل تريد عصيراً أم حليباً؟
- ✍ هل تريد عمل واجبك على طاولة السفرة أم على طاولة المكتب؟
- ✍ هل تريد حل الواجبات قبل الطعام أم بعده؟

ولكن ليس التخيير دائمًا مستحبًا فلا تسأل أطفالك الصغار إذا كانوا مستعدين لتناول العشاء أم لا، أخبرهم بأن الوقت قد حان لتناول العشاء. وهناك فرق شاسع بين الحالتين وهذا ليس تقييداً للحرية.



فكر معنا

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١) من مقومات إسعاد الطفل (العقاب العادل-تلبية جميع رغباته-احترام مشاعره).

٢) الضحك يزيد الاستيعاب (١٢-١٤-١٠٠) مرة.

٣) من أكثر ما يؤلم الطفل (الاستخفاف بمشاعره-اللعب معه-استذكار الدروس).

٤) أحبب ولدك (يعاند-يغضب-يتغير).

٥) تؤكد أحدث الدراسات أن (٥٪-١٠٪-٦٠٪) فقط يحبون أبناءهم.

٦) من علامات حب الآباء للأبناء (تقبيلهم-المذاكرة لهم-حكاية القصص لهم).

٧) من وسائل إسعاد الطفل (التنافس معه-الإصغاء إليه-النوم بجانبه).

٨) من علامات احترام المشاعر (الإصغاء وإعادة المشاعر-البكاء مع الطفل-منع الطفل من البكاء).

٩) احترام مشاعر الغضب عند الطفل (يجرئه على المربي-لا فائدة منه-يسعد الطفل).

١٠) الإنسان عندما يبتسم يحرك (١٢-١٣-١٤) عضلة من عضلات وجهه.

***



كثيرًا ما أجاب الآباء على سؤال (كيف تسعد أبناءك) بقولهم: بجلب الهدايا أو بالفسح أو بزيادة المصروف أو بعدم ضربهم أو ..... أو ....

وفي هذا الباب نرد على هؤلاء بمفهوم السعادة الحقيقية وبكيفية إشباع الأبناء حبًا وتبسمًا ولعبًا واحترامًا وإصغاءً وتواصلاً وحرية.

وأشرنا إلى محظورات تربوية تجلب التعاسة للأبناء فتحدثنا عن تحطيم إنجازات الطفل وإهانته والتطفل بالدخول إلى عالمه الخاص والنيابة عنه فيما يجب أن يقوم هو به.

***

الباب السادس

كتالوج الطفل

تمهيد
موهبته
هوايته
مناخه
مشكلاته
الحاسة الرئيسية لديه
الطريق إلى قلبه
خصائص مرحلته السنية
ترتيبه في الأسرة
فكر معنا
الخلاصة

تمهيد

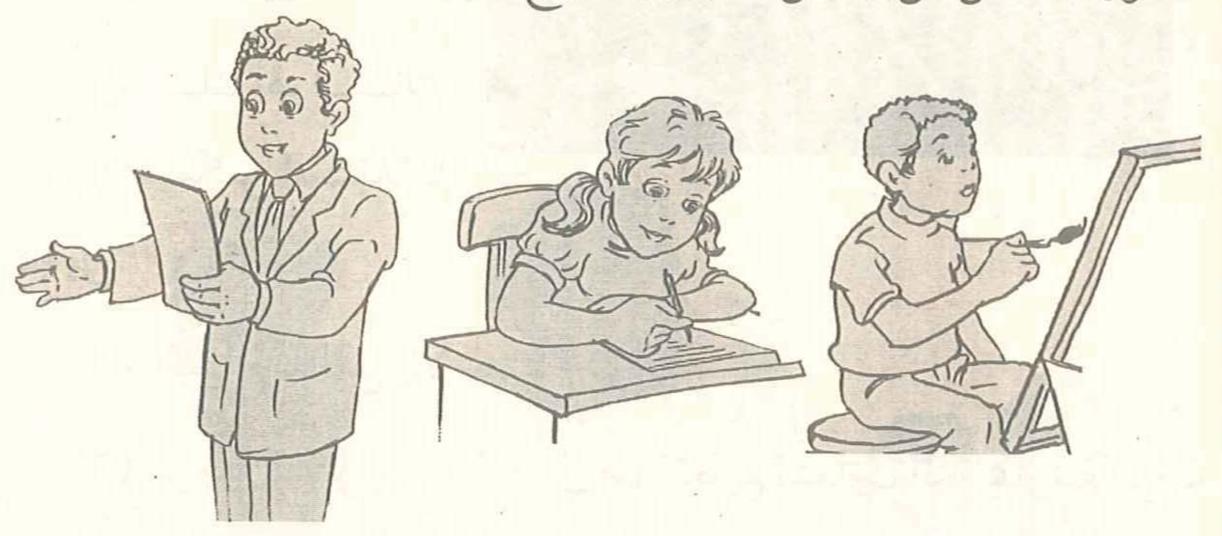
المعروف بداهة أنه لا يمكن التعامل مع آلة بشكل سليم إلا بمعرفة طريقة التشغيل وما يناسبها وما لا يصلح لها، وكذلك عند التعامل مع إنسان لابد أن تتعرف على ما يحب وما يكره وأبرز سماته الشخصية والبيئة التي تربى فيها كي نستطيع التواصل معه بشكل سليم.

وفي هذا الباب سوف نتحدث بإذن الله عن كيفية قراءة الطفل قراءة سليمة ومن ثم نتعرف على المداخل إلى قلبه وخصائص مرحلته العمرية والبيئة التي نشأ فيها وكيف تؤثر تربيته بين أشقائه على التعامل معه، وبالتالي نحسن فهمه والتعامل السليم معه.

***

موهبته

لكل طفل موهبته الخاصة وقد تكون الغناء أو التمثيل أو الرسم أو الخط أو الخطابة، وعلى المربين بذل الجهد من أجل كشف الموهبة ثم تنميتها وتربية الصغار وتوجيههم من خلالها. فمن وهبه الله صوتاً جميلاً فمن المهم تحبيبه في حفظ الأغاني الهادفة بعد تلحينها له. ومن وهبه الله التمثيل وتنوع الحركات وتقمص الشخصيات فينبغي توجيهه من خلال تدريبه على أداء مشهد تمثيلي ينمى من خلاله تلك الموهبة ويشعره بذاته وبالثقة في نفسه وتنغرس في نفسه قيمة جديدة وسلوكاً جديداً. ومن وهبه الله الخطابة والتحدث أمام الناس ينبغي تدريبه على ذلك وتشجيعه عليه من خلال حضور ما أمكن من مجالس الكبار والسماح له بالتحدث فيها.

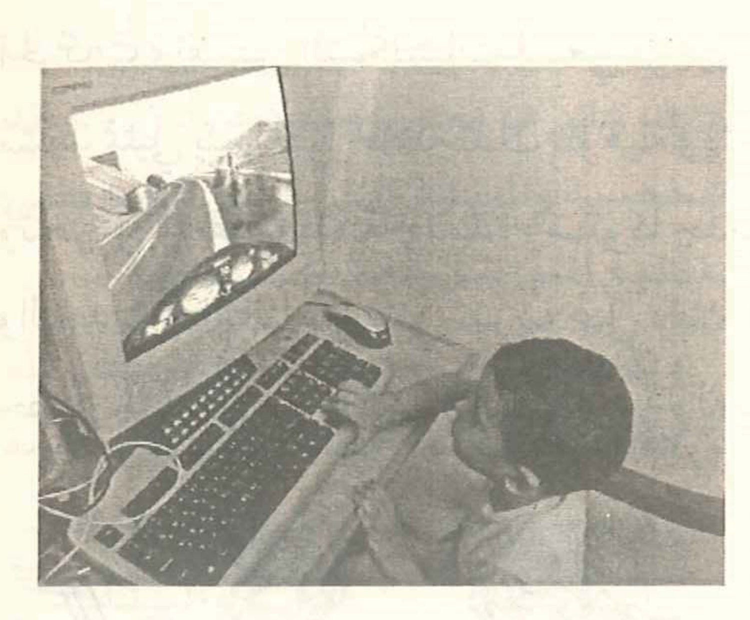


والذي نحب التنويه عنه هنا أنه ليس من اللازم أن تكون موهبة الطفل محببة لديه أو يقضي وقت فراغه فيها وهذا هو الفارق المهم بين الموهبة والهواية.

***

هوايته

لكل طفل هوايته التي يحب قضاء وقت فراغه فيها ويستمتع بممارستها كثيراً، والهواية تختلف عن الموهبة في أنها مكتسبة ويمكن التحول عنها إلى غيرها، كما أنها تكون محبوبة لدى الطفل أما الموهبة فهي فطرية غالباً وقد لا تكون محبوبة لديه.



أما الهوايات فمن أمثلتها لعب كرة القدم وتصليح الأجهزة وجمع الطوابع والقراءة ولعب [البلاى ستيشن].

وتلك الهوايات وغيرها يمكن استغلالها كما يلي:

١) السماح للطفل بالاستمتاع بهوايته.

٢) توجيه الطفل من خلالها في مثل تعليم التعاون أثناء ممارسة هواية كرة القدم، وإن كانت هوايته القراءة فيتم توجيهه إلى المفيد الهادف من القصص والمجلات وتصويب الخطأ فيما يقرأه، ومن كانت هوايته لعب [البلاي ستيشن] فيمكن توجيهه للألعاب التي تساعد على التركيز أو التصويب وتعلمه مهارة جديدة أو سلوكاً مفيداً.

مناخه

المناخ أو البيئة التي يحيا فيها الطفل هو أحد العناصر الخمسة للعملية التربوية (المربِّي والمربَّى والمنهج والزمن والمناخ) والتي لا تتم بشكل سليم بانتقاص أو إهمال أحدها.

ويا ترى ماذا ننتظر من الصغار الذين يتشاجر أبوهم مع أمهم ليل نهار وربما لأتفه الأسباب وبدلاً من التفاهم والتنسيق معاً في تربية أبنائهم نجد السب والشتم وتبادل الاتهامات فيما بينهما وضرب الأب للأم أو طردها.. كل ذلك سيؤدى بالطبع إلى تشويه الصغار سلوكياً ونفسياً فيفقدون الطمأنينة التي يجدها من ينعم بأبوين سعيدين في بيت هادئ، وهذا الفقدان يهون على الصغار السرقة والكذب والعدوانية والشعور بالنقص والحقد وكراهية الآخرين.



وليس العيب في الاختلاف بين الزوجين ولكن تكمن المشكلة في معرفة فن الخلاف وكيفية الاختلاف وليس بالصراخ في وجه الآخر أو بالشتم والسب وذكر العيوب والنقائص، وليس المطلوب هو إبعاد الطفل عن الخلاف بقدر ما يرى كيف يتعامل الوالدان مع الخلاف حتى يتعلم الطفل أدب الخلاف عندما يختلف مع أخيه الصغير وصديقه في المدرسة وكذلك عندما يتزوج.

وعلاقة الأطفال بآبائهم هي أول علاقة يعايشها الأطفال في حياتهم. وهذه العلاقة ينبغي أن تكون صحية وقائمة على المبادئ والأسس السليمة للحب والاحترام والاهتمام والتغذية والتوجيه والقبول والفهم والتواصل وحرية التعبير.

وليس البيت وحده هو المناخ الذي يؤثر في الطفل بل الروضة (الحضانة) والمدرسة هي بيئة مؤثرة أيضاً حيث يقضي فيها الطفل ثلث يومه تقريباً فينبغي حسن اختيارها ومتابعة الطفل من خلالها فهي محضن تربوي مهم.

***

مشكلاته

من غير المعقول أن يتعامل المربي خاصة غير الأبوين من المشرفين والمعلمين مع الطفل دون أن يعرف مشكلات الطفل في حال وجودها، فالطفل الذي يعيش بعيداً عن أحد والديه بعد انفصالهما تكون له طريقة في التعامل والاستيعاب تختلف عمن يعيش وسط أسرة سعيدة هانئة.



والطفل الذي يعالج من مشكلة نفسية يختلف عن الطفل السوي. والطفل المعاق أو الذي تأخر في النطق أو ما شابهه يحتاج لأسلوب معين خاصة إن بقيت رواسب لتلك العوائق القديمة. وهذا الذي ذكرناه مجرد نماذج لما يجب أن يعرفه المربي عن الطفل وهو يتعامل معه كي لا يقع الصدام، مع ضرورة التأكيد على أن يكون المربي أميناً فلا يذكِّر الطفل بمشكلاته ولا يخبر أحداً غيره بها، ولا يكون مخطئاً في موقف ثم تراه يجعل الطفل هو المخطئ كمن يهين الطفل حتى ينهار ثم يقول: الطفل هو الذي يعاني من الحساسية الشديدة.

***

الحاسة الرئيسية لديه

لكل طفل حاسة رئيسية من حواسه: [اللمس والسمع والبصر] ونقصد بالرئيسية أى التي يفهم الطفل من خلالها بشكل أسرع ويستخدمها أكثر من غيرها وعن طريقها يمكن استيعابه وتوجيهه بشكل أكثر فعالية. ولقد سمعنا أن النبي ﷺ كان يمسح على رأس طفل ويهتف بسر في أذن آخر وينظر بحب لهم وهم يلعبون.

ومعرفة الحاسة الرئيسية للطفل تفيد في عدة أشياء نذكر منها:

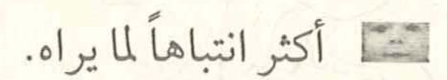
١) عدم اللوم على الطفل الذي لا يهتم بالنظر إلى معلمه كثيراً رغم أنه عندما يسأل أو يختبر يجيب بامتياز وتفوق، ذلك لأن حاسة السمع عنده هي الأساسية وقد فهم بها شرح المعلم، وكذلك لا يلام من يحب نظر المربى إليه كثيراً أثناء الحديث حيث تكفيه نظرة بحب عن الكلام الكثير، كما أن الطفل قد يحتاج من مربيه لأن يربت على كتفه أو يضع يده في يده أو يحتضنه أو يقبله فإن حاسة اللمس هي الرئيسية عنده.

٢) مراعاة التنويع في أسلوب التوجيه وطرق التدريس لتنوع الحواس

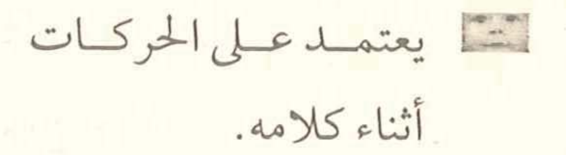
الرئيسية عند كل طفل؛ فهذا يحتاج لنظرة وذاك يحتاج إلى لمسة وآخر يحتاج إلى كلمة.

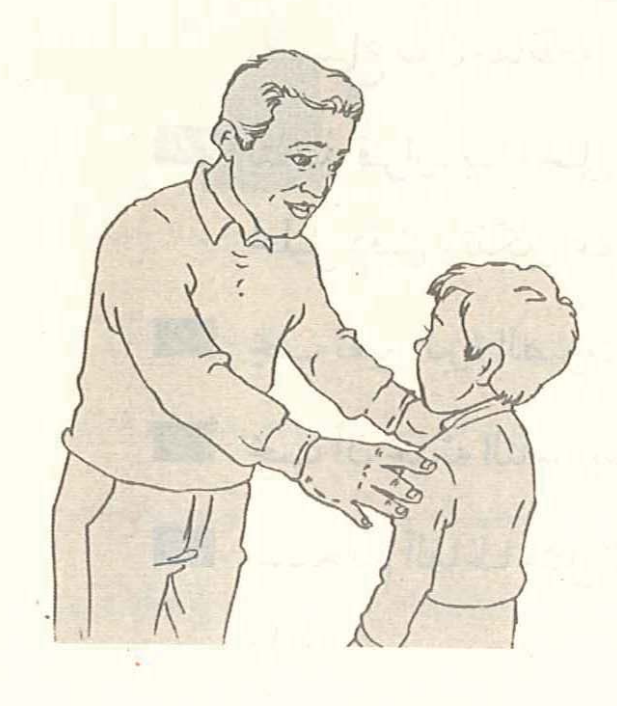
٣) مراعاة الفروق الفردية بين الصغار؛ فليس كلهم سواء بل هم مختلفون في استيعابهم تبعاً لاختلاف أمزجتهم وخواصهم والمؤثرات فيهم.

والطفل البصري يتميز بما يلي:

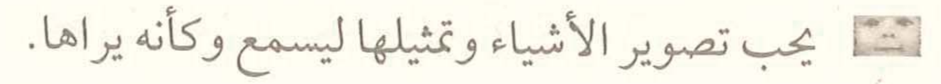


- أكثر انتباهاً لما يراه.
- يتحدث بسرعة.
- يعتمد على الحركات أثناء كلامه.





- قد يقاطع المتحدث.
- يتحدث بصوت مرتفع.
- يتخذ قرارات فورية مما يدفع للمجازفة أحياناً.
- يحب تصوير الأشياء وتمثيلها ليسمع وكأنه يراها.



- يستخدم ألفاظًا مثل: أتصور-أرى-أركز-أراقب-أتخيل-لون-رؤية-وجهة نظر-ظهور.
- يفضل معه الأسئلة مثل: هل تتخيل.........؟ هل تتصور أن........؟ هل ترى أنك..........؟

أما الطفل السمعي فيتميز بما يلي:

- يركز أكثر على ما يسمعه.
- يفضل الامتناع عن الكلام.
- لديه قدرة فائقة على الاستماع دون مقاطعة.
- يتخذ قراره بناء على تحليل دقيق وتفكير عميق.
- يحب تغيير نبرة الصوت لمن يحدثه.
- يحب أن يحدثه الناس ببطء ووضوح.
- يستخدم ألفاظًا مثل: أصوات-أستمع-إنصات-يقول-كلام.
- يفضل معه الأسئلة والحوار مثل: هل تسمع ما أقوله؟ هيا نتحدث عنك-اسمع لدي فكرة جيدة.

أما الحسي فيتميز بما يلي:

- يلتفت أكثر إلى ما يشعر به.
- هادئ الطبع.
- يحب اللمسة الحانية والكلمة الرقيقة.



- يستخدم ألفاظًا مثل: إحساس-لمس-شعور-انفعال-إحباط-مرهق-مرتاح-هدوء.
- يستخدم معه الأسئلة والحوار مثل: هل تشعر بالارتياح؟ ماذا يضايقك؟ يبدو أنك حزين؟ أنا أشعر بألمك؟

***

الطريق إلى قلبه

لكل قلب مفتاح ولكل إنسان مدخل، ويختلف الناس فيما بينهم في ذلك فهذا يكون المدخل إلى قلبه الطعام وهذا تكون الهدية وثالث تكون الكلمة الطيبة وآخر يكون المدح والثناء، وكذلك الأطفال يكون لكل واحد منهم مدخل إلى قلبه، وإن استطاع المربي التعرف على هذا المفتاح وأحسن استخدامه لكان لذلك كبير الأثر معهم من حيث قبولهم للمربي وحبهم له وطاعتهم إياه وحسن التلقي منه ويكون مثلهم الأعلى وقدوتهم وموضع سرهم ومتنفسهم.

والتعرف على الطريق إلى قلب الصغير يحتاج إلى تجربة كثير من وسائل الحب والتودد لمعرفة أيها يستهويه وينجذب إليه، ويكون أشد عقاب له أن يحرم منه، ويكون في قمة الانضباط والحب والسعادة مع هذا الشيء.. فقد يحب الطفل التنزه والرحلات فتكون الطريق إلى قلبه أو يحب المدح والثناء أو الحرية أو أخذ رأيه واحترامه أو محاورته أو الاستماع إليه أو لعب الكرة أو نزول البحر.. أو اللعب مع الكبار أو غير ذلك.

ولقد كان النبي ﷺ يشرك أحد الصغار في معركة ويلعب مع ثان ويجلس ثالثًا معه وسط كبار أصحابه ﷺ ويردف خلفه آخر؛ فهو يعلم أن لكل مدخله وإمكاناته ومفتاحه.

***

خصائص مرحلته السنية

معرفتك خصائص المرحلة السنية التي أنت بصدد التعامل معها أمر مهم في بناء الطفل على أسس سليمة حيث إن الطفل تختلف خصائصه واهتماماته وحاجاته وميوله من عام لآخر، فلا يكون التوجيه واحداً لطفل السادسة مع طفل العاشرة مع طفل الثالثة عشرة، فلكل منهم خصائصه التي يجب مراعاتها من قِبل المربين. فطفل السادسة مثلاً لا يمكن أن نعلمه الإخلاص إذ هو معنى مجرد لا يفهمه ولا يدركه لكنه يصلي عندما نعطيه الشيكولاته حيث إنه لا يفهم معنى تصحيح النية في هذه السن.

ونحن هنا نشير فقط إلى أهمية معرفة خصائص المراحل السنية للأطفال الذين نتعامل معهم ولا نستطيع ذكر هذه الخصائص كاملة إذ إن لها موضوعها الخاص بها ولسنا بصددها الآن، والكتب المتخصصة في مجال علم نفس النمو تتحدث عن ذلك باستفاضة فليرجع إليها، وإن كنا نود الإشارة إلى ذلك بشكل موجز ليتضح ما نريده:

١) يحب الصغير الجري عارياً في العامين الأولين ولا يعني هذا أنه عديم الأدب بقدر ما يعني عدم معرفته بمعنى ذلك ومثله عندما يلمس أعضاءه التناسلية.

٢) يحكم الصغير في العامين الأولين على السلوك بأنه خطأ أو صواب في ضوء ما ينتج عنه من سرور أو ألم له شخصياً لا في ضوء القبول أو الرفض الاجتماعي.

٣) يرفض ابن السنتين أن يشرك ولدًا آخر في ألعابه، فلا يقال عنه إنه بخيل وأناني، لأن الطفل في هذا العمر يتميز بأسلوب لعب منفرد ولا يدري معنى المشاركة.

٤) إن مهارة الاستقلالية والاعتماد على الذات تبدأ في السنتين الأوليين من عمر الطفل، فهو يريد أن يأكل بمفرده، ويفتح كيس الحلوى بنفسه وينفخ بالونته وأن يلبس ملابسه دون مساعدة. والطفل في هذا العمر يريد أن يحل مشكلته بنفسه، ويريد حل جميع المشكلات التي تواجهه دون تردد وبأي وسيلة ودون الاعتماد على الآخرين.

٥) يسأل الطفل كثيراً منذ العام الثالث حتى تتراوح نسبة الأسئلة ١٠-١٥٪ من مجموع حديث الطفل وقد يفهم الإجابات وقد لا يفهمها بل قد ينصت لسماع الإجابات بشكل عام وقد لا ينصت.

٦) العناد أمر معروف عند طفل الثالثة إلى الخامسة فليس انتقاماً أو إغاظة للمربي بقدر ما هو طبيعة مرحلة سنية.

٧) من العام الثالث إلى العام السادس تكون ذاكرة الطفل حادة بحيث يذكر لك موقفًا مر به أو كلمة سمعها منذ شهر أو أكثر، وليس معنى هذا أن قلبه أسود أو أنه يحمل الضغائن ولا ينسى الإساءة بل هي طبيعة مرحلة حيث يذكر المحاسن والمساوئ على السواء.

٨) عندما يسأل ابن الرابعة أمه أسئلة حول الموت، لا يجب أن تقلق معتقدة أن ابنها يمر بأزمة نفسية عميقة؛ لأن هذا النوع من الأسئلة شائع جداً في هذا العمر عند الأطفال.

٩) عندما تلاحظ الأم أن ابنتها في السادسة من عمرها غير مرتبة ودائمًا تنسى أشياء في المدرسة أو في البيت، لا يجب أن تستنتج أن الطفلة تعاني من مشكلة في الذاكرة، لأن هذا السلوك طبيعي جدًا في هذا العمر نتيجة تعرض الأولاد لمجموعات هائلة من المثيرات يوميًا تتطلب منهم التركيز والاستيعاب الفوري، مما يؤدي إلى ازدياد النسيان عندهم لأمور تبدو تافهة بالنسبة لهم مقارنة بأمور أخرى تحتل الأولوية في سلم اهتماماتهم الخاصة.

١٠) يحاول الطفل لفت الأنظار إليه عن طريق البكاء كما يستخدم هذا البكاء أحياناً كسلاح لقضاء حاجاته وتنفيذ طلباته، وهنا لابد أن نتعمد تجاهله بعض الشيء إن تأكدنا أنه يستخدم البكاء كسلاح يأخذ به ما يريد، ولكن لا يكون هذا في العام الأول إذ ربما يكون سبب البكاء مرضاً عضوياً أو غيره.

١١) ليس معنى أن الصغير يتحدث مع نفسه وهو يلعب أنه مجنون أو أنه ثرثار بل هو أمر طبيعي ومهم لتنمية شخصيته بشكل عام وجهاز النطق عنده بشكل خاص.

١٢) مع بداية مرحلة البلوغ يميل الطفل إلى التمرد والاستقلالية ويصبح صوته خشنًا أجش مع ارتفاع فيه، ويحسب الناس أن

رفع الصوت هذا قلة أدب منه ولكنه طبيعة مرحلة تحتاج للمصاحبة من المربين وليس التعامل ندا بند.

من المهم أن نعرف أن:

١) المقصود بخصائص المراحل السنية الجوانب الخمسة للنمو دون فارق بينها وهي: الجسمي-النفسي-العقلي-الاجتماعي-الروحي. فبالتوازن الجسمي يتوازن النمو العقلي وبه يتوازن الاجتماعي والروحي والنفسي وهكذا.

٢) معرفة خصائص المراحل السنية تسهم بشكل كبير في ضبط ردود الأفعال تجاه الطفل وتمتص الغضب الناتج عن سلوكه الخاطئ حيث إن الطفل في هذه السن يتصف بالعناد فهذا يدعو للصبر على الطفل، ومثلها معرفة كثرة حركته وبالتالي كثرة أخطائه، فالعلم بأن ذلك من خصائص مرحلته السنية الحالية يقلل من حدة الانفعالات ضده.

٣) معرفة خصائص المراحل السنية يكون قبل المرحلة وليس أثناءها أو بعدها ليكون التهيؤ اللازم لأفعال الطفل خاصة السلبية منها والتكيف معها، والاستعداد بالإرشادات اللازمة والتوجيهات المناسبة والتنسيق بين البيت والمدرسة أو البيت والمسجد أو البيت والنادي من أجل الوصول بالطفل إلى بر الأمان.

٤) هناك بعض الخصائص تكاد تكون مشتركة في معظم مراحل الطفولة نذكر منها: كثرة الحركة والتقليد الأعمى والتفكير

التخيلي وكثرة الأسئلة واللعب وعدم التمييز بين الثواب والخطأ وحب الاستطلاع وجهل المصطلحات والمفاهيم المجردة مثل الأمانة والإخلاص والحرية.

٥) كثير من الخصائص والسمات التي ننزع إلى قمعها في أطفالنا كالإصرار والعناد والفخر والحماس وفوران الطاقة والتفاوض المستمر وروح المرح والدعابة، هي نفسها الخصائص والسمات التي نقدرها بشدة عند البلوغ.

***

ترتيبه في الأسرة

من بين العوامل التي تؤثر في شخصية الطفل بصفة عامة ترتيبه بالنسبة لإخوته، كأن يكون هو الطفل الأول أو الثاني أو الأخير، أو يكون هو الطفل الذكر بين عدد من الأخوات، أو تكون الطفلة هي الأنثى الوحيدة بين عدد من الإخوة. كما قد تتأثر العلاقات بين الطفل وإخوته وبينه وبين والديه بالفارق الزمني بين عمر الطفل وأعمار أشقائه، كل هذه الحالات يترتب عليها علاقات معينة ذات طابع خاص بين جميع الأفراد الموجودين في المجال الحياتي للطفل سواء تعلق الأمر بأشقائه أو شقيقاته أو بوالديه. ودون أن يشعر الوالدان فإنهما يتأثران في تعاملهما مع الطفل بالمركز الذي يحتله داخل الأسرة، بل إن هذا التأثير قد يكون واضحًا وحاسمًا في بعض الحالات الخاصة كحالة الطفل الذي يأتي بعد وفاة عدد من أشقائه، أو حالة الطفل الوحيد.

الطفل الأول (البكر)



تجد الآباء يتعاملون مع الطفل الأول بالنسبة لإخوته على أنه أب ثان لهم، فيطلبون منه التفاعل معهم بشكل كبير لكي يقضي حاجاتهم وينظف أجسامهم ويستذكر لهم

دروسهم ويلاعبهم، وكذلك يعاقبهم كيفما شاء ويستطيع الاستيلاء على ألعابهم وممتلكاتهم. وفي المقابل يطلبون من أشقائه احترامه كالأب والأم وألا يرفع أحدهم صوته عليه وألا يناقشه، وكثيراً ما نسمع عبارة [هو أخوك الكبير] ومن بعدها تأتي قائمة الممنوعات والمباحات بالنسبة له تمييزاً عن أشقائه، وهذا يحمل كثيراً من الجوانب السلبية منها: حرمان الابن الأكبر من الاستمتاع بطفولته ومنها كذلك غرس الضغينة والإحساس بالظلم في نفوس أشقائه الصغار ومنها التفرقة بين الأشقاء ومنها التعامل مع الكبير على أنه ناضج العقل، وهو في النهاية طفل فيجب ألا نحمِّله فوق طاقته ويكون الاحترام المتبادل بين الأشقاء هو الأصل حتى لا تحدث ازدواجية في المعايير عند الأطفال، كما يجب ألا يحل طفل محل الوالدين أبداً ويكون التعامل مع الأبناء بالمساواة والعدل.

الطفل الأوسط

الطفل الأوسط في الأسرة ينزع إلى الشعور بأنه ليس له أهمية خاصة؛ فليس هو بالكبير الأفضل ولا بالصغير المدلل. ولهذا السبب يميل الطفل الأوسط إلى التمرد ويبحث عن طرق يجذب بها الانتباه-أي شكل من أشكال الانتباه-كي يتخلص من هذا الشعور المؤلم بأنه غير مرئي ولا يُعْتَد به.

هذا بالطبع لا يعني أن الأبوين يحبان طفلهما الأوسط بدرجة أقل من أشقائه؛ فالأمر ببساطة يتمثل في أن الغالبية العظمى من الآباء لا يتمكنون أبداً من إيجاد الوقت والجهد اللازمين للاحتفاظ بالاهتمام المكثف الذي

يطلبه الطفل الأول، ويكون من الطبيعي أن يصبحوا أكثر استرخاء بعده.

لكن فيما يخص السلوك، فإن الطفل الأوسط يجد أنه يستطيع أن يفلت من العقاب بصورة أكبر من أشقائه الكبار، ولذلك هو لا يخشى المحاولة.

إنه يميل إلى اختبار مسلك مختلف عن شقيقه الأكبر، من أجل أن يتجنب المنافسة وحتى يزيد من احتمالات ظهوره والاعتداد به. ولأنه يكون في الغالب في موقف أضعف بسبب عدم الاهتمام به بالقدر الكافي، فإنه يتعلم دروساً مهمة مثل التفاوض والتعاون والتعاطف والمشاركة الوجدانية. فبينما يميل الطفل الأول إلى أن يكون متميزاً حول نفسه، يهتم الطفل الأوسط اهتماماً حقيقياً بمعرفة الآخرين وفهمهم. لكن داخل الوحدة الأسرية، غالباً ما يشعر الطفل الأوسط بالعجز ويعتمد على تدخل أبويه لمساعدته، ولا يكون لديه قدر كبير من الثقة بنفسه وبقدرته على حل المشكلات.

الطفل الأصغر (آخر العنقود)

وحالة ثالثة نتحدث عنها وهي حالة الطفل الأصغر أو ما يسمى أحياناً بآخر العنقود وهو يحاط بعناية ورعاية تفوق بقية أشقائه. وليست الرعاية للصغير مشكلة بل هي واجبة، ولكن المبالغة فيها وأن تكون له وحده وأن تكون سبباً في حرمان الباقين من الرعاية والدلال فهذه هي المشكلة، فالطفل ما دام في مرحلة الطفولة فله حريات وحقوق وطرق في التعامل معه، ليس هناك فرق بين الأكبر والأصغر بحيث يحرم أحدهما أو يعطي الآخر حقوقاً تزيد على الآخرين. فمثلاً لا يشتري الأكبر جميع

احتياجات البيت بينما الأصغر (إن كان يستطيع ذلك) لا يشتري شيئاً فيكون الأمر بمثابة عقاب للأكبر.

ولا يأخذ الأصغر شيئاً من أخيه وعندما يحاول الأكبر أخذه منه تقول له الأم: اتركه لأخيك فإنه صغير. فهذا يزرع الحقد والكره ويعمق الغيرة في نفسه تجاه أخيه كما أن الصغير لا يتعلم إلا الأنانية والطمع.

الطفل الذكر وسط البنات

عندما نتعامل مع طفل يبكي كثيراً ولديه إحساس مرهف أكثر من أقرانه ويميل في كلامه إلى اللين والرقة ونعرف أنه وحيد بين أربع بنات ندرك تماماً أسباب هذه المظاهر التي هي من طبائع الإناث وهو قد اكتسبها منهن حتماً، وهنا يجب الإشارة إلى أهمية التماس العذر للطفل تجاه ذلك وأيضاً يجب التأكيد على الآباء والأمهات بإخراج الطفل من البيت ووضعه وسط ذكور وتربيته على كيفية التعامل مع الآخرين بشكل أكثر حزماً وتدريبه على عدم الخنوع والاستكانة وتعويده عدم البكاء لأتفه الأسباب.

الطفل الوحيد

إن الطفل الوحيد ليس هو المشكلة، وإنما تكمن المشكلة في سلوك الأبوين نحو الطفل الوحيد. فالأبوان يحيطان الطفل الوحيد بعناية تزيد كثيرًا عن العناية التي يحتاج إليها هذا الطفل، فهما يستجيبان لكل طلباته ويحققان كل رغباته مما يجعله - في الغالب - أنانيًا يعرف حقوقه أكثر من معرفته لواجباته، وغير قادر على التعامل السليم مع الآخرين تعاملاً قائمًا على العلاقات المتبادلة والأخذ والعطاء. ونتيجة لجو الدلال المفرط الذي

يحاط به الطفل الوحيد ينشأ خجولاً ضعيف الثقة بنفسه وأكثر ميلاً إلى الاتكال على الآخرين وغير قادر على الاستقلال عن والديه. ويصل الأمر ببعض الآباء الذين لهم طفل وحيد أنهم يصبحون غير قادرين على الابتعاد عنه أو مفارقته، مما يشكل عقبة أمام نجاحه في الحياة وأمام اكتمال نضجه النفسي والاجتماعي، وقد يستمر هذا الوضع مدى الحياة، حتى إذا أصبح الابن في سن الزواج مثلاً نجد أن الأبوين يتدخلان نيابة عنه في اختيار الزوجة، وقد يطلبان منه أن يستمر في العيش معهما، إلى غير ذلك من التصرفات التي تبرز عدم استقلالية الابن والتصاقه غير الطبيعي بوالديه. وقد نسمع على سبيل المثال، أن طالبًا لم يتابع دراسته العلمية في الخارج لأن أمه لا تستطع أن تفارقه أو لأنه لا يستطيع أن يفارق أمه أو والده.

وعندما يتزوج مثل هذا الابن الوحيد فإنه قد ينتظر من زوجته أن تعامله كأمه، وبذلك قد يفشل في علاقته الزوجية التي تختلف في طبيعتها عن علاقته بأمه.

***



فكر معنا

صوب العبارة الخاطئة فيما يلي:

١) لكل طفل موهبته الخاصة به.

٢) التعرف على ما يحبه الطفل لا يؤثر في التعامل معه بشكل كبير.

٣) من مظاهر استيعاب الطفل السماح له بممارسة هوايته.

٤) الطفل البصري يتميز بالتحدث البطيء.

٥) التعرف على مفتاح قلب الطفل يحتاج إلى تجربة كثير من وسائل الحب والتودد.

٦) الطفل الحسي هادئ الطباع.

٧) تتراوح أسئلة الطفل في العام الثالث من ٦٠-٩٥٪ من مجموع حديث الطفل.

٨) يرفض طفل السنتين أن يشرك طفلاً آخر في ألعابه.

٩) الطفل السمعي يتحدث كثيرًا.

١٠) بيئة الطفل من عناصر العملية التربوية.

***



من خلال الباب السادس تناولنا معاً التعريف بأهمية كشف مواهب الطفل وتنميتها ومدى تأثير المناخ كعنصر مهم من عناصر العملية التربوية في الطفل، وتناولنا الأثر النفسي العائد على الطفل بتربيته بين أشقائه، فالبكر يختلف عن الأوسط والأوسط يختلف عن آخر العنقود وهكذا، كما أشرنا إلى جانب مهم من جوانب البرمجة اللغوية العصبية وهو التعريف بكيفية التعامل مع الطفل من خلال الحاسة الرئيسية عنده وهل هي اللمس أم السمع أم البصر.

وأشرنا بإيجاز إلى بعض خصائص المراحل السنية لنؤكد على أهمية التعرف عليها من خلال علم نفس النمو عندما نتعامل مع أبنائنا.

***

الباب السابع



الطريق نحو التميز

- تمهيد
- استبانة
- حدد أهدافك
- اعرف أولوياتك
- كن عادلا
- دوّن خبراتك
- ضاعف معلوماتك
- روح الدعابة والمرح
- كن مرنًا
- اعتذر وصحح أخطاءك
- ابتكر وأبدع
- كن حازمًا
- لتكن عندك الدافعية
- غيِّر نفسك
- كن فعالاً
- ضعهم في بؤرة شعورك
- تعرف على مفردات العملية التربوية
- انظر لنفسك في المرآة
- ضع أعصابك في ثلاجة
- عليك بالحكمة الصينية
- اعرف فن حل المشكلات
- فكر معنا
- الخلاصة



ما من طريق إلا وله تبعات ولابد معه من تضحيات حتى يشعر السائر في نهاية الطريق بالسعادة وهو يحصد ثمار تعبه، تزداد التضحيات وتتضاعف المشقة لو كان الطريق نحو التميز وفي مجال عظيم كتربية الأبناء وهي المهمة السامية رفيعة المنزلة.

وفي هذا الباب سوف نتحدث عما يجب أن يتحلى به المربي حتى يكون متميزاً.

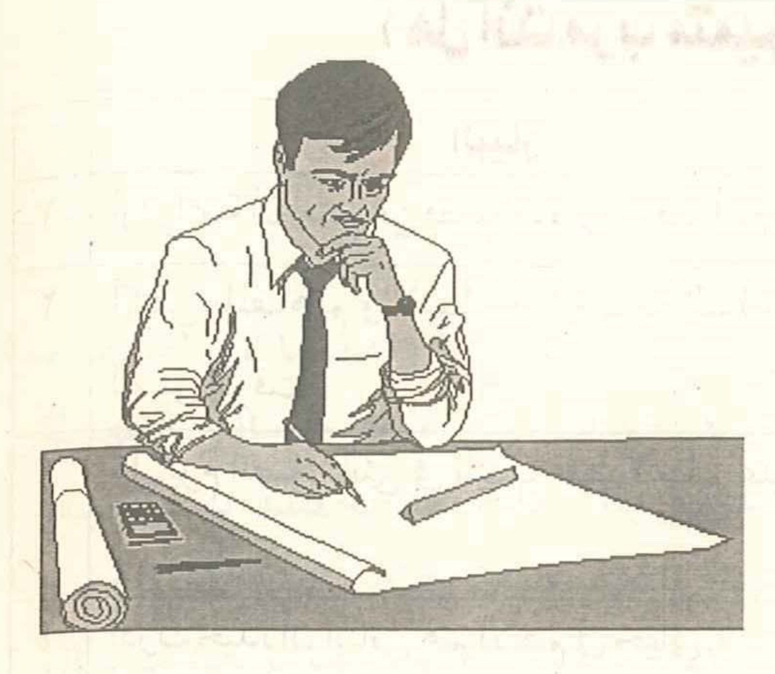
***

استبانة

(هل أنت مربٍ متميز؟)

	البيان	نعم	أحيانًا	لا
١	أرى أهمية أن أمتنع عن قضم أظافري خاصة أمام ابني.			
٢	أكتفي بالمفاهيم والأساليب التربوية التقليدية نظراً لضيق الوقت.			
٣	كل يوم اتصل بابني في البيت فقط لأسلم عليه وأقول له: أحبك.			
٤	أدرك جيداً أن أبنائي هم الأهم في حياتي.			
٥	من المهم أن تكون عندي كراسة خاصة لأسجل فيها أخطائي مع أبنائي.			
٦	من الضروري أن أقرأ كل أسبوع صفحة تربوية على الأقل.			
٧	أنتظر معارض الكتاب لأقتني أحدث ما نشر في تربية الأبناء.			
٨	أعلم أن الله سائلي عن أهلي وأولادي.			
٩	أقوم بتغيير المكان المعتاد للرحلة العائلية تبعاً لرغبات أبنائي.			
١٠	ليس عندي أهداف محددة فيما يخص تربيتي لأبنائي.			

حدِّد أهدافك



التربية العشوائية للأبناء بلا هدف ولا غاية لا تؤتي ثمارها غالباً، فالمربى المتميز يجلس مع نفسه ويحدد له أهدافاً واضحة واقعية قابلة للقياس ومحددة بزمن لتحقيقها. ولها مظاهر للنجاح ومعايير للإنجاز ووسائل تساعد على تحقيقها. فهذا هدفه أن يربي ابنه حتى يكون بطلاً للعالم في الكاراتيه،وهذا يهدف أن يكون ابنه طبيبًا، وهذا يريد لابنه أن يكون مبرمجًا للحاسب الآلي، ومن هذا التخطيط أيضًا:

- التخطيط لمستقبل الأبناء وماذا يراد منهم، وما القيم المطلوب غرسها فيهم، وما المادة العلمية التي يجب أن تتعلمها لتحقق ذلك سواء أكانت فقهية أو تكنولوجية أو قرآنية أو غيرها.. واسأل نفسك هل أتعلم الكمبيوتر؟ هل أتعلم الدخول على شبكة المعلومات (الإنترنت)؟ هل أتعلم التفسير وأحكام التجويد؟ هل أتعلم فقه الطهارة والصلاة والصيام؟
- ثم التخطيط للمنهج الذي يدرسه هؤلاء الأبناء وما الشروط

الواجبة فيه، وما الأسس التي وضع عليها وهل هو للبنت أم للولد أم لكليهما معاً؛ وهل هو منهج ثقافي فقط أم ثقافي تربوي أيضاً؟

- ثم التخطيط لكسب مهارات حياتية جديدة ومن ثم إكسابها للأبناء كالنجارة والسباكة والكهرباء والخطابة والرسم والكمبيوتر والإسعافات الأولية والطبخ...
- ثم التخطيط لتحصيل الزاد التربوي، ومن ذلك تعلم أساليب التربية ومجالاتها وطرق التدريس وخصائص المراحل السنية والأنشطة التربوية والحاجات النفسية والمشكلات السلوكية.

***

اعرف أولوياتك

المربي الذي لا يعرف أولوياته في كل وقت وفي كل مرحلة لا يكون متميزاً.. الذي لا يعرف أولوية شراء قصة مفيدة لأبنائه بدلاً من وجبة فاخرة من طعام يمكن تأجيلها والذي لا يعرف أولوية تعويد الأبناء صلة الرحم وزيارة عمهم؛ ولو كان مختلفًا معه.

فالأولى مثلاً أن يجلس الأب مع أبنائه بضع دقائق يحاورهم ويعلمهم ويلعب معهم بدلاً من قضاء هذه الدقائق مع أصدقائه أو أمام شاشة التلفاز.

والأولى للأم أن تجلس مع أبنائها جزءًا من الوقت الذي تقضيه في إعداد الطعام ولا تتركهم دون توجيه فريسة لفيلم سيئ أو برنامج غير هادف.

إن تحديد الأولويات أمر مهم ينبغي ألا يتغافل عنه المربي الذي يبغى التميز.

***

كن عادلاً

صدق ربنا إذ قال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

كن عادلاً أخي المربي فتعترف بخطئك وتعتذر عنه كما تطلب من أبنائك.

وكن عادلاً أخي المربي عندما تعاقب ابنك فلا تكن منفعلاً ولا غاضباً ولا منتقماً لنفسك، فهي أمور منافية للعدل.

وكن عادلاً أخي المربي بين أبنائك ليحبوك ويحب كل منهم الآخر ولا يبغض بعضهم بعضاً بتفريقك بينهم وتفضيلك بعضهم على بعض ولو في المشاعر والقبلات.

وكن عادلاً أخي المربي عندما تتدخل بينهم في مشاجراتهم، فلا تحكم للكبير الذي تحبه أو للصغير لأنه ضعيف فالكل سواء.

وكن عادلاً أخي المربي عندما تعطي أبناءك الهدايا حتى لا تغرس الأحقاد بينهم.



كن عادلاً تنعم وسط أبنائك تنعم بحبهم لك ولا يسألك ربك عن الظلم يوم تقف فرداً بين يديه سبحانه.

***

دوِّن خبراتك

مما يساعد في تطوير أدائنا وتنمية قدراتنا التربوية أن نقوم بالتسجيل المستمر لكل ما نعلمه لأبنائنا وما نتعلمه نحن أثناء التعامل معهم، وما نكتسبه من خبرات أو نكسبه لهم، وما يمارسونه من هوايات وألعاب ومهارات، وكذلك مواعيد الأنشطة التربوية ومدى تحقيقها للهدف المرجو منها ومدى استفادة الصغار منها وآراؤهم فيها وملاحظاتهم عليها وملاحظاتنا نحن على سلوكياتهم، فمثلاً عندما تكتشف أنك ضربت ابنك على خطأ بسيط فعله يوم كذا فتتعلم ألا تكرر ذلك مرة أخرى، ومن خلال أجندة الخبرات هذه تستطيع التعرف على تاريخك التربوي ربما منذ أعوام سابقة، وبالتالي ينتج عن تراكم الخبرات هذه أن تتفادى السلبيات وتتمسك بالإيجابيات وتقوم دائماً بتطوير أدائك التربوي وتستفيد بجميع إمكاناتك وكامل طاقاتك.



***

ضاعف معلوماتك

قد يكتشف المربي أنه لم يقرأ معلومة جديدة في علم تربية الأبناء منذ عام أو عامين، أو أنه لم يقتن كتاباً أو يدخل على شبكة المعلومات (الإنترنت) ليطلع على جديد هذا العلم منذ شهور.. وهذه مشكلة تفقد المربي تميزه وتجعله يسير في رحلته لتربية أبنائه بشكل عشوائي وعلى غير هدى.. وأقل خسارة لمن لا يضاعف معلوماته أن يهمل المعلومات التي اكتسبها فيما سبق وينساها فالشيء إذا لم يزدد قل بطبيعة الحال.

إن الآباء في حاجة إلى التدريب والقراءة واللجوء إلى ذوي التخصص ولا يكفي في تعاملهم مع أبنائهم كونهم يحبونهم فالأطفال في حاجة إلى آباء متمرسين مثل حاجتهم إلى آباء محبين.

وهذا التحسن المستمر هو علامة يتميز بها اليابانيون في عملهم كما علمهم «ديمنج» الذي وضع لليابانيين أربعة عشر مبدأ تأسيس عليها الاقتصاد الياباني وصارت فيما بعد مبادئ الجودة الشاملة عالمياً وكان منها مبدأ [التحسن المستمر] وليس هذا للعمال في المصانع فحسب بل هو من علامات الجودة التربوية أيضاً ومن مميزات المربين الناجحين.

وتذكر أنك إذا أردت أن تصبح مربياً متميزاً فلا يكفي التخلي عن الأساليب السلبية في التربية..ولكن لابد من اكتساب مهارات وخطوات جديدة في التربية.



روح الدعابة والمرح

لا يمكن لأحد أن يؤدب أو يهذب بصورة ناجحة إذا لم يستخدم روح الدعابة والمرح، واستخدامها يعد من أفضل الطرق في تهدئة وحل المواقف الصعبة. وكثير من سلوكيات الأطفال تكون طريفة ومسلية. فبدلاً من التوجه مباشرة نحو استخدام القواعد وتطبيق العقوبة التي تناسب الجريمة المزعومة حاول أن تخطو خطوة للوراء كي تبحث عن الطريف في الموقف. ليس هناك خطأ في الضحك من وقت لآخر ثم القيام في نهاية الأمر بتوضيح أنه بالرغم من أن هذا الموقف طريف ومضحك إلا أن هذا السلوك ينبغي عدم تكراره للأسباب التالية (ثم اذكر الأسباب).

أثبتت الدراسات أن الأشخاص الذين يتمتعون بروح الدعابة والمرح في أحاديثهم هم أقل الناس تعرضاً للأزمات القلبية وآلام المفاصل.

الضحك ينشِّط جهاز المناعة ويساعد في التنفس وإن الجسم ينتج هرمون الكورتيزول عندما يتعرض الإنسان للضغط العصبي، وزيادة إفراز هذا الهرمون عن الحد، يزيد من احتمالات إصابة الإنسان بالأزمات القلبية، ولكن عندما يضحك الإنسان من أعماق القلب، خاصة عند مواجهته للمواقف العصيبة والطارئة يقلل من نسبة هذا الهرمون في الدم، وبالتالي يقلل من نسبة احتمال إصابته بالأزمة القلبية.

إن الضحك كذلك مهم وضروري للطفل لأنه يساعده على التخلص من التوتر الموجود بداخله، مما يؤدي إلى ارتخاء في عضلات كل الجسم، فضلاً عن انقباض عضلات البطن مما يسهل عملية الهضم؛ لهذا من الضروري أن تحرص الأم على إضحاك الطفل.

إن الضحك وإظهار روح الدعابة يلعبان عدداً من الأدوار الرئيسية في رعاية الأبناء، فهو يساعد في إزالة الضغط الذي يهيمن على أي صراع قد ينشأ بين الآباء والأبناء.

وبروح الدعابة والمرح يتعلم الأطفال عدم أخذ المواجهة والجدل بجدية شديدة للغاية. فهم يتعلمون نسيانها والمضي قدماً دون حمل ضغائن أو إخفاء غيظ وكراهية شديدة. هم يدركون أن المواقف الصعبة تنتهي ويمكن الاستهانة بها ومن ثم التخلص منها.

إن الضحك مهم وضروري للطفل لأنه يساعده على التخلص من التوتر الموجود بداخله، مما يؤدي إلى ارتخاء في عضلات كل الجسم، فضلاً عن انقباض عضلات البطن مما يسهل عملية الهضم؛ لهذا من الضروري أن تحرص الأم على إضحاك الطفل.

إن الضحك وإظهار روح الدعابة يلعبان عدداً من الأدوار الرئيسية في رعاية الأبناء، فهو يساعد في إزالة الضغط الذي يهيمن على أي صراع قد ينشأ بين الآباء والأبناء.

وبروح الدعابة والمرح يتعلم الأطفال دون حمل ضغائن أو

إخفاء غيظ وكراهية شديدة. هم يدركون أن المواقف الصعبة تنتهي ويمكن الاستهانة بها ومن ثم التخلص منها.

وربما تعجب أخي المربي عندما أؤكد لك ومن خلال تجربة شخصية بأن نشرك لروح الفكاهة والمرح في البيت يزيد من هيبتك ووقارك ويقرب منك أبناءك أميالاً وأميال وليس كما يزعم الغلاظ القساة من أن الأبناء يتجرأون على من يمازحهم ويلعب معهم، وإن لم تصدق تجربتي الشخصية فاقرأ التاريخ واذكر:

كم طفلاً تجرأ على رسول الله محمد ﷺ؟

كم طفلاً كذب عليه؟

كم طفلاً ساء خلقه وفسد في مجتمع النبوة؟

صدقني لن تجد..

هل لأنه كان لا يقبلهم؟

هل لأنه كان لا يمازحهم؟

هل لأنه كان دائم التجهم لهم؟

لا والله

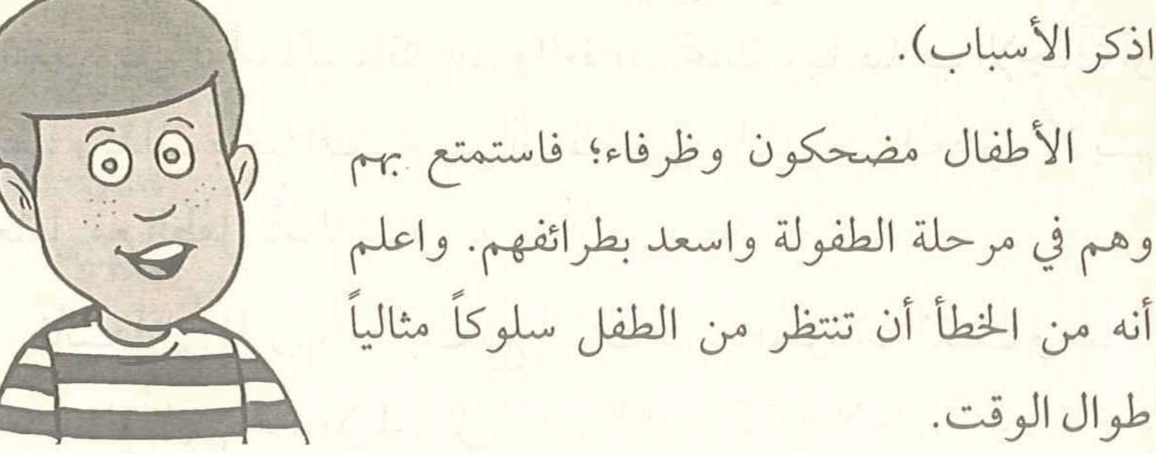
لقد كان يعقد بينهم المسابقات.

ويركبون فوق ظهره ويمشي بهم على يديه وركبتيه.

وينزل عن المنبر ليحمل من يتعثر منهم.

إن الأطفال مضحكون وظرفاء؛ فاستمتع بهم وهم في مرحلة الطفولة واسعد بطرائفهم. واعلم أنه من الخطأ أن تنتظر من الطفل سلوكاً مثالياً طوال الوقت.

ليس هناك خطأ في الضحك من وقت لآخر ثم القيام في نهاية الأمر بتوضيح أنه بالرغم من أن هذا الموقف طريف ومضحك إلا أن هذا السلوك ينبغي عدم تكراره للأسباب التالية (ثم اذكر الأسباب).



الأطفال مضحكون وظرفاء؛ فاستمتع بهم وهم في مرحلة الطفولة واسعد بطرائفهم. واعلم أنه من الخطأ أن تنتظر من الطفل سلوكاً مثالياً طوال الوقت.

***

كن مرنًا

تُجمِع نتائج أغلب الدراسات السيكولوجية، الغربية والعربية، على أن نموذج الممارسة التربوية المرنة يتميز بتأثير إيجابي أكثر من نموذجي الممارسات الضعيفة والصارمة.

والمرونة علامة تُميِّز المربي ولا غناء عنها لمن يتعامل مع الطفل حيث إن الطفل يختلف في خصائصه واحتياجاته وميوله واهتماماته وحاجاته عن غيره من الأطفال، ولذلك لا يجب الالتزام مع جميع الأطفال بقواعد ثابتة لا تتغير، بل إن أساليب الثواب والعقاب تختلف باختلاف الإجادة أو الخطأ، وكذلك باختلاف المحسن أو المخطئ، وليس من المعقول أن يتم التعامل مع الطفل بأسلوب واحد دائماً.

فأنت أخي المربي قد ذهبت مع أبنائك لأحد المتنزهات لكنك وجدت المكان مغلقاً فهل تقرر الإياب إلى المنزل لأنك لم تخرج إلا قاصدًا هذا المكان أم تقرر على الفور أن تكون مرناً وتذهب إلى متنزه آخر لإسعاد الأبناء.

والمربي المرن هو الذي لا يكرر الطريقة السلبية أو التي فشل فيها ولم تحقق أهدافها التربوية خاصة عند التعامل مع أخطاء الأطفال وتوجيههم، فالمربي يغير من كلامه وطريقة توجيهه أولاً بأول.



فهذه الذبابة التي أرادت الخروج من النافذة فاصطدمت بالزجاج فحاولت واصطدمت وتكررت محاولاتها وتكرر اصطدامها حتى هلكت من التعب

في حين أن هناك في نفس الحجرة كانت توجد نافذة أخرى مفتوحة.

نموذج ناجح

أما الفأر فقد صنعوا له متاهة ووضعوا في نهايتها قطعة جبن فظل يحاول حتى وصل إليها، وبعد ذلك غيروا مكان القطعة فذهب للمكان الأول فلم يجدها فغير بمرونة فائقة طريقة تحركه وحاول في اتجاهات أخرى حتى وجدها.

إن المرونة قوة، وإن الشخص الذي لا يستفيد من خبراته وتجاربه يظل يخطئ نفس الخطأ ويكرر نفس المحاولة الفاشلة حتى يضنيه التعب والإجهاد والإحباط وهو مثل الذبابة التي أهلكت نفسها، وما عليه إلا أن يقرر من الآن أن يكون مرناً في التعامل مع أبنائه وينوع من أساليبه التربوية ومن طريقة علاجه للسلوكيات والمشكلات؛ فلا يمكن أبداً أن نعاقب الطفل بالحرمان كلما أخطأ أو أن نشجعه بمكافأة واحدة كلما أحسن فهو عندما يخطئ للمرة الثانية فيجب التعامل معه بشكل مختلف عن المرة السابقة خاصة إذا أخطأ نفس الخطأ وبشكل متعمد وبدون اعتذار.

إن هناك بعض السلوكيات الثابتة أو القواعد العامة لبعض الآباء والتي يمكنها أن تتعدل حسب الظروف بحيث لابد للطفل أن ينام مثلاً في وقت محدد ولكن إذا كان يوم الغد عطلة يمكنه أن يسهر قليلاً حينما يرغب في ذلك كهدية له عما بذله من مجهود طوال الأسبوع. وهذا يعني أن القواعد ليست جامدة بل تتكيف تبعاً للظروف والأحداث.

والحقيقة أن نموذج الممارسة المرنة هذا هو الذي يعكس مواصفات

الممارسات التربوية الصحيحة التي توفر الإشباع المنتظم لحاجيات الطفل والمتمثلة في المرونة والحرية والتقبل والتسامح والعدل والحوار والالتزام والدفء الوالدي. فالطفل الذي يترعرع في كنف هذه الممارسة التربوية المرنة عادة ما يتميز بسمات الشخصية السوية المتمثلة أساساً في الثقة في النفس وتحمل المسئولية والشعور بالأمن والكفاءة في التحصيل والتواصل مع الآخرين والمهارة في حل المشكلات ومواجهة مواقف الحياة المختلفة.

ولكي يتحلى المربي بالمرونة كذلك يمكن أن يأخذ برأي أبنائه في المكان الذي سيذهبون إليه للتنزه أو الملابس التي يشترونها أو المدرسة التي يدخلونها ولا يتجمد عند رأي لا يغيره وإن تبين خطؤه، فالمرونة هنا تحتم عليه تغيير رأيه.

***

اعتذر وصحح خطأك

إن الآباء في حاجة مثل الأطفال إلى تعلم تقديم اعتذارات عندما يخطئون، فعندما نعتذر لأطفالنا، نعترف بأننا قد ارتكبنا خطأ، وبأننا بشر. فالأخطاء سمة في البشر ومن خلال هذه الأخطاء نتعلم وننمو. وإذا لم نكن قادرين على الاعتراف بأخطائنا، فسوف يتعلم أطفالنا إخفاءها عنا، مما يجعلهم منعزلين ويثير لديهم الخوف من ظهور الحقيقة. هذا لا يعوق فقط التواصل بين الأطفال وآبائهم، ولكنه يمنع الأطفال أيضاً من تحمل المسئولية عن أفعالهم؛ وهذا عنصر أساسي من عناصر الاحترام للنفس والآخرين.

وبعض المربين يتثاقل عن الاعتذار لأبنائه أو تلامذته عندما يخطئ أمامهم، وما ذاك إلا نوع من الكبر ينتقل إلى الصغار بشكل تلقائي لافتقاده القدوة والنموذج الأمثل في ذلك، إذ كيف ينطق بكلمة الاعتذار وهو لم يسمعها من أقرب الناس منه وأحبهم إليه.

إن المربي الجيد لا يسعه عندما يخطئ إلا أن يسارع في الاعتذار الصريح أياً كان نوع الخطأ الذي وقع فيه، ومهما كان سن من أخطأ أمامه أو معه وصفته. فإنه يستوي في الاعتذار أن يكون موجهاً إلى طفل أو شيخ كبير وربما يكون الاعتذار للصغير أو الاعتذار أمام الصغير أوْلى وأعظم لما يتبعه من نتائج وآثار.

وتصحيح الخطأ واجب على المربي حتى يتعلم الصغير أنه لا عيب في

أن يخطئ بل العيب في الكِبْر والاستمرار في الخطأ أو عدم تصحيح ما ترتب على الخطأ.

ويظن بعض الآباء وتظن كذلك بعض الأمهات أن الخطأ أمام الطفل عيب كبير والأكبر منه هو الاعتذار عنه إذ أنه-كما يزعمون-يضعف من هيبتهم ووقارهم أمام أبنائهم.

وهذا التصور في حقيقة الأمر يحتاج إلى تصويب وتوضيح فإن الإنسان لا يخلو من الأخطاء فالأب يخطئ والطفل كذلك يخطئ وليس في هذا عيب كبير لأنه من طبيعة الإنسان لكن الأهم من ذلك هو كيفية التعامل مع الخطأ وكيفية تفادي تكرار نفس الخطأ..هذا ما يجب أن نعلمه لأبنائنا.

وأول ما يجب أن يتعلموه أن يسمعوا كلمة الاعتذار عقب الخطأ مباشرة: أنا آسف-أعتذر-لا تؤاخذني-سامحني.... والطفل عندما يتعلم ذلك فإنه:

١- يقلد فيعتذر عندما يخطئ.

٢- يعرف أن الخطأ ليس عيباً لكن عدم الاعتذار عنه أو الإصرار عليه هو الخطأ بعينه.

٣- لا يغتر أو يتكبر أو يعاند.

والتجربة العملية لي شخصياً ولغيري ممن أعرفهم يعتذرون لأبنائهم أو للآخرين أمام أبنائهم تحكم بأن الاعتذار يزيد من احترام الطفل لأبويه ولا يقلل من هيبتهم ووقارهم بأي حال.

أما اختلاق الأعذار فإنه يعلم الطفل المراوغة واختلاق الحجج والمعاذير عندما يخطئ وبالتالي يصعب علاج خطئه ولذا فإن الاعتذار بدلاً من اختلاق الأعذار هو أحد المفاتيح المهمة للمربي القدوة من أجل تعليم أبنائنا وتصويب أخطائهم.

إن أحد أعظم الدروس التي يمكن أن تجسدها لطفلك هو القدرة على الاعتذار له أو لغيره فإن تأخرت عليه فأسمعه بوضوح مباشر: [أعتذر عن التأخير] أو [آسف لأنني لم أحضر في موعدي] وهكذا مع جميع أخطائك فإن مثل هذا الاعتذار من شأنه أن يمحو أي خطأ وتصل للطفل رسالة مفادها أن الخطأ يمكن تداركه بالاعتذار عنه دون تبرير أو تأخير.

هكذا يكون النموذج الأمثل الذي يتعامل مع الطفل.

البعض يقول: أتريدني أن أعتذر لطفلي الذي أنجبته؟ لابد أنك تمزح!! إنني أبوه.. ربما أضطر لفعل ذلك أمام أي إنسان آخر لكن ليس أمام ابني.

***

ابتكر وأبدع

المربي الذي يقف عند حدود أساليب ووسائل تربوية عفى عليها الزمن وأصبحت غير ذات جدوى في زماننا هذا يحرم نفسه وأبناءه من خير كثير. فالجمود لم يكن أبداً صفة من صفات المربي المتميز سواء أكان هذا في طريقة التربية التي يستخدمها مع أبنائه والتي كان آباؤه وأجداده يستخدمونها معه أو في النشاط التربوي التقليدي الذي يمارسه معهم.

إننا نجد اليوم وسائل تربوية كثيرة مستحدثة ومبتكرة كتربية الدقيقة الواحدة التي اخترعها [سبنسر جونسون] في كتابه «أب الدقيقة الواحدة» وأشرنا إليها في كتابنا هذا.

وعلى شاشات القنوات الفضائية وفي المراجع الأجنبية وفي رسائل الدراسات العليا تجد من الوسائل التربوية المستحدثة والمجربة على أيدي الخبراء التربويين ما يناسب عاداتنا ومجتمعنا، ويفيد كثيراً بشكل ابتكاري معاصر في تربية أبنائنا ومن ذلك البرنامج الأمريكي الرائع [سوبر ناني].

وكذلك المربي يجب أن يبتكر في الأنشطة التربوية والوسائل التعليمية لأبنائه خاصة في ظل انتشار [البلاي ستيشن] وشبكة المعلومات [الإنترنت] والأفلام الكرتونية، فلا يقف المربي عند حدود توصيل المعلومة والمفهوم التربوي عن طريق فيلم قد نسيته الشركة المنتجة له بينما يترك أفلاماً لكبرى الشركات العالمية وهي مشوقة للطفل وفيها من الدروس التربوية ما يفيده كفيلم نيمو وهو رائع في معنى إعطاء الحرية للصغار وعدم التسلط.

كن حازماً

الحزم صفة لازمة للمربي لا يمكن الاستغناء عنها، وبها يستطيع المربي أن يقول [لا] لأطفاله في الوقت المناسب وهو يعنيها، وبالحزم يكون جادًا عند الخطأ المتعمد والمتكرر من الطفل كي يعلمه أن المزاح ينبغي ألا يصحبنا في كل الأمور.

وبالحزم يضع القواعد التربوية اللازمة داخل البيت ولجميع أفراد العائلة، وبالحزم يدرك الفرق بين الحرية التي لا حدود لها وبين الحرية القانونية والتي معيارها احترام القواعد والمبادئ والقيم.

إنني هنا أتحدث عن الحزم الإيجابي الهادف ولست أقصد التجهم والغضب والإيذاء بما يضر أكثر مما ينفع.

وهناك آباء لا يستطيعون أن يقولوا «لا». هم يشعرون بأنهم سيفقدون استحسان وحب أطفالهم لهم أو ببساطة يستسلمون من أجل ضمان حياة سلسة.

إن الأطفال يحترمون الآباء الذين يضعون لهم قواعد وحدوداً ويشعرون بالأمن والاطمئنان في ظلها. جميع الأطفال في حاجة إلى أن يعملوا في إطار نظام صحي للتربية والتأديب ويشعرون في ظله بالأمن ويعرفون ما لهم وما عليهم. والبديل لذلك أمر مخيف ومرعب. فالفشل في قول كلمة «لا» في الوقت الملائم يعني آباء متهاونين أو مهملين وبالطبع لا

أحد ممن يقرءون هذا الكتاب يقبل أن يتصف بهذه الصفة.

إن التوازن التربوي هو الحل لمن يشتكي أنه يلين مع الأطفال حتى إنهم لا يطيعونه في شيء أبداً. وليس اللين أو الحلم هو السبب فالعيب في غياب الحزم الذي يحدث توازناً تربوياً عميقاً في التعامل.

هناك فرق شاسع بين أن تقول لأبنائك: «هل أنتم مستعدون لتناول العشاء الآن أم لا»؟ وبين أن تقول: «قد حان وقت تناول العشاء هيا يا أبنائي».

إن الحزم يجعلك تعاقب وأنت تحب أطفالك وترجو لهم الخير وتريدهم رجالاً يقدِّرون المسئولية ويحترمون أنفسهم والآخرين.

الحزم يجعلك ترفع نبرة صوتك عند اللزوم.

الحزم يجعلك تغير ملامح وجهك وتقطب جبينك إن تطلب الأمر ذلك.

والأم الحازمة تتصرف مع الطفل بما يقتضيه الموقف ولا تؤجل حتى يعود الأب أو تهدد أطفالها به. فهذه الأم غير الحازمة تضعف شخصيتها وتذهب هيبتها من نفوس أبنائها يوماً بعد يوم.

واعلم أن الإذعان لكل ما يطلبه طفلك لا يعني أنك تكنُّ له قدراً كبيراً من الحب والاحترام.

إن التاريخ يذكر لنا قصة الحِب ابن الحِب.. هذا هو أسامة بن زيد الذي

كان يلقبه الناس بذلك لفرط حب النبي ﷺ له ولأبيه. ورغم ذلك فقد كان النبي حازماً عندما قال: «يأتيني أحدكم يشفع في حد من حدود الله والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» وما دعا رسول الله للغضب ولقول ما قال سوى الحب بن الحب الذي جاء يشفع في امرأة شريفة في قومها لكنها سرقت فلم يمنع حب النبي له أن يكتفي بالرفض بل بما يتطلبه الأمر من الحزم التربوي ليضع الأمور في نصابها.

***

لتكن عندك الدافعية

عندما يكون عندك دوافع وبواعث نفسية يكون عندك حماس أكثر وطاقة أكبر، ويكون إدراكك أفضل لما تحب إنجازه ولما ينبغي عمله مع أبنائك، فلا يمكن أن يكون الأب الذي يريد لأبنائه أن يكونوا متميزين في مجتمعهم بما يحملون من فكر ومهارات وإمكانات ونفسيات وسلوكيات رائعة، لا يمكن أن يتساوى مع من همه الأكبر أن يطعم أبناءه وينجحوا في دراستهم ولو كان بالغش.

إن الأول عنده الدافعية لتحقيق النجاح الشامل مع أبنائه والثاني عنده الدافعية لهدف محدود.

الأول يريد بناء المجتمع وإزالة السلبيات ومظاهر التدهور الحضاري منه ويريد نيل الأجر والثواب من الله تعالى وترك ولد صالح يدعو له وعلم علّمه له ينتفع به في آخرته.

***

غيِّر نفسك

من مفاتيح نجاح المربي أن يكون عنده الاستعداد الكافي لأن يغير من نفسه ويراجع معلوماته ويهذِّب سلوكياته ويُطوِّع عاداته لخدمة العملية التربوية.

إن المشكلة الكبرى التي نعانيها من خلال الاستشارات التربوية التي تأتينا هي خذلان الآباء والأمهات وتصميمهم على صواب ما يفعلون رغم الخطأ البين لما يقولون أو يفعلون أو يعتقدون.

وجدت أبًا يتحدث عن ضرب الأبناء وضرورته وكأنه عمدة العملية التربوية وبدونه تفشل تربيتنا لأبنائنا وهو يضرب أمثلة لضربه وهو صغير عندما أخطأ حتى سال الدم من جسمه، وما كان منه إلا أنه لم يكرر الخطأ بعد ذلك، وهذا هو دليله لأهمية الضرب وضرورته.

وإن إحدى الأمهات لتعجب أشد العجب عندما ننصحها بعدم الغضب والصراخ في وجه أبنائها لخطورة ذلك عليه. وهي تقول: كيف أُنَفِّس عن نفسي -ليس أمامي غير ذلك- هذا أمر لابد منه مع أخطاء أولادي المتكررة!!

إننا كثيراً ما نتحدث مع المربين على اختلافهم ونفاجأ في نهاية الحديث بأن بعضهم استمع بأذن وأخرج الكلام من الأذن الأخرى، ولم يمرر الكلام على عقله لعله يكون أنفع له ولأولاده بدلاً من معلوماته المسبقة

والتي ربما كانت من مصادر غير موثوق فيها فانبنى عليها كثير من الأخطاء والتي كانت كالعاهة المستديمة لما أحدثته من جرح غائر في نفس الطفل.

يجب أن يضع الآباء والأمهات أنفسهم مكان أبنائهم ويتساءلوا: الأبناء لا يشعرون بمشاكلنا نحن الكبار فلِمَ يحزنون ولِمَ يقعدون؟ ولماذا لا ينطلقون ويضحكون ويلعبون؟

إن الأبناء ليست عليهم مسئوليات كمسئولياتنا ففيم يفكرون وبِمَ يهتمون؟

إن هذه الأسئلة وغيرها لتجعلنا عادلين عند التعامل مع أبنائنا ولا نُحمِّلهم ما لا طاقة لهم به.

إن الأبناء يخطئون كثيراً غير متعمدين لإغاظتنا ولو فعلوا ذلك فهو دليل على نقصان عقلهم وإلا لو فكروا لعلموا فضل الأبوين والمعلمين عليهم وتعبهم من أجلهم؛ ولذا فما يصح التعامل مع الصغار بالند فالكبير كبير والصغير صغير.

إن الآباء يجب أن يتخيلوا ما كانوا عليه وهم في مثل سن أبنائهم.. هل ولدوا معصومين لا يخطئون وناضجي العقل ليس لهم زلات؟! هذا غير معقول وغير متصور منهم، ومن يقول ذلك يجامل أو يبالغ.

إن من تميزنا كمربين أن نغير من أنفسنا ونكون من المرونة بحيث نستمع لذوي الخبرات ونقرأ للمتخصصين ونحن فاتحو عقولنا لا مغلقيها أمام كل جديد، كمن يتعلم رأياً فقهياً معيناً في مسألة فرعية مختلف فيها بين

العلماء ولكنه يصر على رأيه ويظل يبحث في كيفية الدفاع عن رأيه ولو فكر لحظات وسأل نفسه: ولم لا؟ ولم لا يكون رأيي ليس الأصوب؟ ولمَ أجتهد في كيفية الرد والدفاع عن رأيي في مسألة خلافية تحتمل الرأيين ولا أفكر في الرأي الآخر إنها مرحلة ليست بالعسيرة ولا المستحيلة، فالتغيير لابد أن يأتي من داخلنا نحن.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

إنه لابد من استخدام الوالدين والمعلمين للفلتر أو المصفاة حيث يراجعون أقوالهم وأفعالهم وعاداتهم ويسرعون بتعديل غير المناسب وبخاصة الصغير منها كالذي يقضم أظافره أو يرفع صوته في معظم كلامه أو يشيح بيديه لمن أمامه أو يرفض أنواعاً مفيدة من الطعام لم يتعود عليها أو يضع أربع أو خمس ملاعق من السكر على كوب واحد من الشاي أو لا يرتب سريره عندما يستيقظ أو يخرج غير مهندم الملابس أو مرجل شعره أو واضعاً للعطر أو يتلفظ بألفاظ غير مهذبة لسبب أو لغير سبب أو يكثر من مشاهدة التليفزيون أو لا يضع يده على فمه عندما يتثاءب ولا يضعها على أنفه عندما يعطس أو لا يغسل يده قبل الطعام أو بعده أو يذكر أحداً بسوء في غيبته أو يرفع رجليه في وجه الجالس أمامه أو يرمي بالقمامة من النافذة أو في غير سلة المهملات والذي يسيء إلى زوجته أمام أولاده لابد أن يصبر عليها مهما أخطأت خاصة أمام الأبناء. والذي يدخن يجب أن يمتنع نهائياً أو على الأقل يمتنع أمام أولاده عن تلك العادة. والذي ينظر إلى كل شيء

(١) من الآية ١١ من سورة الرعد.

في التلفاز ينبغي أن يتعود عدم مشاهدة المناظر الإباحية والاستماع إلى الأغاني الهابطة التافهة.

هذه كلها عادات سيئة تحتاج لعملية تصفية وفلترة تبدأ من إدراك خطورتها على سلوكيات الطفل ثم بالقرار الحاسم بالتنحي عنها ثم بطلب مساعدة الطرف الآخر في البيت (زوج/ زوجة) أو (صديق/ صديقة) في متابعته في ذلك ثم بالتركيز على فوائد هذا التغيير ثم أضرار عدم التغيير مع تكرار هذا التفكير والتركيز فالمتعة والألم الناتجين من فعل الشيء يؤثران حتماً على سهولة عملية التصفية والتغيير ثم تكرار عكس السلوك السيئ أو العادة السيئة مرة ومرات حتى يتوفر للطفل نموذجاً مثالياً راقياً في البيت وخارجه.

ومن يقول: لا أستطيع تغيير نفسي أو تغيير عاداتي فأنا قد تعودت على ذلك منذ سنين نقول له: حاول ثم حاول وإن تعبت من المحاولة فحاول.. جاهد نفسك لترتقي بنفسك وبأبنائك، فالعادة تحكمها ولا تحكمك، والخير ألا يكون لك عادة.. كُلْ جميع المأكولات واشرب الشاي بسكر وبدون سكر وبقليل وبكثير، وشاهد مباراة ولا تشاهد الأخرى مهما كانت أهميتها وحديث الناس عنها فهي ليست مما يدخل الجنة فلا تجعل مشاهدة المباراة مسألة حياة أو موت كما يفعل الآخرون، وهكذا تنمي نفسك وتتغير فتغير.

نظرة جديدة للأمور:

وتخيل عزيزي المربي لو أنك ذهبت لتستلم سيارتك الجديدة من

المعرض، ثم قمت بقيادتها في الطريق وأنت سعيد وتتمنى أن تصل بها إلى البيت ليراها الأهل والأصدقاء، ثم فوجئت بمن يقطع الطريق ويضع حجارة تمنع السير، وعندما توقفت ونزلت من السيارة وذهبت إليه غاضبًا، فوجئت به يقول لك: آسف لقد اضطررت أن أفعل ذلك لأوقفك، فأخي حدثت له حادثة وهو ينزف الآن وأحتاج لنقله للمستشفي بسرعة.. فأنت تنظر الآن إلى الموقف بشكل مختلف، ومشاعرك وتصرفك سيختلفان، أليس كذلك؟ وهذا هو تبديل الإطار فابدأ بتعديل إطار تجربتك مع ابنك.

أم تراجع نفسها

تقول إحدى الأمهات: حين فتحت الرسالة التي بعثت بها ابنتي بعد مشادة كلامية بيننا وأمر قاطع مني بأن تذهب للنوم مبكراً.. زلزلتني كلماتها القاسية فلم أكن أتوقع من ابنتي التي تبلغ الثالثة عشرة من عمرها أن تعبر عن مشاعرها تجاهي بمثل هذه القسوة.. تكرهني أنا ؟! وأنا التي كنت أتباهى بطريقة تربيتي لأبنائي، وخيّم الصمت بعد قراءتي لرسالتها المفاجئة على نفسي طويلاً، ولم أحاول تأنيبها.. تجاهلتها وكأنها لا توجد في البيت حتى أفكر كيف سأتعامل معها دون أن أخسر أكثر مما خسرت، ودون أن أحدث مزيداً من الانقسامات بيني وبينها.. فما زلت في مرحلة الصدمة.

رسالة ابنتي. أيقظتني من غفلة الثقة، وراجعت نفسي طويلاً وكانت النتيجة التالية:

- إنني بالغت في إعطاء الأوامر دون نقاش أو تفاهم.

- إنني بالغت في الثقة بأن كل شيء جميل ومثالي.

- إنني بانشغالي تراكم الصمت بيني وبين ابنتي.. فلم أكن أسمعها وكان صبري ينفد بسرعة إذا فَتَحْت معي حديثًا، ولم أهتم بأن ابنتي في هذه السن تحتاج إلى التفهم والقلب المفتوح للتعبير عن نفسها وتحتاج إلى الإشادة والتقدير واحترام رأيها.

- إنني أطلت في قائمة الممنوعات! حتى إنني حرمت بعض ما أحل الله!! فأثقلتها بالواجبات والفروض ولم أترك فرصة للهو المباح أو للخروج البريء بصحبتي مع الصديقات.

- إنني بخلت في إغداق حناني عليها وظننت أنها ستتفهم أن الحنان ليس قبلات وأحضاناً بل توفير كل ما تحتاج إليه من ملابس جميلة ومصروف كبير!

- إنني جعلت كل اهتمامي ينْصَبّ على دراستها وتفوقها فقط ولم أهتم بهواياتها وماذا تحب وماذا تفضل!

وخرجت من هذا الحوار الذي كان كالسوط يهوي على نفسي ليشعرني أني أخطأت.. نعم أخطأت، وأن نفورها مني ليس مفاجأة بل أعددت له بنفسي مسبقاً، فلماذا أحزن الآن وأشعر بالمرارة والانكسار؟ ماذا قدمت سوى الإهمال والتجاهل والتخلي؟!!

هكذا كان حواري مع نفسي وقبل أن أبدأ في الحديث مع ابنتي جاءتني باكية نادمة تطلب مني العفو وتقول لي: إنني أجمل أم وإنها لم تقصد ما

كتبت، إنها تجربة لم أكن أتوقعها، ولكنها أفاقتني من غفلة الثقة بأن كل تصرفاتي صحيحة، وفتحت صفحة جديدة مع ابنتي تبدأ بالحب والتفاهم ولا تنتهي.

وانظر أخي المربي للجدول الآتي لتعرف الفرق الواضح بين المربي الذي يفكر بشكل سلبي كما تعود وتربى وبين الآخر الذي يفكر بشكل إيجابي:

التفكير الإيجابي	التفكير السلبي
١) ابني ما شاء الله كثير الحركة، كيف يمكنني تحويل هذه الطاقة إلى موهبة؟	١) أكاد أجن من كثرة حركة ابني!
٢) كيف يمكنني مساعدة ابني لإصلاح سلوكه؟	٢) لقد يئست وعجزت من إصلاح ابني.
٣) بإمكاني تنظيم حياة أسرتي بشكل يحقق لي الهدوء والراحة.	٣) أفقد صوابي إن لم أجد مكاناً أرتاح فيه داخل بيتي!
٤) لكل مشكلة سبب.. عليَّ اكتشاف هذه الأسباب.	٤) المشكلات كلها بسبب هذا الابن!
٥) بإمكاني تغيير أسلوبي لتفادي المشكلات.	٥) المشكلات كلها بسببي أنا.
٦) بإمكاني التحكم في هذه المشكلات والاستفادة منها.	٦) مع الأسف المشكلات لا تنتهي مع أبنائي.
٧) ابني يصر على استقلاليته وتعجبني محاولاته للاعتماد على نفسه.	٧) عناد ابني يزعجني ويخيفني!
٨) مدارك ابني ما شاء الله تتفتح وهو طموح ويحب التعليم.	٨) ابني يحرجني ويزعجني بكثرة أسئلته.

***

كن فعالاً

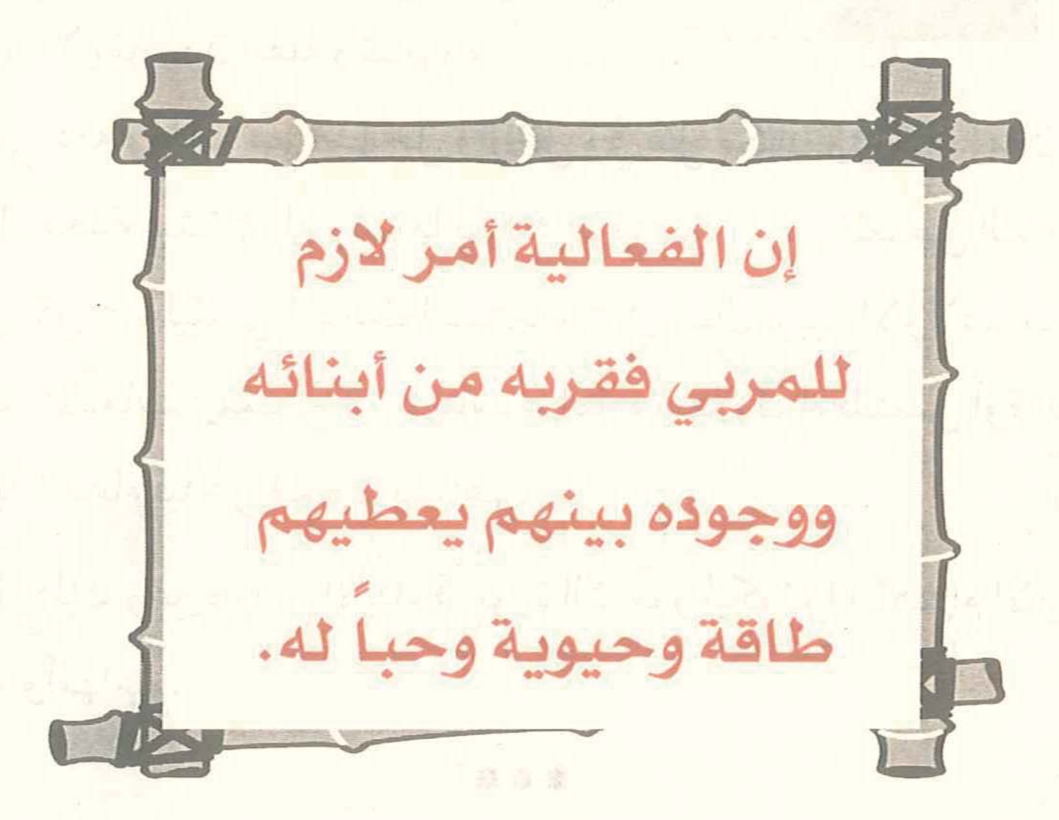
المربي الفعال هو الذي يكون نشيطاً فيلاعب أطفاله ويبحث لهم عن كل جديد ليسعدهم به.

والمربي الفعال هو الذي يسأل عن أبنائه في المدرسة ويذهب إلى حيث تجمعهم في أنشطتهم التربوية ويشاركهم فيها.

والمربي الفعال هو الذي يفرِّغ من ثمين وقته لصالح أبنائه.

والمربي الفعال هو الذي يستذكر الدروس مع أبنائه.

والمربي الفعال هو الذي يخرج مع أبنائه بشكل منتظم إلى النادي والملاهي والمتنزهات والمطاعم وزيارة الأقارب والأصدقاء.



ضعهم في بؤرة شعورك

إن وضع الأبناء في بؤرة الشعور أحد الأسباب لنجاح العملية التربوية وتنمية الذات فقد لا يتذكر بعض الآباء أبناءهم إلا عند عودتهم إلى البيت وقد يسافر الأب للعمل خارج البلاد وينسى أبناءه أياماً وشهوراً.. وإن بعض الأمهات العاملات لتضع أبناءها في الروضة (الحضانة) صباحاً ولا تتذكرهم إلا عند وقت الانصراف من العمل، وهذه النماذج حتماً غير ناجحة مع أبنائها، فالمربي الناجح يحلم بأولاده ولا يغادرون عقله وشعوره.. يجرون في دمه ويشعر بهم أينما حل وارتحل وفي كل مكان وفي كل زمان.. يمر أمام مكتبة فيشتري له ولهم ما يفيد في تربيتهم.. ينتظر المعرض الدولي للكتاب كل عام ليقتني أحدث المستجدات في مجال تربية الأولاد.. يمر أمام محل الألعاب فيقف ليرى ما يناسب أبناءه منها وتراه يلتمس أوقات استجابة الدعاء فيدعو لهم ولا ينساهم.

كل ذلك وغيره يضع الأبناء في بؤرة الشعور ليكونوا الاهتمام الأول لآبائهم وأمهاتهم.

***

تعرف على مفردات العملية التربوية

إن واجب الآباء أن يتعلموا الأساليب الحديثة في تربية أبنائهم كما يؤكد على ذلك العالم في مجال التربية النفسية للطفل الدكتور «فيتزوف ديدسون» في كتابه (كيف نربي أبناءنا؟) عندما يقول: «الأبوة عملية تعلم مستمرة إذ لا يكفي أن نكون آباء فقط لكي نفهم أطفالنا ونسعدهم، علينا أن نتعلم كل الوسائل التي تصل بنا إلى تحقيق هذا الهدف، لنفترض أننا لم نلعب الشطرنج أبداً وقررنا فجأة أن نلعبها، من الطبيعي أننا قد نخطئ وقد نصيب وقد نشعر باليأس وعدم الارتياح ونحن نمارسها، لكن أليس من الأفضل لو طلبنا مساعدة شخص ذي خبرة وتجربة في هذه اللعبة لكي يعلمنا كيف نلعبها، إن هذا المثال ينطبق على تعلم كيفية ممارسة فن الأبوة، إن على الآباء أن يستعينوا بمن هم أكثر منهم خبرة في هذا المجال ليمارسوا دورهم الهام على أفضل وجه». ومن ذلك:

١) التواصل عبر شبكة الإنترنت مع الخبراء التربويين.

٢) والتواصل مع المجلات المتخصصة في التربية.

٣) والتواصل عبر البرامج التربوية في القنوات الفضائية من خلال المداخلة الهاتفية أو رسائل البريد الألكتروني.

٤) والتواصل من خلال زيارة الخبراء أو دعوتهم.

كل ذلك يصقل المربي ويرفع من مستواه التربوي لا محالة.

انظر لنفسك في المرآة

هناك حقيقة مهمة يغفلها كثير من الآباء عند التعامل مع صغارهم، وهي أن الصغير يتعلم بالتقليد أكثر مما يتعلم بالتوجيه، فالصغير يتعلم اللغة بمحاكاة أبويه وليس بدراسة قواعد اللغة! وقل مثل ذلك عن باقي المهارات وأنماط السلوك التي يكتسبها الصغير في سنوات حياته الأولى.



وما من أحد يريد أن يرى سلوكه ويسمع ألفاظه إلا وينظر في أبنائه ويسمع منهم فما ينطقون إلا بما سمعوه منه وما يفعلون إلا ما فعله هو ولقد رأيت ذلك مع ابني الذي ما سمعته تفوه بكلمة إلا وعلمت ممن أخذها ومتى كان ذلك فإن سلوك الطفل حقًا مرآة لسلوك أبويه إن خيرًا أو شرًا.

ولقد امتدح الله تعالى رسوله ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

ولو لم يكن في رسول الله محمد ﷺ القدوة لما كان على الناس طاعة ولا التزام بما يقول إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

---

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

يقول شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله: «وانتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم صنع أصحابه -عليهم رضوان الله- صوراً حية من إيمانه تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، يوم صاغ من كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجًا مجسمًا للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام، إن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً، ومن ثم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطباً، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي وتراهم العيون.. ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً وحول إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف الشريف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفاً ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق وإنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله».

> يكتسب الأبناء سلوكهم من مراقبتهم لسلوك أبويهم

إن افتقاد الطفل للقدوة فيمن يربيه أباً كان أم أماً أم معلماً أم مشرفاً لن يفلح بعده وعظ ولا عقاب..

فما يفيد أن يعطي الآباء أبناءهم عشرات التوجيهات والنصائح والأوامر كل يوم عما يليق

وما لا يليق، بقدر ما يفيد أن يكون سلوك الوالدين قدوة للصغار، الزوجة التي تكذب على زوجها، تزرع بذور الكذب في صغارها دون أن تشعر.

ويظن بعض المربين أنه بمنأى عن عين الصغير وما درى أنها كعدسة الكاميرا تسجل لحظة بلحظة وبدقة متناهية كل ما يقال ويُفعل.

ولن يفيد بعد ذلك أن يتلقى الصغير عشرات النصائح عن فضيلة الصدق، فأبناؤنا مثلاً يتعلمون الصدق حين نَصْدُق معهم، وصدقنا معهم يدفعهم إلى الثقة بنا والاطمئنان إلينا. ولا تظنوا أن الصغار أغبياء، بل هم يدركون إن كنا معهم صادقين أو كاذبين.

إن الوالد غير المنظم في بيته ونفسه وهندامه، يغرس الفوضى في صغاره بسلوكه، ولن يجدي بعد ذلك أن يؤمر الصغير بالنظام وحسن الهندام، أو توجه إليه نصيحة عن أهمية النظافة وضرورة مراعاتها.

وعلى المربي أن يكظم غيظه عندما يغضبه أحد لأنه من المفترض أن كظم الغيظ من الأخلاق التي يعلمها للصغير.

وكذلك لا ينبغي أن يذكر الآخرين بسوء في غيبهم ولا يكذب على الناس كالأب الذي يقول لابنه: عندما يطرق الباب أحد قل له: أبي ليس موجوداً، فهذا ينطبع في ذهن الصغير ويقتدي فيه بأبيه الذي يحبه.. ومثله الذي يمكر بالناس أو يغشهم أو يخدعهم ولا يصبر عليهم، فجميع ذلك يقلده الصغير وهو يتعامل مع الآخرين.

ويحسن بالمربي أن يسمع ابنه دائماً كلمات المدح والتقدير والثناء ويريه

كيف يبتسم للضيف ويبش في وجهه ويبتسم لأصدقائه ويراه أو يسمع عن إهدائه هدية لأحد، أو اتصاله بأحد ليأخذ موعداً مسبقاً ولا يفاجئ المزور بزيارة مفاجئة تربكه، وكذلك يحسن أن يسمعه وهو يقول: من فضلك- شكراً جزيلاً لك- معذرة...

ولو كنت وحدك:

فكن قدوة حسنة في حديثك ومظهرك وطعامك وعملك وجميع مظاهر حياتك، لو شاهدك ابنك وأنت تصرخ فسوف يتعلم أن هذه هي طريقة تواصل الناس مع بعضهم بعضاً، وإن صرخ ونهيته فسوف يصاب بانفصام الشخصية حتماً.

وكما يقولون: إذا أردت أن يكون حال أبنائك أفضل فكن أنت الأب الأفضل حالاً.



وينبغي اصطحاب الآباء لأبنائهم دائماً لكي يتعلموا ويقتدوا بشكل عملي من سلوك الكبار، ولذلك يجب أن يظل المربي على مبادئه دائماً ملتزماً بالقيم والأخلاق ولو كان وحده حتى لا يتكلف أمام أبنائه ولئلا ينسى يوماً فيفعل غير ما يصح أن يفعله أمام أبنائه، فالالتزام الحياتي خير من التمثيل الوقتي.

الحب والقدوة قرينان:

وكلما زاد حب الابن لأبيه زادت الحاجة للقدوة فإن ما يفعله الأب خطأ لا يكون كذلك عند الابن، بل يكون هو الأصوب وما عداه خطأ فأبوه-من وجهة نظره-لا يفعل الأخطاء.

وكذلك البنت التي تحب أمها بشدة تقلدها بشدة أيضاً، فلو تبرجت الأم لكان هذا هو الصواب وكان الحجاب هو الخطأ، ولو رفعت صوتها على زوجها لكان هذا هو الصواب وفي بيتها ستفعل هذا مع زوجها فيما بعد.

وكذلك الحال مع المعلم فإن أحبه الصغار قلدوه في كل شيء ويجعلون أفعاله وأقواله لا بديل عنها فهو محبوبهم وقدوتهم ولا شيء يعلو عليه، فإن كان المعلم مخطئاً تظهر سلبيات ذلك بشدة مع هؤلاء الصغار الذين يحبونه.

ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيَّ إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت

روى الجاحظ أن عقبة بن أبى سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له:

قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

إن الطفل يرقب طريقة تعامل الكبير عند الغضب ويرقب تعبيرات الوجه ونوع اللفظ المنطوق ودرجة الصدق والأمانة والاستجابة أو عدم الاستجابة للمواقف المختلفة وردود الأفعال المتباينة فيصبح بالتالي أمر إعادة تقييم ألفاظنا وأنشطتنا وعاداتنا أمر في غاية الأهمية بالنسبة لأطفالنا.

كن كالشيف:

إننا يجب أن نكون مثل [الشيف] عندما يصنع الطعام على الهواء مباشرة حيث إنه يرد على المشاهدين بينما يشرح طريقة صنع الطعام الذي هو بصدده خطوة خطوة ويبين المقادير الواجبة وبالطبع من غير المسموح له أن يصنع ذلك في صمت بدعوى التركيز في الطعام والأم أو الأب لابد أن يفعل مع طفله مثل ذلك فيقول:

أنا الآن أغسل يدي قبل الطعام حتى آكل بها وهي نظيفة وبينما يتناول قميصًا أو كوبًا ملقى على الأرض أو في غير مكانه فيرفعه وهو يقول يجب أن أعلق هذا القميص في مكانه لكي يظل نظيفًا وعليَّ أن أرفع هذا الكوب حتى لا ينكسر. إن فعله هذا مع التعليق ليعطي الطفل نموذجاً مع معلومة مفيدة توفر جهداً كبيراً في التعليم والتعديل فيما بعد.

مثال عملي:

قدم للأطفال نموذجاً للسلوك الذي ترغب في رؤيته منهم، فهذا يساعد كثيراً في تعلمهم بشكل واقعي وعملي تماماً كالمدرب الذي يلقن التدريب بشكل نظري ثم يقوم بعمل نموذج وهو ما يطلق عليه (بيان على المعلم) ومن خلال ذلك يتعلم المتدربون كيف يفعلون بعد أن تخطوا

المرحلة النظرية (ماذا يفعلون)..

الأب: ارتطمت سيارة بسيارة في هذا الصباح وخرج سائقها وبدأ يسبني.

أحد الأبناء: كان يجب أن تبادله سباباً بسباب.

الأب: لا لم أفعل ذلك وإنما قلت له: إن كلانا قد تضرر ومن حقه أن يغضب لكن من الأفضل أن نتحدث معاً بشكل محترم والمخطئ فينا يحاسب.

وهكذا يمكنك اصطياد مواقف عديدة تقدم من خلالها نماذج للطفل عما ترغب في رؤيته منهم.

وأخيراً:

ليعلم المربون أن مربياً غير قدوة ككاتب على الماء لا يرى لذلك أثراً، فلا وعظه ينفع ولا كلامه يسمع ولا توجيهاته تنفذ ولا هو يحترم في شيء مما يقول أو يفعل، فالمربي يكون على حذر دائم أمام الطفل. ولعلمه أنه بأقواله وأفعاله إنما يستنسخ من أبنائه نسخاً كربونية منه لا في الشكل بل في السلوكيات والحركات والسكنات. فلنحذر أن نفعل أمام أبنائنا ما ننهاهم عنه أو نقول غير ما نفعل.

***

ضع أعصابك في ثلاجة



إن للسيطرة على أعصابك تأثيراً مهماً على ضبط سلوك أطفالك. فالخلافات يمكن حلها دون غضب. وإذا حافظت على هدوئك سيكون اتصالك بأطفالك أكثر فاعلية كما سيكون عقابك لهم فعالاً كذلك. وحين تصبح مثلاً أعلى للسيطرة على النفس سيتعلم أطفالك منك بشكل أكثر وأفضل.

إن استفزاز الأطفال للكبار لا يكون متعمداً في غالب الأحيان كما يظن بعض من ليس لديهم الخبرة الحياتية والعلمية الكافية.

إن أفعال الطفل تصدر عن كائن حي في طور النمو وحب الاستطلاع والإنجاز والاستكشاف وهذا قد ينتج عنه أفعال غير معتادة للكبار مما يستفزهم ويدعوهم للغضب والصراخ. وقد يتطور الأمر فيما بعد لتعمد استفزاز الصغار لهم كنوع من الانتقام بعد ما علموا نقاط القوة والضعف في آبائهم وأمهاتهم.

وقد أثبتت الدراسات كما أثبت الواقع أن الأطفال يفضلون عمل أي شيء ولو كان مكروهاً أو سخيفاً على عدم حدوث أي شيء بالمرة أي أن أي

إثارة أفضل من لا شيء حتى وإن كان ذلك مؤلماً لهم أو لغيرهم.

لذا عزيزي المربي يجب أن تقاوم رغبتك في أن يكون رد فعلك غاضباً. خذ نفساً عميقاً عند صدور فعل يدعو للغضب. غيِّر من جلستك أو وضعيتك التي أنت عليها. اغسل وجهك أو أذهب ونم أو ابتعد عن الغرفة التي فيها مصدر الغضب. وقم بالعد من ١٠ إلى ١ (تنازليًا) عندما تشعر بأنك تفقد السيطرة على نفسك فإنك عند الغضب تعاقب بلا تفكير فيكون عقابك أكبر من الجرم المرتكب أو غير مناسب له أو يكون عقاباً بدنياً أو يكون مهنياً ومشيناً مما يجعل ضميرك غير مرتاح بعده وما هذا هو الهدف من العقاب.

سر مهم من أسرار التربية الناجحة هو أن تحتفظ دوماً بهدوئك وتضبط رد فعلك فهذا يقلل السلوك السيئ بنسبة تصل إلى ٢ ٪ أو أقل ويجعلك قدوة حسنة لابنك في الهدوء وضبط النفس. وبالعكس فإن ردود الأفعال السيئة تزيد من سوء السلوك بنسبة ١٠ ٪ أو يزيد.

وهذا يعني التحكم في العقل وأن تكون على دراية ووعي بمشاعرك وبهذا الوعي تسيطر على صوتك وأفعالك وجميع سلوكياتك وبمجرد أن تظهر ضبط النفس أمام أطفالك فسوف يظهرون ضبطاً للنفس بشكل أفضل مما كنت تتخيل.

إن ضبط النفس يرتبط بحبك لأبنائك وسعيك وراء تربيتهم وتعديل سلوكهم أو وضوح هدفك معهم فإذا غضبت أو زجرت أو انزعجت أو عاقبت على كل شيء تافه يصدر من طفلك فسرعان ما سيفقد الاهتمام،

وينتقل إلى أشياء أسوأ وأفظع. فإذا كنت تعلق المشنقة لطفلك على سرقته قطعة شيكولاته من العلبة فإنه سيفعل ما هو أشد من ذلك.

لذلك:

ينبغي عدم التركيز على الأشياء التافهة، فالسلوكيات السيئة البسيطة تستحق أن يُلفت النظر إليها لكن ليس في جميع الأوقات. فإذا كنت تتعقب زلات طفلك تافهة كانت أو كبيرة فسوف تصنع طفلاً لا يتمتع بأي نوع من الثقة بنفسه يشعر بالاضطهاد والذل. فإذا كان لا يستطيع إرضاءك أبداً فسوف يكف عن محاولة ذلك، وستكون أكبر الخاسرين.

وبما أن الأطفال الملائكيين الذين لا يرتكبون أي خطأ غير موجودين. إذن ابحث عن روح الدعابة والمرح وتغاض على الأشياء التافهة ووفر عقابك واهتمامك للأشياء الكبيرة التي تستحق ذلك.



وثورة الأم على طفلها وصراخها في وجهه عندما يرتكب خطأ ما، لن يصل بها إلى نتيجة إيجابية لتحسين سلوكه، إذ تفقد هذه الأم هيبتها وقوة تأثيرها على طفلها بهذا الأسلوب الذي سيتعود عليه ويواصل فعله الخاطئ.

إن الصراخ والصياح في وجه الطفل عندما يخطئ دليل على ضعف المربي وإعلانه لفشله تجاه طفله الذي ما زال إنساناً يتشكل ويتعلم وينضج عقله.

ولقد ثبت علمياً أن الغضب كصورة من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب، وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحد من هذه الانقباضات أو النبضات مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وزيادة إفراز الأدرينالين.

وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة وجود علاقة وثيقة بين الانفعالات النفسية ومنها الغضب وبين الإصابة بالسرطان. وتمكن العلم أن يبين مدى خطورة الإصابات السرطانية على إنسان القرن العشرين، وأكدت الدراسات أن الأشخاص الذين يعانون من انفعالات نفسية مريرة بصورة مستمرة يموتون بالسرطان باحتمال نسبي أكبر. فالانفعالات النفسية تولد اضطراباً هرمونياً خطيراً في الغدد الصماوية يؤدي إلى تأرجح في التوازن الهرموني بصورة دائمة، هذا التأرجح يساعد على ظهور البؤرة السرطانية في أحد أجهزة البدن.

وإن التروي والتأني مع الحلم والصبر من أهم صفات المربي الناجح. ولقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال لرجل من أصحابه: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»(١).

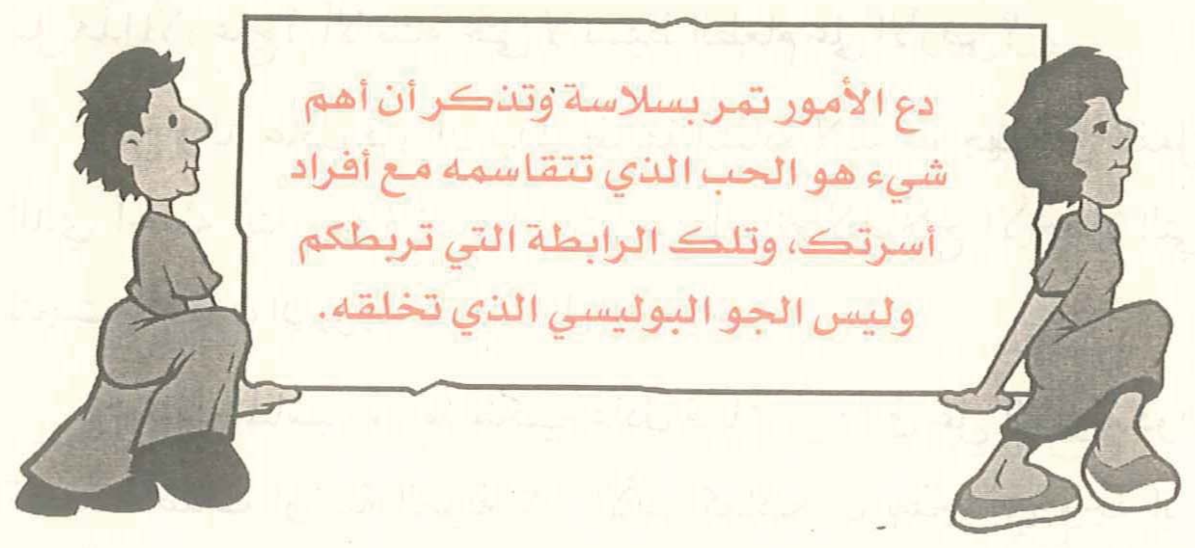
وقد جاء في الأثر: «أربع من كنَّ فيه وجبت له الجنة وحفظ من

---

(١) رواه مسلم

الشيطان: «من يملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي وحين يغضب».

واعلم أخي المربي أن العلاقة بين أفراد الأسرة أكثر أهمية من السلوك وأعني بهذا أن لا تثور دائماً لكل شيء يفعله طفلك. ولا تفترض أنه يفعل ذلك متعمداً أو لكي يثيرك، ويعرفك أنه لن يستجيب لما تريد. يأتي مثل هذا السلوك من اعتقاد الآباء والأمهات أنهم دائماً على صواب.



وتذكر أن الغرض من التأديب هو أن تجعل الأبناء يفكرون في سلوكهم الخاطئ وليس سلوكك أنت! فإذا كنت مستعداً للانفجار مثل البركان في أي لحظة فلن تكون محاولات التأديب التي تقوم بها أكثر من مجرد طريقة تتخلص بها من توترك، ولن يستفيد أبناؤك شيئاً جديداً، ولذلك ننصحك ألا توجه ابنك وأنت منفعل غضبان حتى لا تخرج منك ألفاظ لا يحتملها الموقف وحتى تكون متزناً في توجيهاتك، عادلاً في حكمك فلا تنتقم لنفسك، فإن الحب والتسامح والابتسامة أقوى من الغضب والانفعال.

نموذج ناجح

تعود والد عادل أن ينتقد تصرفات ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بقوله:

لماذا لا تأخذ حذرك أكثر من ذلك حتى لا تتسخ ملابسك.

أو يقول له: لماذا تسبب لنا في كل مرة نجتمع فيها على مائدة الطعام كل هذا الإزعاج؟ ألا تنتبه حتى لا تسقط الطعام على الأرض؟

لكن والد عادل قرر أن يبدل طريقة انتقاده لابنه فيوجهها إلى الفعل الذي أحدثه ابنه وماذا يجب أن يتم من إجراء لإصلاح الأخطاء التي نتجت عنه دون أن يوجه الحديث إلى ابنه مباشرة.

وجاءت المناسبة عندما سكب عادل قليلاً من المرق على الطاولة دون قصد، فأصاب أرضية الغرفة كاد الأب كعادته أن ينفجر في وجه ابنه ويلومه على إهماله كعادته، لكنه كبت غضبه وقال بنبرة حازمة: هذه البقعة على السجاد بحاجة إلى تنظيف.

انبهر عادل برد فعل أبيه الهادئ المختلف عن العادة فشعر بالخجل والامتنان لوالده لأنه لم يصرخ في وجهه عندما أخطأ وذهب بهدوء إلى خزانة التنظيف وأخرج قطعة من الإسفنج وغمسها بالصابون وقام بتنظيف أرضية الغرفة ثم قال لوالده: أنا آسف يا والدي وسأكون حذراً.

لو أن والد عادل صرخ في وجه ابنه كعادته عندما ينتقده قائلاً: لماذا لا تنتبه يا ولد، أنت دائماً مهمل هكذا. فإن عادل سيغضب وسيدافع عن نفسه

ولن يفكر في أن يجيب والده بأنه سيكون أكثر حذراً في المرة القادمة، لكن هدوء والده جعله يخجل من تصرفه وسارع إلى تصحيح خطئه عازماً على عدم الإهمال والحذر عندما يتناول طعامه في المستقبل.

١) الطريق نحو العلاج:

هناك طريقة فعالة ومؤثرة من طرق العلاج لغضب المربي وهي أن يعبر عن مشاعره لأطفاله وقت الغضب بدلاً من توجيه اللوم إليهم، وتتطلب هذه الطريقة من المربين أن يستخدموا عبارات قوية ومختصرة، فيقول الأب الغاضب لابنه مثلاً:

أنا غاضب جداً من تصرفك بالأمس عندما جئت متأخراً.

ويستطيع الأب أن يضيف جملاً أخرى عما يتوقعه من ابنه فيقول له:

كنت أتوقع منك أن تدرك الوقت المناسب للعودة إلى البيت مثلما حددته لك من قبل.

٢) خذ قسطاً من الراحة:

فلقد ثبت علمياً وبالتجربة أنّ الذي ينام قليلاً يظلّ عكر المزاج طوال النهار، بل تتوتر أعصابه ويغدو شديد الانفعال لأسباب بسيطة، وأنّ الذين ينامون جيداً لا ينفعلون بسرعة، مما يؤكد أن للنوم علاقة كبيرة باسترخاء الأعصاب وتوترها، وبالتالي بحالات الغضب التي قد لا يعرف لها سبب واضح، فيصبح لزاماً على المربي أن يبتعد عن أسباب تعكير المزاج وتوتر الأعصاب فينام وقتاً كافياً ولا يتعرض لمتاعب زائدة تخرجه عن حلمه

وتفرغ صبره.

٣) ومن المهم أيضاً أن تبتعد عن طفلك قليلاً إذا غضبت لكي تسترجع هدوء أعصابك فتتفادي تجريحه وإهانته، وتستطيع توصيل رسالتك له بطريقة إيجابية.

ولنضرب مثالاً عملياً لنتعرف على كيفية استخدام هذا الأسلوب التربوي. هند فتاة في العاشرة من عمرها نهضت من النوم ولم ترتب سريرها ثم أخرجت بعض ملابسها وتركتها ملقاة على الكرسي..تضايقت أمها من فوضويتها وأرادت أن تعودها على ترتيب غرفتها فقالت لها:

هند لماذا تتركين غرفتك فوضى هكذا؟ هيا رتبي سريرك وعلقي ملابسك.

ردت الابنة: هذا عمل الخادمة نحن ندفع لها راتباً لتقوم به.

أجابت الأم وقد أخذت تشعر بالثورة تسري إلى نفسها: الخادمة تقوم بترتيب البيت مرة واحدة في اليوم، أما بقية اليوم فإن هذه غرفتك وأنت مسئولة عن ترتيبها.

وخرجت من الغرفة لكي لا تفقد أعصابها وتبدأ في تجريح ابنتها وعندما هدأت عادت إليها وقالت:

الآن أستطيع أن أناقش معك هذا الأمر، أريدك أن تعلمي أمراً وتطبقيه مستقبلاً: ما دمنا نعيش في هذا البيت فإن لكل واحد منا واجباً يقوم به لكي نتعاون على أن يكون منزلنا مرتباً، إذا كنت لا تريدين ترتيب

غرفتك فسأختار لك عملاً آخر تقومين به..ماذا تختارين؟

تراجعت الابنة قائلة: أختار ترتيب فراشي وغرفتي حتى تبدو مرتبة وجميلة.

وعكس ذلك الأم التي رأت ابنها يرمي الملعقة أكثر من مرة فنهرته وهي غاضبة فقد جانبها الصواب، ولو فكرت الأم بمنطق عقل ابنها لوجدت أنه يفعل ذلك؛ لأنها بالنسبة له لعبة يتسلى بها، أو أنه أمر مدهش اكتشفه فجأة، إذن لا يحتاج تصرفه هذا إلى أن تغضب أمه عليه، وإذا حدث وأخطأت الأم في حق ابنها فإنه من الضروري أن تعتذر له أو تمدحه بطريقة عفوية لكي تمسح الجرح النفسي الذي سببته له..ثم تجلس مع نفسها وتحاول أن تجد حلولاً تساعدها على الاحتفاظ بهدوئها عندما تتكرر مثل هذه المواقف.

وأخيراً:

تذكر أخي المربي أنّ العصبية الزائدة تستهلك الجهاز العصبي وتتلفه؛ ولذا فإنّ أي حالة غضب سلبي تعتبر هدراً للطاقة التي يمكن توظيفها فيما هو نافع. فالأطباء النفسانيون ينصحون بالاقتصاد في هذه الطاقة بتجنّب المواقف التي تسببها لأنها تسيء إساءة بالغة للمزاج الصحيّ العام، أي أنّ الغضب المحتدم يسمّم الجسد ويصيبه أو يصيب بعض أجهزته بأمراض خطيرة كالقرحة المعوية.

***

عليك بالحكمة الصينية



يحسن عند التعامل مع الأبناء الاستفادة من الصينيين عندما يقولون: يأتي النجاح من **القرارات الصائبة**، والقرارات الصائبة تأتي من **التقدير السليم** للأمور، والتقدير السليم للأمور يأتي من **التجارب**، والتجارب تأتي من **التقدير الخاطئ للأمور**.

فليس الأبناء حقل تجارب ولكن عندما نتعامل معهم فيجب أن نتعلم ونعترف مع أنفسنا أننا أخطأنا في موقف كذا كمن يعترف مثلاً أنه بالغ في عقاب ابنه أو عاقبه دون تفكير، أو عاقبه ولم يقنعه بخطئه، فهذه تجربة ويجب أن يستفيد المربي منها بحيث لا يكررها فيما بعد بل هو يقدر الأمور تقديراً سليماً ويعطي نفسه المهلة والوقت الكافيين ليتخذ القرار السليم عند تعامله مع طفله.

إن ماضيك مع طفلك هو كنز من التجارب القيمة المتوافرة لديك كي تستفيد منها فيما بعد.

«توماس أديسون» صاحب الاختراعات الشهيرة كان دائماً يقول: إن الأفكار الخاطئة هي التي تقود لطريق الأفكار المفيدة، وكان عندما يسأل عن تطور تجاربه كان رده الشهير: «الآن أعرف الكثير من الطرق التي لا تنفع».

اعرف فن حل المشكلات

المربي المتميز يعرف الأسس الواجب اتباعها لوقاية الطفل أولاً، ثم علاجه مما قد يصيبه من توترات ومشكلات سواء أكانت سلوكية أو نفسية.

ولنعلم أنه ليست هناك أسس واحدة لكل مشكلة فإن كل طفل يختلف بمشكلته عن الطفل الآخر، وهذا الموضوع من الأهمية بحيث إنه يستحق أن ينفرد بكتاب خاص، ولكننا هنا نحاول فقط معرفة بعض الأسس العامة عندما نشتكي من مشكلة ما عند أبنائنا.

1] تصنيف المشكلة:



لا توجد صيغ نموذجية لحل كل المشاكل الخاصة بالطفل ولكن عندما تفشل الحلول البديهية والمبتدعة فإن هناك احتمالات لكونك أخطأت في تحديد المشكلة. إصلاح سيارتك لا يجعلها أحسن إذا كانت المشكلة في البنزين السيئ، ولأن تلبس الجاكيت كي تبقى شاعراً بالدفء شيء جيد ولكنه لن يصلح المدفأة.

لابد من تصنيف المشكلة بشكل صحيح مع الحذر من إطلاق أحكام جزافية واختراع مشكلات نفسية أو سلوكية ليس لها أصل، فقد جاءني ذات يوم أحد الأصدقاء يشتكي من أن ابن أخته أصبح لصاً فسألته: وكيف عرفت ذلك؟

قال: لقد سرق من حقيبة أمه نقوداً.

فسألته حيث لم أتعود على إطلاق حلول لمشكلة ربما يكون فيها بعض المبالغة، فأخذ يحدثني عن حسن خلق ابن أخته، وأنه ولد متفوق في المدرسة وقد رباه أبوه على أنه لا ينبغي إلا أن يكون الأول على زملائه في المدرسة وإلا عنفه وعاقبه وحرمه، وكان المدرس في الفصل يعطي أول الناجحين كل شهر جائزة، وفي هذا الشهر كان ترتيبه الثاني على الفصل فخاف من عقاب أبيه فأخذ من حقيبة أمه بتلقائية غير محسوبة مالاً يشتري به جائزة ليفلت من العقاب ويزعم لأبيه أنه أخذها نظير تفوقه مثل كل الشهور، ولما شك فيه أبواه بحثا في المدرسة وتبين لهما أنه تفوق هذا الشهر ولكن كان ترتيبه الثاني وليس الأول ففعل ما فعل، فهنا الولد ليس لصاً كما جاءني خاله يشتكي وليس كذاباً بل هو ولد متفوق صادق مؤدب والأب هو الذي يحتاج إلى التوجيه وليس الصغير.

وكذلك أتى بعضهم يدعي أن ابنه عدواني وبالبحث تبين أنه طبيعي ويحتاج أبواه فقط إلى بعض الإرشادات، ومن أجل التصنيف الصحيح للمشكلة لابد من معرفة خصائص المراحل السنية وأسباب المشكلات النفسية والسلوكية والأعراض الصحيحة لتلك المشكلات أولاً.

٢] ضبط النفس:

ضبط النفس عند ظهور المشكلة هو أحد العوامل الرئيسية للعلاج فلو اكتشف الوالدان أن ابنهما يدخن فغضبا وزجراه وحرماه من المصروف وضيقا عليه فربما يعاند ويسرق كي يشتري سيجارة مثل بعض أصدقائه، ولكن الجلوس معه بهدوء وإقناعه بضرر التدخين ومحاورته في الأسباب التي تجعله يدخن وإخباره عن آثار التدخين وغير ذلك يسهم في علاج المشكلة وعدم تفاقمها، كما أن ضبط رد الفعل يحجم العدد الذي يعرف تلك المشكلة، وبالتالي يسهل الحل ولكن لو عرف الابن أن جميع أفراد العائلة والأقارب والجيران والأقران قد عرفوا به فسوف يجهر بها بعد أن كان يخفيها وسيصعب معه العلاج حينئذ.

٣] التدرج في العلاج:

وهو أمر حتمي مهما عظمت المشكلة، فالعلاج قد يأخذ وقتاً طويلاً وإلقاء ما في جعبتنا من حلول أمر غير صائب تماماً كالمريض الذي يشتري دواءً فيتناوله جرعة واحدة، فبالتأكيد لن يشفى إذ إن الدواء يؤخذ على جرعات منتظمة وفي أوقات محددة.

٤] تنويع الوسائل العلاجية:

وهذا أمر مطلوب فقد ينتج عن **الحوار** ما لا تنتجه القصة، وقد تنفع **القصة** ولا ينفع النصح المباشر، وقد يثمر **النصح المباشر** ولا يفيد موقف تمثيلي، وقد يحل المشكلة **موقف تمثيلي** ولا يحلها **زيارة لمختص**، وقد يلزم كل ذلك من أجل العلاج.

٥] عدم اليأس:

النَفَس الطويل من الأمور التي ننصح بها الآباء تجاه أبنائهم تماماً كالابن المعوق أو المريض مرضاً مزمناً أو شبه المزمن فيبذل معه الوالدان قصارى جهدهما وعلى مدى سنوات عديدة من أجل علاجه، فالأمل مرغوب واليأس مرفوض في التربية.

٦] الحذر من مسببات المشكلات:

وذلك للعلاج أولاً وللوقاية ثانيًا، ومن ذلك: التحقير والإهانة والمشكلات الأسرية والقسوة الزائدة والتدليل الزائد والتسلط والمقارنة بالغير والشعور بالنقص والحماية الزائدة وغياب الوالدين وعدم الإقناع والتساهل الممقوت.

***



فكر معنا

صوب العبارة الخطأ فيما يلي:

١) من سمات المربي المتميز أن يكتب خبراته التربوية.

٢) الآباء ليسوا في حاجة مثل الأطفال إلى تعلم تقديم الاعتذارات.

٣) تعبير المربي عن مشاعره لأبنائه يمنعه من الغضب.

٤) تغيير المربي لنفسه هو أولى خطوات النجاح التربوي.

٥) تصنيف المشكلة بشكل صحيح هو أهم شيء في العلاج.

٦) يكفي للمربي التخلي عن الأساليب التربوية الخاطئة دون اكتساب مهارات جديدة.

٧) الابتعاد عن الطفل عند الغضب أمر مهم للمربي كي لا يؤذي الطفل بانفعاله.

٨) يكتسب الأطفال سلوكهم من خلال مراقبتهم لسلوك أبويهم.

٩) المربي الفعال هو الذي يفرغ من ثمين وقته لصالح أبنائه.

١٠) الحزم من الصفات الثانوية للمربي.

***



في الباب السابع تحدثنا عن أهمية أن يحدد المربي أهدافه من تربية أبنائه وكيف أنه يجب عليه التعرف على أولوياته ليضع كل شيء في نصابه فلا يطغى المهم على الأهم.

وذكرنا أهمية تحلي المربي بالحزم في غير عنف وباللين في غير ضعف، وأوضحنا أهمية الحلم والصبر ليكون المربي قدوة حسنة لأبنائه.

وأكدنا على أنه بدون وضع المربي لأبنائه في بؤرة شعوره واستفادته القصوى من خبراته الحياتية في التعامل معهم ومعرفته بالأسلوب الصحيح لحل مشكلاتهم فسوف تحدث مشكلات تربوية قد يكون لها بالغ الأثر في صلاح الأبناء فيما بعد.

***

الباب الثامن



معوقات يجب التخلص منها

تمهيد

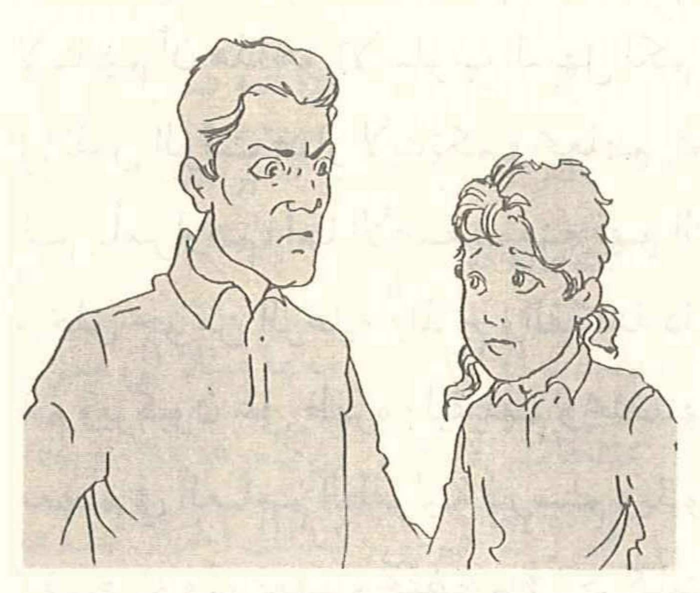
في تمهيدنا للباب السابق ذكرنا بأن الطريق نحو التميز يحتاج من المربي لتضحيات ومشقات يبذلها حتى يصل إلى نهاية الطريق، وذكرنا بأن الباب سيتناول ما يجب أن يتحلى به المربي حتى يكون متميزًا.

وهنا في الباب الأخير من هذا الكتاب نذكر ما يجب أن يتخلى عنه المربي في طريقه نحو التميز، حيث التحلي والتخلي هما الركيزتان الأساسيتان في سبيل نجاح العملية التربوية.

***

الوقار الكاذب

الوقار في اللغة معناه الرزانة والحلم والعظمة، وليس من معانيه التجهم والكف عن الضحك أو المزاح أو اللعب، ورفض تقبيل الطفل أو احتضانه بدعوى الحفاظ على الهيبة والوقار.



الأنبياء والعلماء والعظماء هم أوْلى بهذا ورغم ذلك فإن الواقع التاريخي قد أثبت أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان يلاعب الصبية الصغار ويمازحهم فيحملهم على ظهره تارة ويقبلهم تارة ويعقد المسابقات بينهم تارة أخرى، ولم نسمع عن أن ذلك قد نتج عنه عدم احترام أصحابه هؤلاء له بل كانوا يقتدون به ويحبونه ويهتدون بهديه وفعل هؤلاء الصغار مثل ذلك.

فبعض المربين يظن أن الهيبة لا تأتيه إلا إذا ضرب ابنه ضرباً مبرحاً وإلا إذا داوم على التجهم وتقطيب الجبين في كل وقت، ويرى أنه لن يكون مهاباً في البيت إن لم يذق أبناؤه صفعة على جبينهم الرقيق ولأتفه الأسباب، هذا فضلاً عن المنع المطلق للقبلات والأحضان فكلها تقلل الهيبة والوقار من وجهة نظره. وإن هذه القسوة الزائدة في معاملة الصغار لتصيبهم بكثير

من الأمراض السلوكية والنفسية في المستقبل؛ فالتبول اللاإرادي والخوف والانطوائية والكذب وفقدان الثقة بالنفس وغيرها.

فليعلم الآباء الذين نراهم كثيراً وهم يبتسمون لزملائهم ولا يبتسمون لأبنائهم أن هذا هو الأسلوب السهل لكم في اكتساب الوقار المزعوم ولكنه في نفس الوقت ضار لأبنائكم ويجعلهم يتخذون أصدقاء غيركم يبوحون لهم بأسرارهم، أما الأصعب منه فهو التصابي للصغار واللعب معهم وخلق جو من الرعاية والمرح والفكاهة دائماً، فمن كان له صبية فليتصابَ لهم ويركبون على ظهره وليقبلهم ويحتضنهم وليرفعهم على كتفيه وليشترك معهم في ألعابهم الطفولية فيرسم ويلون وينضحهم بالماء وليتركهم ينضحونه وليرفعهم ويخفضهم في حركات بهلوانية تسعد الطفل وتنمي شخصيته.

ولكن مع هذا التصابي تعلمون أبناءكم أن المزاح لا ينبغي أن يصحبنا في كل وقت، فإذا جاء الضيف مثلاً أو أراد أحد الأبوين النوم فلا يتمادى الصغار في مزاحهم ولا يطلبون منه اللعب في ذلك الوقت.

***

التساهل الممقوت

أن نحب أطفالنا ونريدهم أن يكونوا سعداء لا يعني أن نحقق لهم جميع رغباتهم، فهذا النوع من الحب لا يبني شخصية الطفل بطريقة إيجابية، إذ يدفعه إلى التفكير في ذاته فقط أي أن يصبح أنانياً، كما أنه قد يتجه إلى السرقة عندما لا تتحقق رغباته عندما يكبر ولا يجد ثمن ما يرغب فيه من أشياء، أو يجد الوالدان صعوبة في الاستجابة له مادياً.

ومن التساهل الممقوت أن تصطحب الأم الطفل معها مثلاً إلى منزل الجيران أو الأقارب ويخرب الطفل ممتلكات الآخرين ويكسرها فلا توبخه أو تزجره بل تضحك له وتحميه من ضرر الآخرين، كذلك الحال عندما يشتم أو يتعارك مع أحد الأطفال تحميه ولا توبخه على ذلك السلوك بل توافقه عليه !! وقد يتجه الوالدان أو أحدهما إلى اتباع هذا الأسلوب مع الطفل إما لأنه طفلهما الوحيد أو لأنه ولد بين أكثر من بنت أو العكس، أو لأن الأب قاسٍ فتشعر الأم تجاه الطفل بالعطف الزائد وتحاول أن تعوضه عما فقده، أو لأن الأم أو الأب تربيا بنفس الطريقة فيطبقان ذلك على ابنهما.. ومن نتائج تلك المعاملة أن الطفل ينشأ لا يعتمد على نفسه ويكون غير قادر على تحمل المسئولية وبحاجة لمساندة الآخرين ومعونتهم كما يتعود الطفل على أن يأخذ دائماً ولا يعطي، وعلى الآخرين أن يلبوا طلباته وإن لم يفعلوا ذلك يغضب ويعتقد أنهم أعداء له، ويكون شديد الحساسية وكثير البكاء وعندما يكبر تحدث له مشاكل عدم التكيف مع المجتمع حيث يريد أن يلبي له الجميع مطالبه، فيثور ويغضب عندما ينتقد على سلوك ما

ويعتقد الكمال في كل تصرفاته وأنه منزه عن الخطأ وعندما يتزوج يحمل زوجته جميع المسئوليات دون أدنى مشاركة منه ويكون مستهترًا نتيجة غمره بالحب دون توجيه.

حدود وضوابط:

إذن علينا كمربين أن نضع حدوداً لرغبات أطفالنا، أن نعلمهم الفرق بين التصرف الصحيح والسلوك الخاطئ، إلا أننا لا نتوقع أيضاً أن يكون أبناؤنا سعداء بهذه الحدود، ولن يبتسم الطفل لوالده ويقول له: شكراً يا أبي لأنك طلبت مني أن أترك اللعب لكي أذاكر.

أو يقول له: أشكرك يا والدي لأنك أمرتني أن أجمع ألعابي وأعيدها إلى مكانها بعد أن أنتهي من اللعب.

كما أن الأب الذي يريد أن يعلم ابنه معنى المشاركة فيطلب منه أن يشارك أخته في قطعة الحلوى التي معه، لا يتوقع أن يكون ابنه فرحاً ويقول له:

أشكرك يا أبي لأنك طلبت مني أن أقتسم قطعة الحلوى مع أختي.

من الطبيعي أن يتضايق أطفالنا من الحدود التي نضعها لهم وعلينا أن نتوقع إجاباتهم الغاضبة أو عبوس وجوههم أو تجاهلهم لأنهم يكرهون قوانيننا وحدودنا التي نضعها لهم كما أنهم لا يحبوننا في تلك اللحظات، إذ من الصعب على الأطفال أن يفصلوا بيننا وبين تصرفاتنا، وعندما نصر على أن يفعلوا شيئاً لا يريدون هم أن يفعلوه أو عندما نرفض أن نستجيب

لتوسلاتهم، فإننا كثيراً ما نسمع منهم: «أنت لا تحبني» أو «أنا أكرهك» أو «أنا لن أكون صديقك» أو «أنا لن أحبك بعد اليوم».

إلا أن كراهية الطفل هذه تكون مؤقتة فقط لأنه لم يحصل على ما يريد.

وإن عدم توضيح اللائق وغير اللائق وعدم التعريف بالحدود والضوابط والقوانين والقواعد المتفق عليها داخل الأسرة يزيد من التوتر النفسي لدى الأبناء، كما أنه يقلقهم ولا يطمئنهم ويجعلهم مقيدين في حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم. أما الحرية المضبوطة وفق نظم وقواعد فهي مهمة للطفل نفسياً وتربوياً..ونقصد بالحرية المضبوطة أي الحرية مع وضع الضوابط وأن نعلمه أن اللبس المناسب لا يكون مستفزاً لأحد في المجتمع ولا يكون لبس البنت قصيراً أو مثل لبس الولد، وكذلك الولد لا يكون لبسه كلبس البنت، ونتركه بعد ذلك يختار من ملابسه ما شاء في ظل هذه الضوابط ولا نختار له نحن.

فقائد السيارة يسير بحرية في الطريق الذي تحددت فيه علامات بيضاء في الطريق، وعلامات إرشادية لعبور المشاة وعبور الحيوانات وأماكن الانتظار وغيرها، في الوقت الذي لا يستطيع ذلك في الطريق الواسع الذي ليس له علامات. وهذه هي الحرية المضبوطة التي لا غناء عنها.

***

إعلان حالة الطوارئ

من الأخطاء التي يقع فيها بعض المربين أحياناً هو إعلانهم حالة الطوارئ في البيت عندما يقترب موعد السفر أو الامتحانات أو عند زيارة ضيف أو ليلة الفسح والرحلات.

وهذه الطوارئ يصحبها دوماً - وهو ما نعنيه بهذا الموضوع - التوترات والضغط العصبي وسرعة الغضب والانفعال وغيرها من آثار ضارة على أفراد الأسرة جميعًا لاسيما الأطفال منهم وهم هدفنا من هذا الحديث.

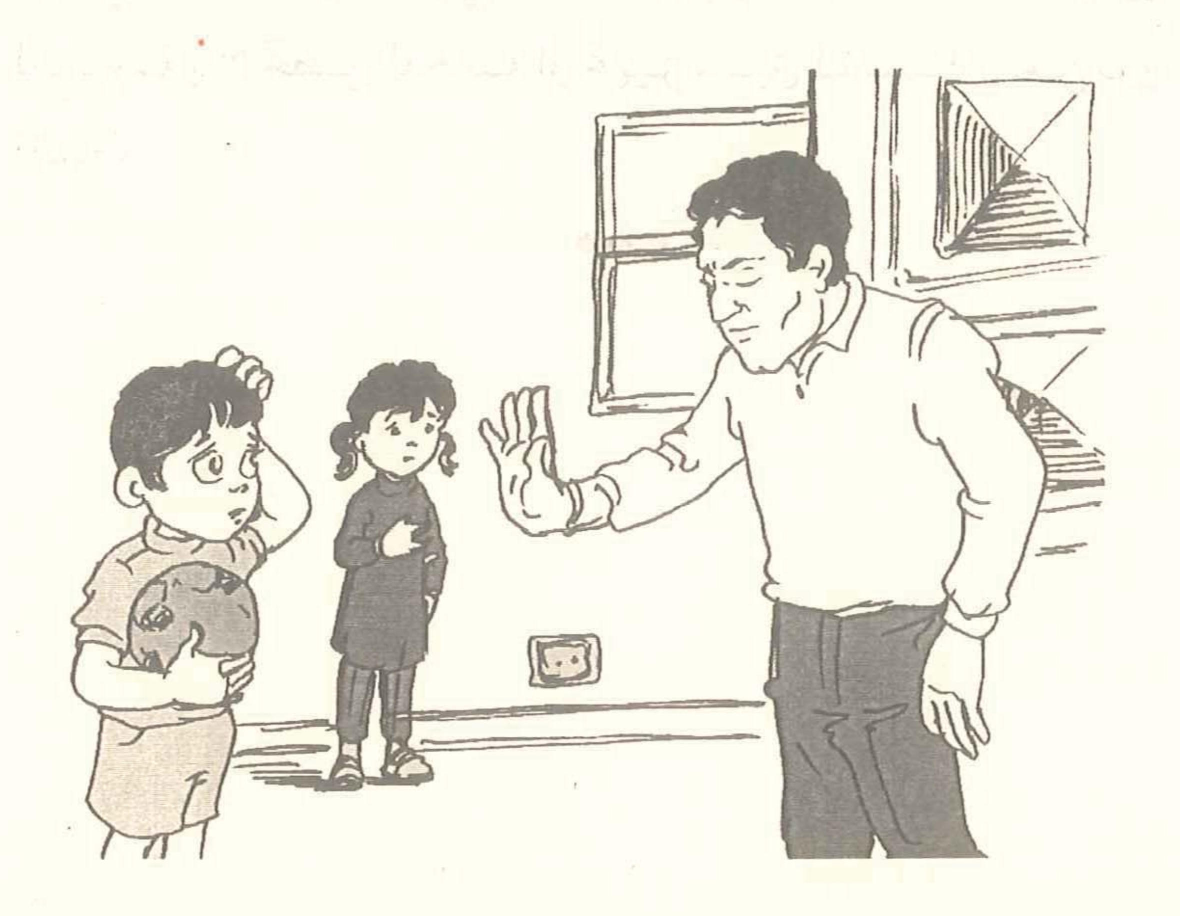
ويمكن لعلاج ذلك أو التخفيف منه أن نستعد مبكراً لمثل الرحلات والأسفار والامتحانات والزيارات، وإن لم يتحقق ذلك فيجب ألا نضغط أنفسنا وأبناءنا ونتلف أعصابنا بسبب امتحان أو سفر أو ضيف، فأعصابنا أغلى من امتحانات الدنيا كلها وأغلى من ملايين الجنيهات التي يمكن تحصيلها من سفر أو عمل.

***

فتات الجهد وبقايا الوقت

أبناؤنا يحتاجون منا أن نجالسهم ونحادثهم ونلاعبهم ونصاحبهم ونمازحهم ونصطحبهم معنا في زياراتنا وما تيسر من قضاء حاجاتنا، فهذا جميعه يكسبهم كثيراً من الخبرات ويشعرهم بذواتهم ويزيدهم محبة لنا.

والواقع أن هذا يغفل عنه بعض الآباء فتراه يعود إلى البيت متعباً لا يتفوه بكلمة واحدة ولا يسمح بالمزاح واللعب وربما أكل ونام وخرج في المساء ليجلس مع أصدقائه على المقهى أو خرج للعمل المسائي الإضافي، وهو بذلك قد غفل عن أبنائه الذين طال انتظارهم له، فإذا به يصدهم حتى عن الكلام معه. ولما استراح تركهم وانصرف وقد يمر على بعض الآباء



اليومان والثلاثة ولا يرى أبناءه إلا وهم نيام ولا يفكر في السؤال عن صلاتهم ودراستهم وأصدقائهم، وماذا فعلوا في يومهم وليلتهم ولذلك فإن التربية ببقايا الأوقات وبفتات الجهد غالباً لن تؤتي ثمرتها المرجوة.

ومن الصعب أن يتحلى المرء بالصبر عندما يكون منهكاً ومتعباً، فالصبر أحياناً يكون صعباً في ظل أساليب حياتنا المتسارعة. والضغط النفسي مشكلة كبيرة تؤثر على الوقت الذي يتعين علينا قضاؤه مع أطفالنا وعلى الطريقة التي نستطيع بها التفاعل معهم.

والمعلمون والمربون في المدارس والحضانات والمساجد وغيرها ينبغي ألا يربوا أبناءهم بقليل الجهد، وينتظر أحدهم وقت فراغه ليؤدي عمله، فتراه في الحصة المدرسية أو في النشاط التربوي يأتي متكاسلاً متأخراً ويأتي للمدرسة بلا تحضير للحصة أو تجهيز مسبق لما سيتناوله من دروس للصغار.

***

العصابية

شكوى الأم للأب وشكوى الأب للمعلم بكل صغيرة وكبيرة وبكل شاردة وواردة يشعر الطفل معها بالعصابية أي اجتماع الكل عليه، فيكره التعليم بسبب المدرس ولا يصغي إليه، ويضيق ذرعاً بالأب ويتمنى أن لو مات لينال حريته. فليحذر الآباء والمعلمون هذا حيث إن بعض الأمور تحتاج لعلاج من الأب دون علم المدرس وبعضها يحتاج علاجاً من المدرس دون إعلام الأب. وعند ضرورة التنسيق بين البيت والمدرسة يكون التوجيه للابن من طرف خفي لا يشعر معه بأن حركاته وسكناته معروفة للبيت ولو كان خارجه فيصعب عندئذٍ توجيهه.

* * *

النِّدِّيَّة

ينبغي أن يبقى الآباء والأمهات كما هم آباء وأمهات كبار السن والعقل لا يستوون مع أبنائهم في تصرف أرعن سيئ..لا يرفع الطفل صوته فيرفع الأب صوته ولا تصرخ الطفلة في وجه أمها فتبادلها الأم الصراخ في وجهها.

إننا بهذا نستوي مع أبنائنا في الخطأ وبالتالي يصعب علينا التوجيه والعلاج الموضوعي السليم لأننا سنتصرف عندئذ برد فعل لا بما يتناسب مع الموقف وهذا الاستواء يسعد كثيراً من الأطفال ويشعرهم بمتعة الانتصار على آبائهم وأمهاتهم.

إن التعامل مع أطفالنا نداً بند يفقدنا السيطرة التربوية عليهم فالطفل صفحة بيضاء وفي كل يوم تمتلئ تلك الصفحة البيضاء بفكرة أو كلمة أو معلومة أو خبرة يستقيها من البيئة حوله والتي يمثل أغلبها أبويه وخاصة أمه التي يقضي معها وقتاً طويلاً فإن كانت صبوراً تتحمله وتلين له وتوجهه برفق كان بها أبر ولها أطوع وإلا كان لها نداً وحجر عثرة في طريق توجيهه وتعليمه. ومن هنا نحذر من أن نستوي مع أبنائنا في تصرفاتهم السيئة بدعوى استفزازهم لنا فإن ذلك يعطل أو يؤخر العلاج لا محالة.

***

احذر الضغط العصبي

الضغط هو أبرز أسباب المشكلات في الأسرة وأكثر أسباب السلوكيات المدمرة شيوعاً داخل البيت وخارجه. فإذا كنت قاسياً على أطفالك داخل البيت يمكنك أن تتوقع أن يقوموا بالتنفيس عن شحناتهم الانفعالية خارج البيت، وهذا يمكن أن يكون له آثار خطيرة للغاية.

إذا كان أطفالك يشعرون بالضغط فسوف تحس بذلك. ولا تستخف بخطورة المشكلة، فوفقاً لنتائج الأبحاث التي نشرت في أكتوبر ٢٠٠٠ وصف الأطفال من سن ثمانية أعوام أنفسهم بأنهم يشعرون بالضغط. وأظهرت أكثر من ٢٠٠ مقابلة شخصية أجراها فريق من جامعة سيتي يونيفرسيتي بلندن أن مستويات الضغط قد ارتفعت لدى البريطانيين من مختلف الأعمار بشكل غير مسبوق وأن مستويات القلق لدى الأطفال مرتفعة. فأكثر من ربع العينة التي سألها الباحثون قالوا إنهم يشعرون غالباً أو دائماً بالضغط. ونصفهم كان يشعر بالضغط من وقت لآخر.

نصائح لتقليل الضغط الأسري:

- اجعل الهدوء يخيم على كل شيء في بيتك لساعات قليلة والأفضل أن تطفئ التلفاز والمذياع والألعاب لتنعموا جميعاً بشيء من الهدوء والسكينة في حياتكم.
- قم بالإعداد لأنشطة منتظمة غير تنافسية من أجل جميع أفراد

الأسرة، وأتح الفرصة لكل فرد في الأسرة كي ينفصل عن بقية الأفراد ويخلو بنفسه.

- تأكد من أن كل فرد في الأسرة يحظى بقسط كافٍ من النوم.
- تمرن على شيء من إدارة الوقت. قد تكتشف أنكم جميعاً تبالغون في تكليف أنفسكم بما لا تطيقون وهذا يسبب ضغطاً على الجوانب الأخرى من حياتك.

***

الصدمات الكهربائية

يا ترى ماذا استفادت تلك الأم التي أزعجها صوت التلفاز فدخلت على أبنائها غاضبة والشرر يتطاير من عينيها وأغلقت الجهاز وهي تصيح في وجوه أبنائها بأنها لا تستطيع النوم والصوت مرتفع هكذا، وأمرتهم غاضبة بأن يقوموا ليناموا.



ألم يكن هناك طريقة أخرى للتوجيه غير هذه؟

هل علّمت هذه الأم أبناءها شيئاً جديداً؟

هل غضب الأبناء من أمهم أم سعدوا بها؟

هل نامت الأم بعد ذلك أم أرّقها تأنيب الضمير لما فعلته بأبنائها؟

وماذا لو دخلت عليهم في هدوء وجلست فيما بينهم وسألتهم عما يشاهدون لتطمئن إلى ذلك أولاً، وبروح الود أخبرتهم أنها تريد النوم فرجاء يا أولاد أن تخفضوا الصوت بعض الشيء، كما ترجوهم مراعاة ذلك فيما بعد.. من المؤكد أن الأولاد سيسعدون وسوف يتذكرون دائماً خفض صوت المذياع أو التلفاز من أجل راحة الجميع.

إن هذا المشهد يتكرر في اليوم كثيراً وبصور شتى ولا يسأل الأب أو الأم: وماذا لو لم أصرخ؟ هل ستقضى حاجتي ويلبى طلبي بحب أم لا؟

ترى الطفل الرضيع يسكب الماء على السجاد وهو لا يدرك ما يفعل فتنفعل الأم وتصيح في وجهه الرقيق صارخة وكأنه تعمَّد إيذاءها.

إن إحدى الأمهات كانت تفخر وتقول بأنها لا تضرب أبناءها ولكنها تكتفي فقط بالصراخ في وجههم عندما يخطئون، وهي لا تدري أنها بذلك تضرهم ضرراً بالغاً هم في غنى عنه.

والمعلوم أن الصراخ يهدم لغة التواصل والتفاهم مع الطفل ويدخله في حالة من الدفاع عن النفس بسبب الصوت المرتفع واحتمال تصعيده للضرب أو غيره، فيضطر للكذب أحياناً ويصطنع الطاعة والاستجابة أحياناً أخرى، كما أنه يصرفه عن الاهتمام بسلوكه الذي تسبب في هذا الصراخ

والآثار السلبية للصراخ قد تظل عالقة في ذهن الطفل وفي نفسه طوال حياته ويظهر ذلك في المواقف المختلفة من حياته فيما بعد.

فبدلاً من الدخول مع أبنائنا في صراعات ونقاشات حادة قد تؤدي لنتائج سلبية في طريق تواصلنا معهم وتأديبهم يمكن تقسيم المشكلة إلى محطات، فمثل مشكلة عدم التعاون في الحفاظ على نظام البيت ونظافته برمي الألعاب في كل مكان نتبع ما يلي:

أولاً: وصف المشكلة بعدة جمل بهدف إعطاء الطفل فرصة لفهم المشكلة والتفكير في حلها، ومثال ذلك أن نوضح للطفل أن هناك ألعاباً كثيرة متناثرة على الأرض.

ثانياً: إعطاء معلومة بهدف إقناع الطفل بحقيقة المشكلة ونتائجها ليقدم هو الحل، ومثال ذلك أن نخبره بأن هذه الألعاب ربما تضيع أو تنكسر أو تؤذي إخوته أو تسبب الفوضى.

ثالثاً: تحويل المشكلة إلى كلمة واحدة فالطفل يكره سماع المحاضرة والشرح الطويل، فكلما كانت الجملة أقصر كان الاستماع والاستيعاب أفضل، ومثال ذلك أن نقول: [**الألعاب**].

رابعاً: تحويل المشكلة إلى جملة مكتوبة فأحياناً يكون لها تأثير أشد من المنطوق، ومثال ذلك أن نكتب على لسان الألعاب على الحائط «من فضلك أعدني إلى الأرفف».

خامساً: التعبير عن المشاعر من أجل الوصول إلى قمة التعاون ولمس الوجدان كي يصبح التوجيه أقل إيلاماً، ومثال ذلك أن تقول الأم: أشعر بالضيق عندما تبعثر الألعاب بعد أن أنظف الغرفة وأرتبها.

***

التربية الخاطئة للمربي

أتذكَّر قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: [لا تقسروا أبناءكم على آدابكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم].

ولكننا نرى -للأسف- بعض الآباء يريد أن يربي أبناءه على ما رباه عليه أبواه خطأ كان أو صواباً، فترى بعضهم يضرب أبناءه ضرباً مبرحاً وربما لأوهن الأخطاء، وإذا به يذكر أن أباه قد ضربه وهو صغير بجريد نخل حتى سال الدم من جسده لأنه لم يأكل من الطعام الذي صنعته الأم وهو يفتخر بهذا الموقف وكأن أباه وضع أصلاً من أصول التربية يسير عليه أبناؤه وأحفاده من بعده.

ولنعلم أن تربية الآباء لنا كانت منذ ثلاثين عاماً على الأقل وقد تغير الزمان واكتشف العلماء أساليب تربوية وطرقاً للتدريس والتعليم والتعامل.

***

البرمجة السلبية للمربي

يولد الإنسان على الفطرة وعقله يكون خالياً من المعلومات ولا تكون لديه أية عادات أو تقاليد، وتأتي المبرمجات مثل: البيت ووسائل الإعلام والمدرسة فيكتسب الصغير عاداته وخبراته ومعلوماته منها؛ فإما أن تكون إيجابية نافعة أو تكون سلبية هدامة. وأذكر أنني قابلت شاباً عصبي المزاج شديد الغضب دائم الانفعال فسألته عن سبب ذلك فقال: ربنا خلقني هكذا.. فقلت له: أنت تسب الله وتفتري عليه لأنه سبحانه خلقك في أحسن تقويم وعلى أحسن هيئة ولكن حدثني عن السبب الحقيقي وراء ذلك، فقال لي: إن أبي هو الذي أكسبني العصبية حتى إنني كنت أعالج نفسياً من جراء ذلك، وقد كان يسبني ويضربني بعنف بلا سبب أو لسبب تافه حتى إنني كنت أمر أمامه أحياناً فيضربني بدون سبب وكأنه يتسلى!!

وإنه يمكنك أخي المربي تغيير العادات السلبية المكتسبة متى أردت ذلك، فالذي تعود أن يقضم أظافره لا يجب أن يراه أبناؤه في ذلك الموضع وإلا قلدوه ولذلك يجب عليه العزم على الامتناع عن تلك العادة التي ربما لازمته سنوات طويلة، وأنا أعلم أناساً امتنعوا عن تلك العادة عندما رزقهم الله بأطفال خشية أن يقلدوهم.

وبعض الناس تسمعه يقول: أنا غير اجتماعي.. هذه طبيعتي وهو لا يعلم أن بإمكانه الخروج مع الأصدقاء والانخراط وسط الناس وفي العمل وفي دور العبادة، وشيئاً فشيئاً يجد نفسه شخصاً اجتماعياً يألف الناس ويألفونه.

الإحباط

كثير من الأفكار العظيمة تموت عندما يلقيها المفكر على إنسان محبط محدود الفكر ضعيف العقل، أو عند رجل يعاني شعوراً بالنقص قد أصابه اليأس فلا يجد الإبداع مجالاً إلى عقله، أو يكون رجلاً تقليدياً يرفض كل جديد. ونجد كثيراً من الأطفال يخرجون بأفكار ابتكارية واقتراحات مفيدة على مستواهم الشخصي وعلى مستوى البيت لكنها لا تجد صدى من الأبوين ولا تجد منهم سوى التعليمات في مثل: ما هذا الكلام الغريب؟

انتبه لمذاكرتك بدلاً من هذه الأفكار.

عندما تكبر افعل ما تريد أما الآن فالمذاكرة فقط.

ولو حاول الآباء التقاط الفكرة والثناء على مجرد تفكير الصغير لا على الفكرة نفسها وإثابته وتحفيزه على ذلك لرأينا كثيرًا من المفكرين والمبدعين.



الانطباعات المسبقة

تعامل المربي مع خطأ الطفل يجب أن ينتهي بانتهاء العلاج أي بانتهاء الموقف كاملاً. فالربط بين أخطاء الطفل اللاحقة بالخطأ الأول أمر غير منطقي وليس هذا مع الطفل فحسب بل مع الناس جميعاً، فقد يندم المخطئ على خطأ ارتكبه وقد يتوب العاصي عن ذنب وقع فيه فلا ينبغي وضع ذلك في الحسبان، وفي خلفية الذاكرة عند التعامل مع هذا الإنسان فيما بعد. وقد رأينا أناساً يتعامل أحدهم مع الناس بانطباعات مسبقة عن خطأ وقعوا فيه منذ سنوات عدة فمن عاند في موقف يصبح العناد أمراً لازماً له ما بقي حياً، ومن كذب يوماً يصبح كذاباً إلى الأبد فيكون التشكك في كل أقواله وهذا من الظلم البيِّن.

وبعض المربين يفعل ذلك للأسف مع الأطفال ونحن نحذر من هذا الأسلوب البغيض في التعامل مع الأطفال حيث يجب التعامل مع الطفل بشكل آني (أي الآن)، وفصل الموقف السابق عن الموقف اللاحق والذي مر عليه شهور أو سنوات حتى لا يعقب ذلك التعميم السيئ، فيعتقد المربي أنه لا أمل في علاج هذا الطفل وتقويمه وبالتالي يصاب الطفل بالإحباط إن حاول تعديل سلوكه أو يزداد تمرده وانفلاته ليقينه بأن محاولاته السابقة للتعديل لم تلق قبولاً بسبب ما سبقها من مواقف.

***

الغضب لا التغاضب

نحن ننصح المربين دائماً أن يتكلفوا الغضب أي يتغاضبون ولا يغضبون، وبينهما بون شاسع وفرق كبير فالذي يستفزه الصغير فيغضب نجده يزيد في العقاب ويعاقب أكثر من الخطأ المرتكب وينتقم لنفسه ولا يسهل عليه الرجوع إن اعتذر الصغير معلناً العزم على عدم العودة لهذا الخطأ. أما إن قام بتمثيل الغضب والتجهم فهذا يضبط معه ردود أفعاله ولا يخرجه غضبه عن حلمه، وبالتالي يتصرف كالأسوياء فيعاقب على قدر الخطأ ويقبل اعتذار الصغير عما فعل. فمثلما يتقبل أطفالنا اعتذارنا عندما نخطئ في حقهم.. علينا نحن أيضاً أن نقبل اعتذارهم، فهل يفعل كل الآباء ذلك؟ لا أعتقد إذ لا يمنح كثير منهم طفله فرصة للاعتذار حتى يقوم بتحسين سلوكه. رغم احتياج الأبناء إلى حضن دافئ ووجه مبتسم دائماً حتى ولو كنت خارجاً من معركة حامية الوطيس فيجب عليك أن تغير من ملامحك فوراً مهما كلفك هذا من جهد.




المنظومة الكذبية

قد تحدثنا كثيرًا عن القدوة كأحد أهم الأساليب التربوية، وأفردنا فصلاً كاملاً لها في كتابنا هذا، وأشرنا في ذلك للكذب كداء خطير يعتري بعض المربين مع أبنائهم، وهنا نحن نشير إلى الكذب كمنظومة من كل جوانبه كآفة ينبغي تجنبها:

أولاً: الكذب عليه:

الكذب من أشد الأخلاق ذماً وعاقبة والكذب على الصغير يجعله يعتاد عليه ويستمرئه ويصبح لديه شيئاً عادياً لأنه رآه في قدوته الذي يحبه وأقصد بذلك أبويه أو أحدهما فليحذر المربون ذلك.

ثانيًا: الكذب أمامه:

الكذب صفة ذميمة قال عنه رسول الله ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١)

ويمكن للصغير أن يتعلم الكذب إن رأى أبويه أو أحدهما -وهما قدوته- يكذبان أمامه فيسمع الأم في الهاتف تقول: «لقد كنت مريضة بالأمس» وهي لم تكن كذلك، أو يقول له أبوه: «اذهب وقل له إنني غير موجود».

---

(١) رواه مسلم.

ثالثًا: تكذيبه:

فلا تكذِّب طفلك أخي المربي الحبيب بل ينبغي أن تغض الطرف عنه إن رأيته في موضع غير لائق، حيث إن هناك لإصلاح هذا وسائل كثيرة وناجحة وليس منها أن تؤكد له بأنه قد كذب عليك فيما قال أو فعل، هذا إن كنت أنت دقيقاً في ذلك فربما كنت تبالغ أو وصلتك معلومات خاطئة، وفي جميع الأحوال لا يجب أن تكذبه أبداً حتى لا يعتاد الكذب ويستبيحه فلو اعترف طفلك بأنه كسر زجاج النافذة أو أكل طعام أخيه أو قطع أفضل قميص تملكه، فلا تشن هجوماً عنيفاً عليه. فعندما يأمن طفلك بأنه يستطيع أن يخبرك بالحقيقة دون محاضرة أو لوم أو عقاب فسوف يستمر على هذا المنوال طوال حياته.

رابعًا: اضطراره للكذب:

يقولون بأن أسرع وسيلة يمكننا أن ندفع بها الطفل إلى الكذب هي عندما نسأله سؤالاً نعرف إجابته فالطفل مخلوق ذكي يدرك أننا نعد له فخاً ليقع فيه لذلك نراه يندفع فوراً إلى الكذب لكي لا نستطيع إيقاعه في ذلك الفخ.

كما أن الطفل الذي يعلم أنه سيعاقب إذا قال الحقيقة لن يعترف بها إذ لا يوجد شخص يريد أن يجرم نفسه بنفسه، وكذلك عندما تحدثه وأنت ممسك بالعصا في يدك وعيناك حمراوان من شدة الغضب، فمن المؤكد أنه وكل عاقل في ذلك الوقت سيكذب ليفلت من هذا الأذى المحدق به والمسئول عن ذلك في النهاية هو أنت أيها المربي.

فمعلمة سناء اتصلت بوالدتها لتعلمها أن ابنتها لم تحل واجب مادة الحساب طوال الأسبوع.

وسألت الأم ابنتها: كيف حالك مع مادة الحساب هذه الأيام؟

ردت الابنة فوراً: على ما يرام.

نموذج فاشل

والدة سناء تعلم بإجابة سؤالها لأنها تعلم أن ابنتها مهملة في مادة الحساب وكذلك ابنتها تعلم بإجابة السؤال، لذلك كذبت فوراً عندما شعرت أنها ستتورط بالإجابة الصحيحة التي ستجد بعدها لوماً شديداً من والدتها على إهمالها لتلك المادة.

نموذج ناجح

أم أخرى عالجت هذا الموقف دون أن تسأل ابنتها سؤالاً تعلم إجابته، وإنما وضعت الحقيقة كاملة أمامها لتجد معها حلاً لها.

قالت الأم: لقد اتصلت بي مدرستك اليوم وأخبرتني أنك لا تؤدين بعض واجبات مادة الحساب، نريد أن نناقش هذا الموضوع معاً لنجد حلاً لهذه المشكلة.

وجلست الأم مع ابنتها ليحاولا معالجة الموقف معاً حتى تهتم ابنتها بمادة الحساب.

***

ماذا لو اكتشف نقطة الضعف؟!

أَنْظُر إلى الأم التي تصرخ في وجه ابنها عندما يغضبها بعين الشفقة لعلمي أن ابنها يعلم من ذلك الغضب نقطة ضعفها ومتى يستطيع إغضابها، وتلك الأم التي لا تتحمل إلحاح ابنها في طلب شيء وتريح نفسها بالسماح له بفعل هذا الشيء ولو كان خطأ أو كان في وقت غير مناسب (فقط لتريح نفسها من إلحاحه) وهي لا تدري أن وليدها قد علم نقطة ضعفها، وبالتالي سيكون الإلحاح مدخله بعد ذلك في قضاء حاجاته.



والذي يبكي ابنه فبدلاً من أن يتحمل فيتجاهله تراه يرفعه ويلاعبه وينفذ له ما يريد وهو لا يدري أن الصراخ والعويل سيكون سلاح الطفل بعد ذلك ليقضي له حاجاته إذ إن الطفل قد اكتشف نقطة ضعف الأب وهو القلب الرقيق الذي لا يتحمل بكاء الصغير. إنك بمجرد أن تتنازل مرة واحدة، تغرس في عقل طفلك فكرة أنك استسلمت مرة وسوف تستسلم في المرات القادمة. ويمكنك أن تتوقع أن تكون نوبة الغضب القادمة أو النحيب القادم أطول وأكثر عناداً وتصميماً لأن الطفل يعرف أنه سيحظى بطلبه في النهاية. علاوة على ذلك عندما يغيب الثبات على المبدأ عن أسلوب التأديب في الأسرة يشعر الأطفال بشيء من الانزعاج وعدم الأمان.

وهذه أمثلة نذكرها للإيضاح لا للحصر لنحذر أعزاءنا المربين من خطورة كشف الطفل لنقطة ضعفهم. مثل طارق الذي أخبر والدته في وقت الغداء أنه يريد النزول في الحال للعب الكرة مع أصدقائه فطلبت منه أمه أن يتناول الطعام ثم يأخذ قسطاً من الراحة ويذهب بعد ذلك لأصدقائه، فأصر طارق على رأيه وبكى وهددها بالامتناع عن الطعام إذا رفضت ذهابه في الحال، فما كان منها إلا أن خضعت قائلة له: (لك ما تريد يا بني الحبيب ولكن لا تبك ولا ترفض الطعام واذهب مع أصدقائك وعند عودتك تتغذى).

ومثل الأم التي تساهلت مع ابنتها في عدم ذهابها إلى النوم في وقت محدد بحجة أن البنت غير راغبة في النوم ثم خضعت الأم لطلبها بعد أن بكت البنت متذرعة بعدم قدرتها على تحمل بكاء وصراخ ابنتها.

***



فكر معنا

صوب العبارة الخطأ فيما يلي:

١) الوقار هو التجهم والكف عن الضحك لأطول فترة ممكنة.

٢) إعلان حالة الطوارئ دليل على البيت المنظم في شئونه.

٣) التساهل الممقوت من معوقات العملية التربوية.

٤) العصابية من عناصر العملية التربوية.

٥) الصراخ في وجه الطفل من أهم وسائل العقاب.

٦) لا يوجد هناك فرق يذكر بين الغضب والتغاضب.

٧) تكذيب الطفل يدفعه حتماً إلى الصدق.

٨) من الأخطاء التربوية الشائعة تذكير الطفل بأخطائه السابقة دائماً.

٩) يسعى المربي لتغيير عادات طفله السيئة أما عاداته هو فلا حرج عليها.

١٠) الصراخ يهدم لغة التواصل والتفاهم مع الطفل.

***



في هذا الباب قمنا بالتعريف الصحيح للوقار وأوضحنا الآثار النفسية المترتبة على الفهم الخاطئ له وأشرنا إلى أهمية وضع الحدود للطفل محذرين من التساهل الممقوت الذي يكون بلا ضوابط حاكمة له.

وأكدنا على أهمية بذل الجهد والوقت مع الطفل ولو كان على حساب التكسب والتربح، فمن الصعب أن يتحلى المرء بالصبر مع أطفالهم أو يلاعبهم أو يصغى إليهم وهو يعطيهم بقايا وقته وفتات جهده.

أما الصراخ في وجه الطفل والمبالغة في تصنيف مشكلته والآثار الضارة للتربية الخاطئة للمربي أو عاداته السلبية فقد أفردنا لكل منها موضوعًا خاصًا بها.

***


مفاتيح
الاستبانات

استبانة

(كيف تتعامل مع أخطاء أبنائك؟)

م	البيان	نعم	أحياناً	لا
١	أتجاهل سلوكيات أبنائي الخاطئة لئلا أحقق لهم ما يريدون من لفت انتباهي من خلالها	١	٣	٠
٢	الثواب عندي مقدم على العقاب	٣	٠	٠
٣	الضرب مفتاح الفرج	٠	٠	٣
٤	أستخدم نظام النجوم عند مكافأتي لأبنائي	٣	١	٠
٥	أرى أهمية إشعار ابني بعواقب خطئه	٣	٠	٠
٦	أجتهد ألا أصل إلى مرحلة الندية والمساواة مع أبنائي	٣	٠	٠
٧	ركلة أو لكمة أو لطمة هي العقاب المناسب على رده السيئ على أمه	٠	٠	٣
٨	أستخدم مع أبنائي أسلوب تربية الدقيقة الواحدة	٣	١	٠
٩	أستخدم نظام الكروت الصفراء عند عقابي لأبنائي	٣	١	٠
١٠	لا أرى للضرب قيمة في العملية التربوية	٣	٠	٠

ملحوظة:

حصولك على أكثر من ٢٥ درجة يعني أنك تحسن التعامل مع أخطاء أبنائك فهنيئًا لك وإلا فاقرأ هذا الباب جيدًا فلعلك تحسن هذا الفن معنا.

استبانة

(هل حقًا تسعد أبناءك؟)

م	البيان	نعم	أحياناً	لا
١	أعتقد أن سلوك ابني السيئ يقلل من رصيد حبي له.	٠	٠	٣
٢	لا أرى ضرورة للمبالغة في احترام مشاعر الطفل.	٠	٠	٣
٣	أعطي لابني الحرية الكاملة في كل شيء فهذا حقه.	٠	٠	٣
٤	أعامل ابني كرجل بالغ وأحاسبه عندما يخطئ كما عاملته.	٠	٠	٣
٥	أعتقد أن الأطفال في حاجة لمن يصغي إليهم كحاجتهم لمن ينفق عليهم.	٣	٠	٠
٦	ألتمس العذر لابني عندما يغضب ولو شتمني.	٣	٠	٠
٧	أرى ضرورة منع الطفل من البكاء تعاطفاً معه.	٠	٠	٣
٨	أعتقد أن ابتسامتي الدائمة لطفلي لا تفيد في العملية التربوية.	٠	١	٣
٩	لا أتحرج من اللعب مع أبنائي ولو بركوبهم فوق ظهري.	٣	٠	٠
١٠	أقول لابني أحبك في اليوم أكثر من مرة واحدة.	٣	٠	٠
١١	لا يهمني إن كان ابني يسعد بوجودي معه أم لا فهو طفل لا يفهم شيئاً.	٠	٠	٣

ملحوظة: حصولك على أكثر من ٢٥ درجة يعني أنك تسعد أبناءك بشكل صحيح فهنيئًا لك وإلا فاقرأ هذا الباب جيدًا فلعلك تنجح في إسعاد أبنائك حقًا.

استبانة
(هل أنت مربٍ متميز؟)

م	البيان	نعم	أحيانًا	لا
١	أرى أهمية أن أمتنع عن قضم أظافري خاصة أمام ابني.	٣	٠	٠
٢	أكتفي بالمفاهيم والأساليب التربوية التقليدية نظراً لضيق الوقت.	٠	٠	٣
٣	كل يوم اتصل بابني في البيت فقط لأسلم عليه وأقول له: أحبك.	٣	٠	٠
٤	أدرك جيداً أن أبنائي هم الأهم في حياتي.	٣	٠	٠
٥	من المهم أن تكون عندي كراسة خاصة لأسجل فيها أخطائي مع أبنائي.	٣	٠	٠
٦	من الضروري أن أقرأ كل أسبوع صفحة تربوية على الأقل.	٣	٠	٠
٧	أنتظر معارض الكتاب لأقتني أحدث ما نشر في تربية الأبناء.	٣	٠	٠
٨	أعلم أن الله سائلي عن أهلي وأولادي.	٣	٠	٠
٩	أقوم بتغيير المكان المعتاد للرحلة العائلية تبعاً لرغبات أبنائي.	٣	٠	٠
١٠	ليس عندي أهداف محددة فيما يخص تربيتي لأبنائي.	٠	٠	٣

ملحوظة: حصولك على أكثر من ٢٥ درجة يعني أنك مربٍ متميز فهنيئًا لك وإلا فاقرأ الباب السابع جيدًا فلعلك تنجح في استكمال ما ينقصك من مقومات التميز.

المراجع

كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظامًا؟	روبرت ديفيدسون	مكتبة جرير
استراتيجيات التربية الإيجابية	مصطفي أبو سعد	مركز الراشد
أب الدقيقة الواحدة	سبنسر جونسون	بدون ناشر
كيف تتحدث بحيث يستطيع الأطفال التعلم منك	أديل فابر، وإيلين مازليش	مكتبة جرير
فن تربية الأولاد	محمد سعيد مرسي	دار التوزيع والنشر
ابني لا يكفي أن أحبك	سلوى المؤيد	دار المعارف
كيف تقولها لأطفالك؟	بول كولمان	مكتبة جرير
كيف تقول لا وأنت تعنيها؟	كارين ساليفان	مكتبة جرير
العلاج السلوكي للطفل	عبد الستار إبراهيم وآخران	سلسلة عالم المعرفة
البرمجة اللغوية العصبية	إبراهيم الفقي	المركز الكندي للتنمية البشرية

www.waldee.com

www.balagh.com

www.tarbya.net

www.bafree.net

www.islamonline.net

www.almorappi.com

www.alnadwa.net

***

المحتويات

الباب الثاني: التوجيه والتعليم

الباب الثالث: التخاطب مع الأطفال

الباب الرابع: فن تعديل السلوك

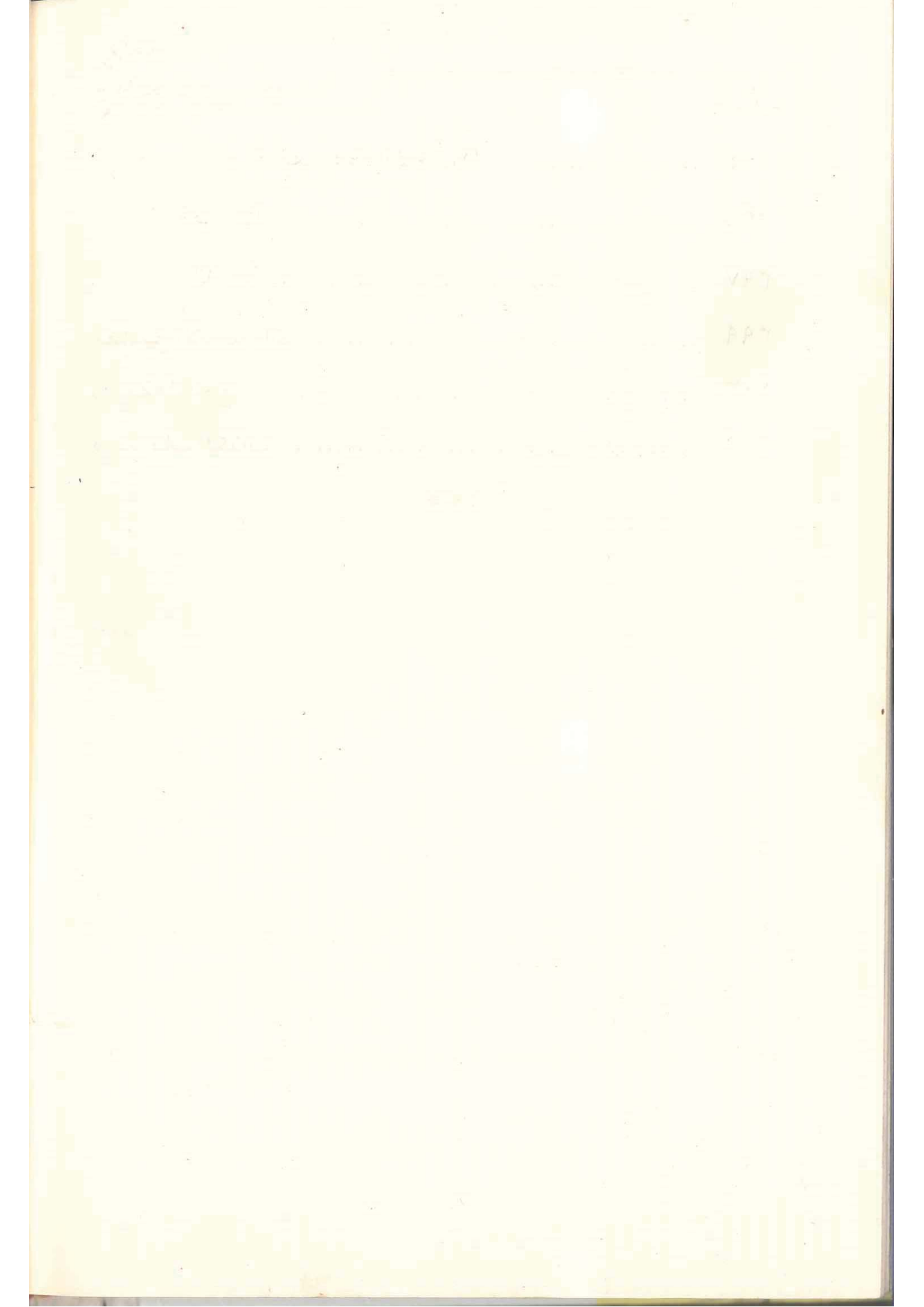
الباب الخامس: كيف تسعد أبناءك؟

الباب السادس : كتالوج الطفل

الباب السابع: الطريق نحو التميز

الباب الثامن: معوقات يجب التخلص منها

* * *



من إصدارات المؤلف

١) فن تربية الأولاد

٢) حتى لا نشتكي

٣) مفاتيح التميز

٤) صناعة الموهوبين

٥) ٧٥ خطأ للآباء مع الأبناء

٦) كيف نجعل التعليم متعة

٧) فن التعامل مع الآخرين

٨) وقفات للشباب قبل الخطبة والزواج

٩) مرشد الآباء والأمهات لعلاج أصعب مشكلات الأبناء.

١٠) دروس من قصص القرآن

***